الأكثر مبيعاً 1 في أمريكا

# دانيال ستيل

DANIELLE STEEL



# نهاية صيف

# SUMMER'S END





الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

# نهاية صيف

# SUMMER'S END

دانيال ستيل

DANIELLE STEEL

ترجمة

مركز التعريب والبرمجة



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

يضم هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

SUMMER'S END

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من المؤلفة
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينها وبين الدار العربية للعلوم ناشرون



ردمك 978-9953-87-175-2

**الطبعة الأولى**
**1428 هـ - 2007 م**





**الدار العربية للعلوم ناشرون** ش.م.ل
**Arab Scientific Publishers, Inc. SAL**
عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 860138 - 785108 - 785107 (1-961)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

الترجمة: مركز التعريب والبرمجة، بيروت - هاتف 811373 (9611)
التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611)
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611)

# 1

فتحت ديانا دوراس عيناً واحدة لتنظر إلى الساعة فيما دخل أول ضوء عبر الستائر. إنها السابعة إلا ربع. إذا نهضت الآن، سيكون لديها ساعة تقريباً لنفسها، أو ربما أكثر. لحظات هادئة لا تستطيع فيها بيلار الهجوم أو المضايقة، ولا يتلقى خلالها مارك إدوار اتصالات هاتفية من بروكسيل أو لندن أو روما. لحظات تستطيع خلالها التنفس، والتفكير، والتواجد لوحدها. نهضت بهدوء من تحت الشراشف، وألقت نظرة خاطفة على مارك إدوار، الذي لا يزال نائماً في أقصى الجانب الآخر من السرير. منذ أعوام مضت، يستطيع سريرهما الاتساع لثلاثة أو أربعة أشخاص، نظراً للطريقة التي تنام فيها هي ومارك إدوار على الجانبين. لا يعني ذلك أنهما توقفا عن الجماع في وسط السرير، فهما لا يزالان يفعلان ذلك... أحياناً. عندما يكون في المدينة ولا يكون متعباً، أو عندما يأتي إلى المنـــزل ولا يكون الوقت متأخراً جداً، إنهما لا يزالان يجامعان بين الحين والآخر.



بحثت بهدوء في الخزانة عن الفستان الحريري الطويل العاجي اللون. بدت شابة ورقيقة في ضوء الصباح الباكر، فيما انسدل شعرها الداكن بنعومة فوق كتفيها وكأنه شال أسود. انحنت لبرهة بحثاً عن خفّيها. لقد اختفيا، لا بد أن بيلار أخذتهما مجدداً. ما من شيء محظر على بيلار بما في ذلك الخفين. ابتسمت لنفسها فيما مشت حافية القدمين وصامتة على السجادة السميكة، وألقت نظرة سريعة مجدداً على مارك، الذي لا يزال نائماً بسلام كبير هناك. حين ينام، يبدو شاباً أكثر مما هو في الحقيقة، وشبيهاً جداً بالرجل الذي التقت به قبل تسعة عشر عاماً. راقبته فيما وقفت عند الباب، وهي تريده أن يتحرك،

ويستيقظ، ويضع ذراعيه حولها مبتسماً، ويهمس لها كلمات الماضي البعيد: "عودي حبيبتي. عودي إلى السرير، ديان. الجميلة ديان".

لم تعد ديان الجميلة بالنسبة إليه منذ ألف عام أو أكثر. إنها ديانا فقط بالنسبة إليه الآن، كما هي لأي شخص آخر: "ديانا، هل يمكنك المجيء إلى العشاء يوم الثلاثاء؟ ديانا، هل تعرفين أن باب المرآب غير مغلق جيداً؟ ديانا، سترة الكاشمير التي اشتريتها مؤخراً من لندن تمزقت في المصبغة. ديانا، سأغادر الليلة إلى لشبونة (أو باريس أو روما)". تتساءل أحياناً ما إذا كان يتذكر حتى أيام ديان، أيام الاستيقاظ المتأخر، والضحك، والقهوة في علّيتها، أو على سطح منـــزلهما حين كانا يستلقيان تحت أشعة الشمس خلال الأشهر التي سبقت زواجهما. لقد عاشا أشهراً من الأحلام الذهبية والساعات الذهبية؛ عطلات نهاية الأسبوع المسروقة في أكابولكو، الأيام الأربعة في مدريد حين زعما أنها سكرتيرته. عادت بها ذاكرتها إلى تلك الأيام الخوالي. إنّ لدقائق الصباح الأولى طريقتها الخاصة بتذكير ديانا بالماضي.

"ديان، حبي، هل ستعودين إلى السرير؟" لمعت عيناها عندما تذكرت تلك الكلمات. كانت حينها في الثامنة عشرة فقط وتواقة دوماً للعودة إلى السرير. كانت خجولة وإنما مغرمة جداً به. وكانت كل ساعة وكل لحظة مليئة بالمشاعر. لقد ظهر ذلك في اللوحات التي كانت ترسمها، فقد كانت تتوهج ببريق حبها. تذكرت عينيه، فيما جلس في الاستوديو، يراقبها، ويضع كومة من الأوراق التي يعمل عليها على ركبتيه، يدوّن الملاحظات، يقطّب حاجبيه بين الحين والآخر فيما يقرأ، ثم يبتسم بطريقته الرائعة حين ينظر إليها. "إذاً، سيدة بيكاسو، هل أنت مستعدة للتوقف لتناول الغداء؟"

"نعم، في غضون دقيقة، إنني على وشك الإنتهاء".

"هل أستطيع إلقاء نظرة؟" كان يتظاهر بأنه يختلس النظر من وراء المحمل، منتظراً أن تقفز وتحتج، مثلما تفعل دوماً، إلى أن ترى المزاح في عينيه.



"توقف عن هذا! تعرف أنك لا تستطيع إلقاء نظرة قبل أن أنتهي".

"لماذا؟ هل ترسمين صورة عارية؟"، كانت الضحكة تتلألأ في تلك العينين الزرقاوين الرائعتين.

"ربما، سيدي. هل يزعجك ذلك كثيراً؟"

"طبعاً. فأنتِ صغيرة جداً لترسمي شخصيات عارية".

"حقاً؟" كانت عيناها الخضراوان الكبيرتان تتسعان، وهما تصدقان أحياناً الجدية الظاهرة في كلماته. لقد حلّ مكان والدها في العديد من النواحي. لقد أصبح مارك صوت السلطة، والقوة التي تعتمد عليها. لقد أصيبت بارتباك شديد حين توفي والدها. وشعرت أن ظهور مارك إدوار المفاجيء في حياتها هبة من الله. لقد عاشت مع سلسلة من العمات والأعمام بعد موت والدها، لكنّ أياً منهم لم يرحب بوجودها. وأخيراً، في عمر الثامنة عشرة، بعد سنة كاملة من التشرد بين أقارب أمها، انتقلت للعيش لوحدها، وعملت في بوتيك خلال النهار، وذهبت إلى مدرسة للفنون في الليل. كانت صفوف الفنون هي التي تبقي روحها حية. لقد عاشت فقط لأجل ذلك. كان عمرها سبعة عشر عاماً حين توفي والدها. لقد مات فجأة، بعدما تحطمت الطائرة التي كان يحب قيادتها. لم تُوضع أبداً أية مشاريع لمستقبلها، فلقد كان والدها مقتنعاً بأنه رجل لا يقهر، وحتى لا يموت. وكانت والدتها قد توفيت حين كانت في الثانية عشرة، ولم يكن هناك أي شخص في حياتها سوى والدها طوال أعوام عدة. كان أقارب أمها في سان فرانسيسكو منسيين، مبعدين، منبوذين عموماً من الرجل الفظ والأناني الذي حمّلوه مسؤولية موتها. لم تعرف ديانا الكثير عما حصل، سوى أن "ماما ماتت". ماما ماتت؛ ستبقى كلمات والدها في ذلك الصباح المشؤوم ترّن في أذنيها لمدى الحياة. الماما التي أبعدت نفسها عن العالم، التي اختبأت في غرفتها مع قنينة، والتي كانت تعدها دوماً كلما طرقت على باب غرفتها بأنها ستجهز 'خلال دقيقة، حبيبتي'. استمرت عبارة 'خلال دقيقة حبيبتي' عشر سنوات من أصل الاثني عشر عاماً، كانت ديانا متروكة،

تلعب لوحدها في الأروقة أو في غرفتها، فيما يحلق والدها في طائرته أو يغادر فجأة في رحلات عمل مع الأصدقاء. صَعُب عليها لوقت طويل تحديد ما إذا كان يختفي في رحلات لأن أمها تثمل، أو ما إذا كانت أمها تثمل لأن البابا غائب دوماً. مهما كان السبب، كانت ديانا وحيدة. إلى أن توفيت أمها. بعد ذلك، حصلت مناقشة مسهبة حول ما يجب فعله. "بحق الله، لا أعرف أي شيء عن الأولاد، وخصوصاً عن البنات الصغار". أراد إرسالها بعيداً، إلى مدرسة، إلى "مكان رائع حيث توجد أحصنة، وريف جميل، والكثير من الأصدقاء الجدد". لكنها كانت مضطربة جداً بحيث رقّ قلبه في النهاية. لم تشأ الذهاب إلى مكان رائع، وإنما أرادت أن تكون معه. كان والدها المكان رائع الذي فضلت البقاء فيه ومعه، الوالد السحري الذي يحلق بالطائرة، الرجل الذي يحضر لها هدايا رائعة من أماكن بعيدة. الرجل الذي تفاخرت به طوال سنوات ولم تفهمه أبداً. الآن، أصبح هو كل ما لديها. كل ما بقي لها، بعد أن رحلت الآن المرأة المختبئة وراء باب غرفتها.

لذا، احتفظ بها. اصطحبها معه حين استطاع، وتركها مع أصدقاء حين لم يستطع، وعلّمها الاستمتاع بالأشياء الراقية في الحياة: الفندق الامبراطوري في طوكيو، فندق جورج الخامس في باريس، ونادي ستورك في نيويورك حيث جلستْ على كرسي عالٍ أمام المشرب ولم تشرب فقط ... وإنما تعرفت إلى نفسها على أنها امرأة ناضجة. عاش البابا حياة مذهلة. وكذلك فعلت ديانا، لبعض الوقت، تراقب كل شيء وتستوعبه: النساء النحيلات، الرجال المثيرون، الرقص في الموروكو، عطلات نهاية الأسبوع في بيفرلي هيلز. كان نجماً سينمائياً ذات مرة – قبل زمن بعيد – وسائق سيارة سباق، وقائد طائرة خلال الحرب، ومقامراً، وعاشقاً، ورجلاً يحب الحياة والنساء وكل شيء آخر يستطيع التحليق به. أراد من ديانا أن تطير هي أيضاً، أرادها أن تعرف ماذا تعني مشاهدة العالم من علو عشرة آلاف قدم، والإبحار بين الغيوم، والعيش في الأحلام. لكنها كانت تمتلك أحلامها الخاصة التي لا تشبه أبداً أحلامه. حياة



هادئة، منــزل يعيشان فيه طوال الوقت، زوجة أب لا تختبئ وراء عبارة "خلال دقيقة" أو تعيش دوماً خلف باب مقفل. في عمر الرابعة عشرة، تعبت من الموروكو، وفي عمر الخامسة عشرة، تعبت من الرقص مع أصدقائه. في عمر السادسة عشرة، نجحت في إنهاء المدرسة، وأرادت الذهاب إلى كلية فاسار أو سميث. أصرّ بابا على أن الأمر سيكون مضجراً. لذا، راحت ترسم بدل ذلك، على مسودّات وأقمشة تأخذها معها أينما ذهبا. رسمت على أغطية الطاولة الورقية في جنوب فرنسا، وعلى الجهة الخلفية لرسائل أصدقائه، إذ لم يكن لديها رسائل أصدقاء. رسمت على أي شيء تصادفه يداها. أخبرها صاحب معرض للفنون في مدينة البندقية أنها جيدة، وإذا بقيت في المدينة، فقد يعرض لها أعمالها. لكنه لم يفعل ذلك طبعاً. لأنها ووالدها غادرا مدينة البندقية بعد شهر، وفلورنسا بعد شهرين، وروما بعد ستة أشهر، وباريس بعد شهر، وعادا أخيراً إلى الولايات المتحدة حيث وعدها بابا بشراء منــزل، واحد حقيقي هذه المرة، كما وعدها بأن تصبح لها زوجة أب حقيقية تعيش معهما. لقد تعرف إلى ممثلة أميركية في روما؛ ووعدها قائلاً: "ستحبين يا ديانا هذه المرأة" فيما كان يوضب حقيبته لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في مزرعتها في مكان ما قرب لوس أنجلوس.

لم يطلب من ديانا هذه المرة أن ترافقه. إنه يريد أن يكون لوحده هذه المرة. ترك ديانا في فيرمون في سان فرانسيسكو، مع أربعمئة دولار نقداً، ووعدها أن يعود في غضون ثلاثة أيام. لكنه بدل أن يعود في غضون ثلاثة أيام مات في غضون ثلاث ساعات، وبقيت ديانا لوحدها. إلى الأبد هذه المرة.

لم يترك لها أي مال. لا لمدرسة رائعة ولا لأي شيء آخر. بل ترك لها جبلاً من الديون غير المسددة. اتصلت بأقارب أمها المنسيين منذ زمن. جاؤوا إلى الفندق، وأخذوها للعيش معهم. "لبضعة أشهر فقط، ديانا، أنت تفهمين. لا يمكنك البقاء معنا، عليك العثور على وظيفة، والحصول على منــزلك الخاص حيث تستقرين". وظيفة. أية وظيفة؟ ما الذي أستطيع فعله؟ التلوين؟ الرسم؟

الحلم. ما الفرق الذي ستحدثه الوظيفة الآن بعد أن أصبحت تعرف كل لوحة معروضة في أوفيزي واللوفر، بعد أن أمضت أشهراً في "الجو دو بوم"، بعد أن راقبت والدها يركض مع الثيران في بامبلونا، ورقصت في المورووكو، وأقامت في فندق الريتز؟ من يهتم؟ لا أحد. خلال ثلاثة أشهر، انتقلت للعيش مع قريبة لها، ومن ثم مع خالة أخرى. "لبعض الوقت، تفهمين". أصبحت تفهم كل شيء الآن، الوحدة، الألم، خطورة ما قام به والدها. لقد أمضى حياة عابثة. أمضى وقتاً جيداً. إنها تفهم الآن ماذا حصل لأمها، ولماذا. في وقت ما، كرهت الرجل الذي أحبته. لقد تركها لوحدها، خائفة، وغير محبوبة.

إلا أن العناية الإلهية جاءت في شكل رسالة من فرنسا. كانت هناك قضية صغيرة عالقة في المحاكم الفرنسية، وصدر حكم بسيط لصالح والدها. إنها مسألة ستة أو سبعة آلاف دولار. هل ستكون لطيفة جداً وتطلب من محاميها الاتصال بالشركة الفرنسية؟ أي محامٍ؟ اتصلت بواحد وجدت اسمه على لائحة حصلت عليها من إحدى خالاتها، وأحالها هو إلى مكتب للمحامين المختصين بالأمور الدولية. ذهبت إلى مكتبهم في الساعة التاسعة من صباح يوم اثنين، وهي ترتدي الفستان الأسود الصغير الذي اشترته مع والدها من فرنسا. فستان أسود صغير ماركة ديور، وحقيبة صغيرة من جلد التمساح اشتراها لها من البرازيل، والقلادة اللؤلؤية التي تركتها لها أمها. لم تكترث أبداً لديور، أو باريس، أو ريو، أو أي شيء آخر. الستة أو السبعة آلاف دولار المفترضة هي بمثابة الفدية المخلّصة بالنسبة إليها. أرادت التخلي عن وظيفتها، والذهاب إلى كلية للفنون ليلاً نهاراً. خلال سنوات قليلة، ستحقق شهرة لنفسها من خلال فنّها. لكن في غضون ذلك، تستطيع ربما العيش بالستة آلاف دولار، لسنة ربما.

كان هذا كل ما أرادته حين دخلت إلى المكتب الكبير المُلبس بالخشب، والتقت بمارك إدوار دوراس للمرة الأولى.



"آنسة...". لم يستلم يوماً قضية مثل قضيتها. فاختصاصه هو قانون الشركات (أي القانون التجاري)، وقضايا الأعمال الدولية المعقدة، لكن عندما حوّلت له السكرتيرة اتصالها، شعر بالفضول. وحين رآها، المرأة الطفلة الرقيقة ذات وجه جميل وخائف، أعجب بها. كانت تتحرك بلباقة فاتنة، فيما العينان اللتان نظرتا في عينيه كانتا ساحرتين. أرشدها إلى كرسي في الجانب الآخر من المكتب، وبدا جدياً جداً. لكنّ عينيه رقصتا فيما تحدثا مع بعضهما طوال ساعة. أحب هو أيضاً الأوفيزي، وأمضى هو أيضاً أياماً عدة في اللوفر. كما أنه هو الآخر سافر إلى ساو باولو، وكاراكاس، ودوفيل. وجدت نفسها تتشارك عالمها معه، وتفتح نوافذ وأبواب ظنت أنها أغلقت إلى الأبد، شرحت له قصة والدها. أخبرته كل القصة المريعة، فيما جلست قبالته، مع أكبر عينين خضراوين رآهما في حياته وأكبر هشاشة مزّقت قلبه. كان وقتها في الثانية والثلاثين تقريباً، ليس كبيراً كفاية ليكون والدها، ولا شك في أن مشاعره تجاهها ليست أبوية. إلا أنه أخذها تحت جناحه. بعد ثلاثة أشهر، أصبحت زوجته. كان الاحتفال صغيراً وأقيم في قاعة المدينة. أمضيا شهر العسل في منــزل أمه في الأنتيب، ثم أمضيا أسبوعين في باريس. وأدركت حينها ما الذي فعلته. لقد تزوجت بلداً، ورجلاً، وطريقة عيش. عليها أن تكون مثالية، ومتفهمة، وصامتة. عليها أن تكون ساحرة وتكرّم زبائنه وأصدقاءه. عليها أن تكون وحيدة حين يسافر. وعليها التخلي عن حلم تحقيق شهرة لنفسها من خلال فنّها. لم يوافق مارك على ذلك. في الأيام التي كان يغازلها، سرّ بالأمر، لكنها ليست مهنة يشجع زوجته عليها. لقد أصبحت السيدة دوراس، ويعني ذلك الكثير بالنسبة إلى مارك.

على مرّ السنوات، تخلت عن عدد من الأحلام، لكن كان لديها مارك. الرجل الذي أنقذها من الوحدة والحرمان. الرجل الذي فاز بعرفانها وقلبها. صاحب التصرفات المثالية والذوق الرفيع، الذي منحها الأمان والاستقرار. الرجل الذي وضع دوماً قناعاً على وجهه.

عرفت أنه أحبها، لكنه نادراً ما يعبّر الآن عن حبه مثلما كان يفعل قبلاً. لقد شرح لها أن استعراض العاطفة هو للأطفال.

لقد جاء موضوع الأطفال أيضاً. حملت بأول طفل لهما بعد أقل من سنة. كم رغب مارك بذلك الطفل! لقد رغب مارك بالطفل بما يكفي ليظهر لها مرة جديدة كم يحبها. صبي. سيكون صبياً. مارك قال إنه صبي. إنه متأكد، وكذلك هي. أرادت أن يكون لديها صبي، صبي مثل أبيه. هذا هو الشيء الوحيد الذي سيجعلها تفوز باحترامه وربما بحبه لمدى الحياة. صبي. وهكذا كان. صبي صغير مع صفير في رئتيه. تم استدعاء الكاهن بعد لحظات قليلة من ولادته، حيث باركه، وأطلق عليه اسم فيليب إدوار. وبعد أربع ساعات، مات الصبي.

أخذها مارك إلى فرنسا لقضاء فصل الصيف، وتركها في رعاية أمه وخالاته. أمضى الصيف وهو يعمل في لندن، لكنه كان يعود في عطلات نهاية الأسبوع، يحضنها ويجفف دموعها، إلى أن حملت مجدداً. لكنّ الطفل الثاني مات هو أيضاً، وكان صبياً. وأصبح إنجاب طفل لمارك هوساً لديها. حلمت فقط بابنهما. توقفت حتى عن الرسم. وعندما حملت للمرة الثالثة أمرها الطبيب بالبقاء في السرير. كان مارك في ذلك العام يعالج قضايا عدة في ميلانو والمغرب، ولكنه كان يتصل بها ويرسل لها الأزهار، ويجلس بقربها كلما عاد إلى المنزل. وعدها مرة جديدة بأنها ستنجب له صبياً. لكنه كان مخطئاً هذه المرة. فالوريث المنتظر منذ وقت طويل كان بنتاً، وإنما بصحة جيدة، مع شعر أشقر وعينين زرقاوين مثل والدها. إنها طفلة أحلام ديانا. حتى مارك أذعن ووقع سريعاً في غرام تلك الفتاة الشقراء الصغيرة. أطلقا عليها اسم بيلار، وذهبا إلى فرنسا لكي ترى أمه الطفلة. تحسّرت السيدة دوراس على إخفاق ديانا في إنجاب صبي. لكنّ مارك لم يهتم. فالطفلة طفلته. ابنته، من لحمه ودمه. ستتحدث فقط بالفرنسية. ستقضي كل صيف في الأنتيب. شعرت ديانا بالقليل من الخوف، لكنها استسلمت لفرحة الأمومة في النهاية.



أمضى مارك كل دقيقة فراغ مع بيلار، وكان يريها لأصدقائه. كانت دوماً تضحك وتبتسم. لفظت كلماتها الأولى بالفرنسية. وحين أصبحت في العاشرة، كانت تمكث في المنزل في باريس أكثر مما تمكث في الولايات المتحدة؛ علماً أن الكتب التي تقرأها، والثياب التي ترتديها، والألعاب التي تلعب بها كانت كلها مختارة بعناية من قبل مارك. عرفت من تكون؛ من آل دوراس، وإلى أين تنتمي؛ إلى فرنسا. في عمر الثانية عشرة، ذهبت إلى مدرسة داخلية في غرونوبل. في ذلك الحين حصل الضرر؛ لقد خسرت ديانا ابنتها. كانت ديانا غريبة بالنسبة إليها الآن، وهذا ما أغضبها وبث الحقد فيها. إنها غلطتها هي لأنهم لا يعيشون في فرنسا. إنها غلطتها هي لأن بيلار لا تستطيع أن تكون مع أصدقائها. إنها غلطتها هي لأن بابا لا يستطيع التواجد في باريس مع الجدة التي تشتاق إليه كثيراً. وفي النهاية، ربحوا. مجدداً.



نزلت ديانا ببطء على السلم، فيما مشت قدماها العاريتان على السجادة العجمية التي أحضرها مارك معه من إيران. وكعادتها، ألقت نظرة سريعة على غرفة الجلوس. ما من شيء في غير محله؛ وهذه هي الحال دوماً. فالحرير الأخضر الدقيق الذي يغطي الأرائك مملّس بصورة مثالية، فيما تقف كراسي لويس الخامس عشر منتصبة مثل الجنود أثناء الخدمة. أما سجادة الأوبوسون فكانت رائعة أكثر من أي وقت مضى بظلالها الخضراء الناعمة وأزهارها الملونة بلون التوت. الفضة تلمع، والمنافض نظيفة. صور أجداد مارك مُعلّقة وفق الزاوية الصحيحة، فيما تؤطر الستائر منظراً رائعاً لجسر البوابة الذهبية والخليج. ما من مراكب شراعية في هذه الساعة، ولا يوجد ضباب هذه المرة. إنه يوم مثالي في شهر يونيو، وقفت لبرهة تحدق في الماء. شعرت برغبة في الجلوس والمراقبة بكل بساطة. لكن من الوقاحة الجلوس على الأريكة، والدوس على السجادة، وحتى التنفس في هذه الغرفة. من الأسهل الخروج والذهاب إلى عالمها الصغير، إلى الاستوديو في الجهة الخلفية

للمنــزل حيث ترسم... وتهرب بعيداً.

مشت عبر غرفة الطعام من دون النظر إليها، ثم اجتازت رواقاً طويلاً يؤدي إلى الجهة الخلفية للمنــزل. ثمة درجات ست تقود إلى الاستوديو الخاص بها. كان الخشب الداكن بارداً تحت قدميها. كان فتح الباب يتطلب مجهوداً. توقف مارك عن تذكيرها بضرورة فعل شيء لذلك الباب. إلاّ أنه توصل إلى استنتاج بأن ذلك يعجبها، وكان محقاً. من الصعب فتحه، لكنه يغلق دوماً بسرعة، ويحبسها في شرنقتها الصغيرة الساطعة. كان الاستوديو عالمها النفيس، فيه الكثير من الموسيقى والأزهار المجتمعة برفق بعيداً عن الرزانة القاتلة المسيطرة على سائر المنــزل. ما من سجادات أوبوسون هنا، ولا فضة، ولا لويس خامس عشر. هنا، كل شيء مشرق وحيوي؛ الألوان على لوحة رسمها، الأقمشة المُعلّقة على المحمل، الأصفر الناعم الطاغي على الجدران، والكرسي الأبيض الكبير والمريح الذي يعانقها لحظة تلقي بنفسها بين ذراعيه. ابتسمت فيما جلست ونظرت حولها. لقد تركت فوضى كبيرة صباح البارحة، لكنّ هذا يلائمها. إنه مكان سعيد تستطيع العمل فيه. أزاحت الستائر المطبعة بالأزهار، وفتحت الأبواب الفرنسية الطراز، وخرجت إلى المصطبة الصغيرة، فيما كان القرميد الساطع مثل الثلج تحت قدميها.

غالباً ما تقف هنا في هذه الساعة، حتى أنها أحياناً تقف حينما يكون الضباب مخيماً، تتنفس بعمق، وتبتسم لطيف الجسر المعلق فوق خليج غير مرئي، تستمع إلى نعيق البوم البطيء. لكنه لا ينعق هذا الصباح. الشمس ساطعة جداً هذا الصباح مما دفعها إلى إغماض عينيها عندما خرجت إلى المصطبة. إنه يوم مثالي للإبحار، أو الاختفاء في الشاطئ. جعلتها هذه الفكرة تضحك. من سيقول لمارغريت ما ينبغي عليها أن تُلمّع، ومن سيجيب على البريد، ومن سيشرح لبيلار لماذا لا تستطيع الخروج هذه الليلة؟ بيلار. إنه يوم رحيل بيلار إلى الأنتيب لقضاء فصل الصيف في زيارة جدتها، وخالاتها، وأخوالها، وأقاربها وكل المتحدرين من باريس. كادت ديانا ترتجف عندما



تذكرت ذلك. بعد سنوات من تحمل تلك الإجازات الصيفية المريعة، نجحت أخيراً في قول لا. فالسحر الدائم لعائلة مارك لا يطاق البتة، التهذيب عبر الأسنان المطبقة، الأشواك غير المرئية التي تغرز في لحم الآخر. لم تحظَ ديانا يوماً بمباركتهم. ولم يكن هذا سراً عند والدة مارك. ففي النهاية، ديانا أميركية وشابة جداً لتكون زوجة محترمة. والأسوأ من ذلك، أنها كانت الابنة الفقيرة لمتشرد فظ. إنه زواج لا يضيف أي شيء إلى مكانة مارك، بل إنه يضيف إلى مكانتها. افترض أقاربه أن هذا هو سبب تعلقها به. وكانوا حريصين على عدم ذكر الأمر؛ أكثر من مرتين في السنة. في النهاية، عانت ديانا ما يكفي، وتوقفت عن الذهاب إلى الأنتيب خلال فصل الصيف. الآن، تذهب بيلار لوحدها، وهي تحب ذلك. إنها واحدة منهم.

وضعت ديانا مرفقيها على جدار المصطبة، وأسندت ذقنها بمتن يدها. خرجت منها تنهيدة غير ملحوظة فيما راقبت سفينة تتحرك ببطء في الخليج.

"ألا تشعرين بالبرد هنا، أمي؟" كانت الكلمات باردة بقدر أرض المصطبة. خاطبت بيلار أمها كما لو أنها تخاطب شخصاً غريب الأطوار، لمجرد أنها واقفة هناك في ثوب الحمام وحافية القدمين. ألقت ديانا نظرة على السفينة، والتفتت ببطء مع ابتسامة.

"ليس تماماً. إنني أحب هذا المكان. بالإضافة إلى ذلك، لم أعثر على الخفين". قالت ذلك مع الابتسامة نفسها، ونظرت مباشرة في عيني ابنتها الزرقاوين. كان في بيلار كل شيء غير موجود في ديانا. فشعرها أشقر اللون ذهبــي شاحب، وعيناها زرقاوان ساطعان، أما بشرتها فتكشف عن نضارة الشباب الغنية. إنها أطول قليلاً من أمها، وصورة طبق الأصل عن مارك إدوار من كل النواحي تقريباً. لكنها لا تملك بعد قوته، إلاّ أن القوة ستأتي فيما بعد. وإذا تعلمت دروسها جيداً من جدتها وعماتها، ستتعلم استعمال القناع بقساوة مثلما يفعلون. لم يكن مارك إدوار بارعاً كثيراً في ذلك. ولا حاجة لأن يكون كذلك، لأنه رجل. لكنّ نساء دوراس يُجدْن ذلك الفنّ بصورة راقية. لا

يسع ديانا فعل الكثير لتغيير ذلك الآن، ربما باستثناء إبقاء بيلار بعيدة، لكنّ هذه المحاولة ستكون عديمة الجدوى. بيلار، مارك، المرأة الكبيرة التي أصبحت عليها، كلها أمور تسهم في إبقاء بيلار في أوروبا معظم الوقت. وثمة شبه كبير بين بيلار وجدتها أكثر من مجرد التقليد. إنه شيء يجري في دمها. ليس في وسع ديانا فعل أي شيء سوى القبول بالأمر. إلا أنها لم تكف أبداً عن التعجب من مدى الألم الذي تسببه لها خيبة الأمل. لم تمرّ أبداً لحظة لم تشعر فيها بالاهتمام. لطالما كان الأمر مهماً. لطالما شعرت بخسارة بيلار. دوماً.

ابتسمت الآن، ونظرت إلى قدمي ابنتها. كانت تنتعل الخفين الضائعين. "أرى أنكِ عثرت عليهما". كانت كلمات ديانا ممازحة، لكنّ عينيها كشفتا عن ألم عمره دهر. مأساة مختبئة دوماً وراء النكات.

"هل يفترض أن يكون ذلك مضحكاً، أمي؟" في الساعة السابعة والنصف صباحاً، بدت على وجه بيلار ملامح الغضب "لا أستطيع العثور على أي من كنـــزاتي، ولم تعد تنورتي السوداء بعد من المصبغة التي تتعاملين معها". إنه اتهام في غاية الأهمية. أرجعت بيلار شعرها الطويل الأشقر المالس، ونظرت بغضب إلى أمها.

لطالما تساءلت ديانا عن سبب غضب بيلار. هل هو تمرّد المراهقة؟ أم أنه مجرد تعبير عند عدم رغبتها بتشارك مارك مع والدتها؟ ما من شيء تستطيع ديانا فعله. على الأقل في الوقت الحاضر. ربما يوماً ما، لاحقاً، بعد خمس سنوات ربما ستتاح لها مجدداً فرصة استعادة ابنتها وتصبحان صديقتين. إنه شيء تتوق إليه، وأمل ترفض أن يموت.

"عادت التنورة البارحة. إنها في خزانة القاعة الرئيسية. الكنـــزات موضبة في حقيبتك. وضبتها لك مارغريت البارحة. هل يحلّ ذلك كل مشاكلكِ؟" تلفظت ديانا بتلك الكلمات برفق. ستبقى بيلار دوماً طفلة أحلامها، مهما وكيفما تبعثرت الأحلام.

"أمي! أنتِ لا تنتبهين!" تاه تفكير ديانا لبرهة، وحدّقت فيها عينا بيلار



بغضب. "سألتكِ ما الذي فعلته بجواز سفري".

التقت عينا ديانا الخضراوان بعيني بيلار الزرقاوين وحدقتا فيهما لبرهة. أرادت أن تقول شيئاً، الشيء الصحيح. لكن كل ما قالته هو: "جواز سفركِ معي. سأعطيك إياه في المطار".

"إنني أستطيع لا بل أقدر على الاهتمام بأموري بنفسي".

"إنني أثق بذلك". عادت ديانا إلى الاستوديو، متفادية غضب الفتاة. "هل ستتناولين الفطور؟"

"لاحقاً. عليّ غسل شعري".

"سأطلب من مارغريت أن تحضر لك صينية".

"جيد". بعدها ذهبت، واخترق سهم الشباب قلب ديانا مجدداً. من السهل جداً توليد الأذى. كانت الكلمات قليلة جداً، لكنّ فراغها صعقها. لا شك في أنه سيكون هناك المزيد. لا شك في أن الإنسان لا ينجب الأولاد لمجرد أن تكون نهايته على هذا النحو. تساءلت أحياناً ما إذا كانت الأمور ستحصل بهذه الطريقة مع ولديها. إنها طبيعة بيلار ربما. قد يكون الفرق بين البلدين، والعالمين، كبيراً جداً بالنسبة إليها.

رنّ الهاتف الموجود على مكتبها برفق فيما تنهدت وجلست. إنه خط المنـــزل، ولا شك في أنها مارغريت تسأل ما إذا كانت تريد القهوة في الاستوديو. حين يكون مارك غائباً، تتناول ديانا غالباً الطعام لوحدها في الاستوديو. وحين يكون في المنـــزل، يكون الفطور معه طقساً ضرورياً، وأحياناً تكون الوجبة الوحيدة التي يتشاركانها.

"نعم؟" يملك صوتها بحة ناعمة تضفي دوماً الرقة على كلماتها.

"ديانا، عليّ الاتصال بباريس. لن أنزل قبل خمس عشرة دقيقة. أرجوك قولي لمارغريت إنني أريد البيض مقلياً، وليس محروقاً ومحمصاً. هل أحضرت لي الجرائد إلى هنا؟"

"لا، لقد وضعتها مارغريت بلا شك على الطاولة".

"حسناً، إلى اللقاء".

لم يكن هناك "صباح الخير" أو "كيف حالك؟ كيف نمت؟... أحبك" فقط الجرائد، التنورة السوداء، جواز السفر. امتلأت عينا ديانا بالدموع. مسحتها بمتن يدها. إنهما لا يفعلان ذلك عن عمد، بل إن ذلك هو طبعهما بكل بساطة. لكن لماذا لا يهتمان أين هي تنورتها السوداء، وأين هما خفّاها، وكيف حال لوحتها الأخيرة. ألقت نظرة سريعة وكئيبة فوق كتفها فيما أُغلق باب الاستوديو الخاص بها خلفها. لقد بدأ يومها.

سمعتها مارغريت تقلّب الجرائد في غرفة الطعام، ففتحت باب المطبخ مع ابتسامتها المألوفة. "صباح الخير، سيدة دوراس".

"صباح الخير مارغريت".

هكذا يجري كل شيء، كالعادة، بدقة ولباقة. تعطى الأوامر بلطافة ومع ابتسامة؛ ترتب الجرائد بعناية وفقاً للأهمية؛ توضع القهوة مباشرة على الطاولة في إناء الليموج الدقيق الذي كان يخص والدة مارك؛ ترفع الستائر؛ تتم مراقبة الطقس؛ ويضع كل واحد قناعه ويبدأ يوماً جديداً.

نسيت ديانا أفكارها الأولى فيما ألقت نظرة سريعة على الجريدة، وارتشفت القهوة من الفنجان الأزرق المطبع بالأزهار، وفركت قدميها على السجادة لتدفئتهما من برد أرضية المصطبة. بدت شابة في الصباح، مع شعرها الداكن الطليق، وعينيها الواسعتين، وبشرتها الفاتحة مثل بشرة بيلار، ويديها الدقيقتين والخاليتين من التجاعيد مثلما كانتا قبل عشرين عاماً. لا تبدو أبداً وكأنها في السابعة والثلاثين، وإنما أشبه بامرأة في أواخر العقد الثاني. فالطريقة التي ترفع فيها وجهها حين تتحدث، واللمعة التي في عينيها، والابتسامة التي تظهر مثل قوس القزح هي التي تجعلها تبدو شابة جداً. في وقت لاحق من النهار، يطغى عليها الأسلوب المحافظ، والشعر المربوط بعناية، والتصرفات الملكية مما يجعلها تبدو أكبر من عمرها الحقيقي. لكنها في



الصباح تكون متحررة من كل تلك الشكليات، ببساطة إنها تكون ما هي عليه بالفعل.

سمعته ينــزل السلالم قبل أن تسمعه يتحدث، وينادي بيلار بسعادة باللغة الفرنسية فيما وقفت الفتاة بشعرها المبلل على أرضية الطابق الثاني. قال لها شيئاً عن عدم الذهاب إلى نيس، والحرص على حسن السلوك في الأنتيب. على عكس ديانا، سيرى مارك ابنته مجدداً خلال الصيف. فهو سينتقل جيئة وذهاباً بين باريس وسان فرانسيسكو مرات عدة، ويتوقف في الأنتيب لقضاء عطلة نهاية أسبوع، متى استطاع ذلك. يصعب كثيراً التخلي عن العادات القديمة، وكان إغراء ابنته كبيراً جداً. لطالما كانا صديقين.

"صباح الخير، عزيزتي".

عزيزتي وليس حبيبتي، لاحظت ديانا. "تبدين جميلة هذا الصباح".

"شكراً". نظرت إليه بابتسامة، ولاحظت أنه بدأ بقراءة الجرائد. لقد كان الإطراء كلاماً شكلياً أكثر مما هو حقيقة. إنه فنّ الفرنسيين. إنها تعرف ذلك جيداً. "هل من جديد في باريس؟" أصبح وجهها جدياً مجدداً.

"سأخبرك. سأذهب غداً. لبعض الوقت". ثمة شيء في نبرته قال لها إن هناك أكثر من ذلك. هكذا هي الحال دوماً.

"كم من الوقت ستمكث هناك؟"

نظر إليها، مسروراً، وتذكرت مجدداً كل الأسباب التي جعلتها تقع في حبه. مارك رجل وسيم للغاية؛ وجهه نحيل وأرستقراطي وعيناه زرقاوان وامضتان لا تشبهان حتى عيني بيلار. والشعر الرمادي عند صدغيه غير جلي تماماً وسط الشعر الذي لا يزال أشقر. لا يزال يبدو شاباً وديناميا، ومسروراً دوماً تقريباً، خصوصاً حين يكون في الولايات المتحدة. فهو يجد الأميركيين "مضحكين". يُسرّ حين يتغلب عليهم في التنس والسكواش، في البريدج أو غيرها من الألعاب، وخصوصاً في قاعة المحكمة. إنه يعمل مثلما يلعب؛ بقوة، وسرعة، وبصورة جيدة ويحقق نتائج باهرة. إنه رجل يحسده الرجال وتتودد

إليه النساء. إنه يربح دوماً. الربح هو أسلوبه. أحبت ديانا ذلك فيه في البداية. وكان انتصاراً عظيماً حين قال لها إنه يحبها.

"سألتك كم ستغيب". كان هناك انفعال بسيط في صوتها.

"لست أكيداً. بضعة أيام. هل يهم ذلك؟"

"طبعاً". بدا الانفعال في صوتها.

"هل لدينا شيء مهم؟" بدا متفاجئاً. فقد تحقق من دفتر مواعيده، ولم يعثر على أي شيء هناك. "حسناً؟"

لا، لا شيء مهم حبيبي... فقط بعضنا البعض. "لا، لا شيء من هذا القبيل. كنت أتساءل فقط".

"سأخبرك. ستكون لديّ فكرة أوضح بعد اجتماعاتي اليوم. ثمة مشكلة على ما يبدو في قضية الشحن الكبيرة. قد أضطر إلى الذهاب مباشرة إلى أثينا من باريس".

"مجدداً؟"

"هكذا يبدو". عاد لقراءة الجرائد إلى أن وضعت مارغريت البيض أمامه، ثم ألقى نظرة خاطفة على زوجته مجدداً. "ستأخذين بيلار إلى المطار؟"

"طبعاً".

"تأكدي أرجوك من أنها ترتدي ثياباً ملائمة. ستصاب أمي بسكتة إذا خرجت من الطائرة وهي ترتدي مجدداً تلك الثياب الفاضحة".

"لمَ لا تخبرها بنفسك؟" حدقت فيه ديانا بعينيها الخضراوين.

"ظننت أن الأمر من اختصاصك". بدا غير متأثر.

"ماذا، السلوك أم الثياب". كل منهما مهمة شاقة، مثلما يعلم كلاهما.

"الاثنان، إلى حدٍّ ما". أرادت أن تسأله إلى أي حدّ، لكنها لم تفعل. إلى الحدّ الذي تستطيعه؟ هل هذا ما يقصده؟ تابع مارك قائلاً: "بالمناسبة، لقد أعطيتها بعض المال للرحلة. لذا، لستِ مضطرة إلى إعطائها أي شيء".



"كم؟"

نظر إليها بحدة. "عفواً؟"

قالت ذلك بهدوء: "سألتك كم من المال أعطيتها للرحلة".

"هل هذا مهم؟"

"أظن ذلك. أو أن الانضباط والثياب هما فقط من اختصاصي؟" بات انفعال الثمانية عشر عاماً من الزواج يلوّن صوتها الآن.

"ليس بالضرورة. لا تقلقي، فهي تملك ما يكفي".

"ليس هذا ما أقلق بشأنه".

"ما الذي تقلقين بشأنه إذاً؟" أصبح صوته فجأة غير راضٍ، وأصبحت عيناها مثل الفولاذ.

"لا أظن أنه يجدر بها امتلاك الكثير من المال لعطلة الصيف. لا تحتاج إليه".

"إنها فتاة مسؤولة جداً".

"لكنها لم تبلغ بعد السادسة عشرة، مارك. كم أعطيتها؟"

"ألف". قال ذلك بهدوء، كما لو أنه ينهي صفقة.

"دولار؟" اتسعت عيناها كثيراً. "هذا فظيع!"

"فعلاً؟"

"تعرف تماماً أنه كذلك. وأنت تعرف أيضاً ما الذي ستفعله به".

"إمتاع نفسها، حسبما أفترض. من دون أذى".

"لا، ستشتري واحدة من تلك الدراجات اللعينة التي تحبها كثيراً، وأنا أرفض تماماً السماح بحصول ذلك". لكنّ غضب ديانا كان ناجماً فقط عن عجزها، وهي تعرف ذلك. ستشتري بيلار الدراجة الآن، من دون سيطرة ديانا. "لا أريدها أن تأخذ معها هذا الكم من المال".

"لا تكوني سخيفة".

"بالله عليك، مارك..."

رنّ الهاتف فيما بدأت خطابها العنيف. إنه لمارك من ميلانو. لا يملك الوقت للإصغاء إليها قبل أن يغادر. لديه اجتماع في التاسعة والنصف. ألقى نظرة سريعة على ساعته. "توقفي عن الهستيريا، ديانا. ستكون الفتاة بين أيدي أمينة". لكنّ هذه مناقشة أخرى، وهو لا يملك الوقت. "أراكِ الليلة".

"هل ستعود إلى المنـــزل لتناول العشاء؟"

"أشك في ذلك. سأدع دومينيك تتصل".

"شكراً". كانت كلمة صغيرة وجامدة. راقبته وهو يقف قرب الباب. وبعد برهة، سمعت صوت سيارته الجاكوار وهي تبتعد عن المنـــزل. لقد خسرت معركة أخرى.

تطرقت إلى الموضوع مجدداً مع بيلار خلال طريقهما إلى المطار. "أعرف أن والدك أعطاك الكثير من المال للعطلة الصيفية".

"ها قد بدأنا. ما الأمر الآن؟"

"تعرفين جيداً ما الأمر الآن. الدراجة النارية. سأشرح لك الأمر بكل بساطة، حبي. تشترين واحدة وأنا أعيدك إلى المنـــزل".

أرادت بيلار الرد: "وكيف ستعرفين؟"، لكنها لم تجرؤ. "حسناً، لن أشتري واحدة".

"أو أركب واحدة".

"أو أركب واحدة". لكنه حديث عديم الجدوى، ووجدت ديانا نفسها، للمرة الأولى منذ زمن بعيد، ترغب في الصراخ.

ألقت نظرة سريعة على ابنتها فيما كانت تقود السيارة ثم نظرت أمامها مجدداً. "لماذا يجب أن تكون الأمور على هذا النحو؟ ستغادرين لثلاثة أشهر. لن نرى بعضنا البعض. هل يمكن أن يمضي اليوم بيننا بسلام؟ ما جدوى



الشجار المستمر؟"

"أنا لم أبدأ. أنتِ من تطرق لموضوع الدراجات".

"هل لديك فكرة لماذا؟ لأنني أحبك، لأنني أهتم. لأنني لا أريدك أن تموتي. هل يعني لك ذلك شيئاً". ثمة يأس في صوتها، وأخيراً غضب.

"نعم، طبعاً".

تابعتا الطريق بصمت إلى المطار. شعرت ديانا بالدموع عالقة في عينيها، لكنها لن تدع بيلار تراها. عليها أن تكون مثالية. عليها أن تكون قوية. تماماً مثل مارك وكل أقاربه الفرنسيين اللعينين الذين يدّعون أنهم كذلك. تماماً مثلما تريد بيلار أن تكون. تركت ديانا السيارة عند حافة الطريق، ولحقتا بالحمال إلى الداخل، حيث تحققت بيلار من أوراقها. وبعد أن أعاد إليها الموظف جواز سفرها وبطاقة السفر، التفتت إلى أمها.

"ستأتين معي إلى البوابة؟". كان الرعب أكثر من التشجيع طاغياً على صوتها.

"أظن أن هذا قد يكون لطيفاً. هل تمانعين؟"

"لا". انفعال وغضب. ابنة ملعونة. أرادت ديانا صفعها. من هي هذه الفتاة؟ من أصبحت؟ إلى أين ذهبت الفتاة الشقراء الصغيرة التي أحبتها؟ تشبثت كل منهما بأفكارها فيما توجهتا نحو البوابة، وهما تتلقيان نظرات تقدير من حولهما. إنهما ثنائي رائع. الجمال الداكن لديانا في فستان صوفي أسود ذي تفصيل جميل، وشعرها المربوط إلى الخلف، مع سترة حمراء ساطعة فوق ذراعها. وبيلار بطلتها الشقراء الشابة، وجسمها الطويل والنحيل في بذلة الكتان البيضاء التي نالت رضا أمها عندما شاهدتها وهي تنـــزل السلالم. حتى جدتها ستوافق عليها؛ إلا إذا وجدتها أميركية جداً. كل شيء ممكن مع السيدة دوراس.

كانت الطائرة تحمّل ركابها حين وصلتا، وكان لدى ديانا لحظة فقط

لتمسك بيد الفتاة بقوة بين يديها. "أنا جادة في مسألة الدراجة النارية، حبيبتي، أرجوكِ..."

"حسناً، حسناً". لكنّ بيلار كانت قد تجاوزت ديانا، وتتطلع للصعود إلى الطائرة.

"سأتصل بكِ. اتصلي بــي إذا واجهت أية مشاكل".

"لن أفعل". قالت ذلك بثقة فتاة لم تبلغ بعد السادسة عشرة.

"أتمنى ذلك". أصبح وجه ديانا رقيقاً فيما نظرت إلى ابنتها، ثم عانقتها. "أحبك حبيبتي. استمتعي بوقتك".

"شكراً، أمي". ودّعت أمها بابتسامة بسيطة، وتلويح سريع. شعرت ديانا فجأة بكآبة. لقد رحلت مجدداً. طفلتها... الفتاة الصغيرة ذات الشعر الأشقر المجعد، الطفلة التي حملتها بين ذراعيها كل ليلة لتعانقها وتقبلها... بيلار. جلست ديانا على مقعد في الصالة، وانتظرت حتى تشاهد طائرة الــ747 تحلق في الهواء. وأخيراً، شاهدتها تقلع وعادت ببطء إلى سيارتها. رفع موظف المرآب قبعته عن رأسه تقديراً للدولار الذي أعطته إياه، وتساءل من تكون، فيما وضعت ساقيها بلباقة في السيارة. إنها امرأة جميلة جداً، لكنه لا يستطيع تخمين عمرها بالضبط: ثمانية وعشرون؟ اثنان وثلاثون؟ خمسة وثلاثون؟ أربعون؟ يستحيل معرفة ذلك. فوجهها شاب، لكن باقي ما فيها، طريقة تحركها، والنظرة في عينيها، كبير جداً.

سمعته ديانا يصعد السلالم فيما جلست أمام منضدة التزيين تُسرح شعرها. إنها الساعة العاشرة والثلث، ولم يتصل بها طوال اليوم. تركت دومينيك، سكرتيرته، رسائل مع مارغريت عند الظهيرة. السيد دوراس لن يأتي إلى المنــزل لتناول العشاء. تناولت ديانا طعامها في الاستوديو فيما كانت ترسم، لكن تفكيرها لم يكن مركزاً على عملها. كانت تفكر في بيلار.



التفتت، وابتسمت له فيما دخل إلى الغرفة. لقد اشتاقت إليه فعلاً. كان المنــزل هادئاً بشكل غريب طوال اليوم. "مرحبا حبيبي. كان يوماً طويلاً".

"طويل جداً، وأنت؟"

"مسالم. الجو هادئ جداً هنا من دون بيلار".

"لم أظن يوماً أنني سأسمع ذلك منكِ". ابتسم مارك إدوار لزوجته فيما جلس على كرسي كبير من المخمل الأزرق قرب المدفأة.

"ولا أنا. كيف كانت اجتماعاتك؟"

"متعبة".

لا يشرح كثيراً. استدارت في مقعدها لتنظر إليه. "هل ستذهب إلى باريس غداً؟" أومأ برأسه، واستمرت هي في مراقبته فيما مدد ساقيه الطويلتين. لا تبدو حالته مختلفة عما كانت عليه في الصباح، فهو يبدو مستعداً للانطلاق في يوم آخر. إنه يحب الاجتماعات التي يسميها "متعبة". وقف ومشى نحوها مع ابتسامة في عينيه.

"نعم، سأذهب إلى باريس غداً. هل أنت أكيدة من أنك لا تريدين الانضمام إلى بيلار وأمي في الكاب أنتيب؟"

"طبعاً". كانت حاسمة. "لمَ يجدر بــي فعل ذلك؟"

"قلت بنفسك إن الجو هادئ جداً هنا. ظننت ربما..." وضع يديه على كتفيها فيما وقف خلفها لبرهة. "سأكون غائباً طوال الصيف، ديانا".

تصلّبت كتفاها بين يديه. "طوال الصيف؟"

"نوعاً ما. فقضية شحن سالكو مهمة جداً ولا يمكنني تسليمها لأي شخص. سأتنقل بين باريس وأثينا طوال الصيف. لا أستطيع التواجد هنا". بدت نبرته أقوى الآن حين تحدث إليها، كما لو أنه غادر أصلاً الولايات المتحدة. "سيعطيني ذلك فرصة كبيرة لرؤية بيلار، الأمر الذي يفترض أن يسرك، ولكنه لا يمنحني أية فرصة لأكون معكِ". أرادت أن تسأله ما إذا كان يكترث

فعلاً لذلك، لكنها لم تفعل. "أظن أن القضية ستأخذ الجزء الأكبر من الصيف. ثلاثة أشهر تقريباً".

بدا ذلك مثل حكم الإعدام بالنسبة إليها. "ثلاثة أشهر؟" كان صوتها ضعيفاً جداً.

"هل تفهمين الآن لماذا سألتك ما إذا كنت تريدين الذهاب إلى الكاب أنتيب. هل يجعلكِ ذلك تبدلين رأيك؟"

هزّت رأسها ببطء. "لا. لن أغير رأيي. لن تكون موجوداً هناك أيضاً، وأظن أن بيلار تحتاج إلى إجازة مني. من دون ذكر..." اختنق صوتها.

"أمي؟" سأل مارك. وأومأت هي برأسها. "فهمت. حسناً، إذن ستكونين هنا لوحدك يا عزيزتي".

اللعنة، لماذا لم يطلب منها أن ترافقه، وتتنقل معه بين أثينا وباريس. في لحظة مجنونة، فكّرت ديانا في أن تقترح الأمر عليه، لكنها عرفت أنه لن يسمح لها بذلك. يحب أن يكون حراً حين يعمل. لن يأخذها معه أبداً.

قال لها: "هل تستطيعين تدبر الأمور لوحدك؟"

"وهل أملك خياراً آخر؟ هل تعني أنني أستطيع القول لا فتلغي سفرك؟" أدارت وجهها نحو وجهه.

"تعرفين أن هذا غير ممكن".

"نعم". بقيت صامتة لبعض الوقت، ثم تمتمت مع ابتسامة. "سأتدبر أمري".

"أعرف ذلك".

كيف تعرف ذلك؟ كيف تعرف؟ ماذا لو كنت لا أستطيع؟ ماذا لو كنت بحاجة إليك؟... ماذا لو...

"أنتِ زوجة رائعة، ديانا".

لم تعرف لبرهة ما إذا كان يجدر بها شكره أم صفعه. "ماذا يعني ذلك؟



أنني لا أتذمر كثيراً؟ ربما يجدر بـــي فعل ذلك". أخفت ابتسامتها ما تشعر به، وسمحت له بتفادي ما قرر عدم الإجابة عنه.

"لا، لا يجدر بكِ. أنتِ مثالية مثلما أنت".

"شكراً، سيدي". نهضت حينها، واستدارت بعيداً كي لا يرى وجهها. "هل ستوضب أغراضك بنفسك أم تريدني أن أوضبها لك؟"

"سأفعل ذلك بنفسي. اذهبـــي إلى السرير. سأكون هناك خلال لحظة".

راقبته ديانا وهو يندفع بسرعة نحو غرفة ملابسه، ثم نزل إلى الأسفل، إلى مكتبه، حسبما افترضت. أطفأت الأنوار في غرفة النوم وكانت لا تزال مستلقية على جانب السرير حين عاد.

"هل نمتِ؟"

"لا". كان صوتها قوياً في الظلام.

"جيد".

جيد؟ لماذا؟ وما الفرق إذا كانت نائمة أم لا؟ هل سيتحدث إليها، ويخبرها أنه يحبها، وأنه متأسف لأنه سيغيب؟ لم يكن آسفاً وكلاهما يعرفان ذلك. هذا ما يحب فعله، التجول في العالم، الاستمتاع بعمله وشهرته. إنه يعشق ذلك. صعد إلى السرير، واستلقيا هناك لبعض الوقت، مستيقظين، متأملين، صامتين.

"هل أنت غاضبة لأنني سأغيب طويلاً؟"

هزّت رأسها. "لا، لست غاضبة، آسفة. سأشتاق إليك. كثيراً".

"سيمضي الوقت بسرعة". لم تجب، وأسند نفسه على مرفق واحد لرؤية وجهها في الغرفة المظلمة. "أنا آسف ديانا".

"وأنا أيضاً". مرر يده برفق عبر شعرها وابتسم لها، فأدارت رأسها ببطء لتنظر إليه.

"لا تزالين جميلة جداً، ديانا. هل تعرفين ذلك؟ أنتِ أجمل حتى مما كنتِ قبلاً. جميلة جداً بالفعل". لكنها لا تريد أن تكون جميلة، تريد أن تكون له،

مثلما كانت قبل زمن بعيد. ديان خاصته. "ستكون بيلار جميلة جداً ذات يوم أيضاً". قال ذلك بفخر.

"إنها كذلك". قالت ديانا بخيبة أمل، من دون غضب.

"هل تغارين منها؟"

بدا أنه يحب الفكرة، وتساءلت ديانا. يجعله ذلك ربما يشعر بالأهمية. أو الشباب. لكنها أجابته في أية حال. لمَ لا؟

"نعم، أحياناً، أغار منها. أحب أن أعود شابة مجدداً، حرة، واثقة مما تدين لي الحياة به. كل شيء واضح في عمرها: تستحق الأفضل، تحصل على الأفضل. اعتدت على التفكير بهذه الطريقة أنا أيضاً".

"والآن، ديانا؟ هل سددت لك الحياة كل ديونها؟"

"نوعاً ما". كشفت عيناها عن بعض الحزن حين التقتا بعينيه. للمرة الأولى منذ سنوات، تذكر اليتيمة ابنة الثمانية عشر عاماً التي جلست أمام مكتبه وهي ترتدي فستان ديور الأسود الصغير. تساءل ما إذا جعلها فعلاً غير سعيدة، ما إذا كانت تريد المزيد. لكنه أعطاها الكثير. المجوهرات، السيارات، الفرو، والمنـــزل. كل الأشياء التي تريدها معظم النساء. ما الذي يمكن أن تريده بعد؟ نظر إليها لوقت طويل، والتساؤل في عينيه، ثم تجعد وجهه عندما خطرت له فكرة مفاجئة. هل يحتمل أنها لا تفهم فعلاً؟

"ديانا...؟". لم يشأ السؤال، لكن توجب عليه فعل ذلك فجأة. ثمة الكثير في عينيها. "هل أنت غير سعيدة؟"

نظرت إليه بقوة، وأرادت أن تقول نعم. لكنها خافت. ستخسره. سيتركها، ومن ثم ماذا؟ لا تريد أن تخسر مارك. تريد المزيد منه.

"هل أنتِ غير سعيدة؟" كرّر السؤال، وبدا متألماً لإدراك حقيقة الجواب. ليست بحاجة إلى قول الكلمات. فجأة، اتضح كل شيء. حتى بالنسبة إليه.

"أحياناً. وأحياناً لا. في معظم الأوقات، لا أفكّر في ذلك. أشتاق... أشتاق إلى الأيام الماضية، حين التقينا، حين كنا شابين جداً". كان صوتها خافتاً جداً



حين قالت ذلك.

"لقد كبرنا، ديانا. لا يمكنك تغيير ذلك". انحنى نحوها، ولمس ذقنها بيده، كما لو أنه يريد تقبيلها. لكنّ يده ابتعدت، تماماً مثل الفكرة. "كنتِ شابة ساحرة جداً". ابتسم لذكرى ما شعر به. "كرهت والدك لتركك وسط تلك الفوضى".

"وأنا أيضاً. لكن هكذا كان. لقد عقدت الصلح مع كل ذلك".

"فعلاً؟" أومأت برأسها. "هل أنتِ أكيدة؟"

"ولمَ لا يجدر بـــي ذلك؟"

"لأنني أظن أحياناً أنك ما زلت تكرهينه. أظن أن هذا هو السبب الذي يجعلك تستمرين في الرسم. لكي تثبتي لنفسك أنكِ ما زلت قادرة على فعل شيء لوحدك، إذا اضطررتِ". حينها نظر إليها عن كثب، وقطّب حاجبيه. "لستِ مضطرة أبداً لذلك، أنتِ تعلمين. لن أتركك أبداً في الحالة التي تركك فيها والدكِ".

"لست قلقة بشأن ذلك. وأنت مخطئ. أنا أرسم لأنني أحب ذلك، لأن هذا جزء مني". لم يشأ أبداً تصديق ذلك، تصديق أن العمل الفني هو جزء من روحها.

لم يجب عليها، وإنما استلقى، وهو ينظر إلى السقف، يقلّب الأمور في عقله.

"هل أنتِ مستاءة جداً لأنني سأكون بعيداً طوال الصيف؟"

"أخبرتك. لا. سأكتفي بالرسم، والاسترخاء، والمطالعة، ورؤية بعض الأصدقاء".

"هل ستخرجين كثيراً؟" بدا قلقاً، وسرّت لذلك. كان حساساً جداً ليطرح مثل هذا السؤال.

"لا أعرف أيها السخيف. سأبلغك إذا طلب أحدهم يدي. أنا واثقة أنه ستكون هناك حفلات عشاء إعتيادية، حفلات موسيقية، وهذا النوع من الأمور". أومأ برأسه مجدداً، ولم يقل أي شيء. "مارك إدوار، هل تغار؟" بدت

الضحكة في عينيها، ثم ضحكت بصوت عالٍ حين التفتت للنظر في وجهه. "أوه، أنت تغار! لا تكن سخيفاً! بعد كل هذه السنوات؟"

"وهل من وقت أفضل؟"

"لا تكن سخيفاً، حبيبي. ليس هذا أسلوبي". عرف أنها تقول الصدق.

"أعرف ذلك. لكن لا أحد يعرف".

"كيف يمكنك قول شيء مثل هذا؟"

"لأن لديّ زوجة جميلة، يكون كل رجل مجنوناً إذا لم يقع في حبها". كان هذا الكلام الأكثر إتقاناً الذي صدر عنه منذ أعوام. أظهرت دهشتها.

"ماذا؟ تظنين أنني لم ألاحظ؟ ديانا، أنتِ السخيفة الآن. أنتِ إمرأة شابة وجميلة".

"جيد. إذاً لا تذهب إلى اليونان". ابتسمت له مجدداً، مثل فتاة شابة. لكنه لم يكن مسروراً هذه المرة.

"عليّ ذلك. وأنتِ تعرفين".

"حسناً. إذاً خذني معك". ثمة نبرة غير مألوفة في صوتها الآن، نصفها مزاح ونصفها جدية. لم يجب لوقت طويل.

"حسناً؟ هل أستطيع الذهاب؟"

هزّ رأسه. "لا، لا يمكنك".

"حسناً، إذن أظن أنه عليك أن تكون غيوراً". لم يتمازحا هكذا منذ سنوات وسنوات. لقد أدى ابتعاده لثلاثة أشهر إلى إيقاظ مشاعر غريبة جداً. لكنها لم تشأ الضغط عليه كثيراً. "فعلاً، حبيبي، لا يجدر بك القلق".

"أتمنى ذلك".

"مارك! توقف!" انحنت إلى الأمام، وتمددت نحو يده، وجعلها تأخذها بين يديها. "أحبك... هل تعرف ذلك؟"

"نعم. هل تعرفين أيضاً أنني أحبك؟"





أصبحت عيناها جديتين فيما نظرتا في عينيه. "أحياناً، لا أكون واثقة من ذلك". يكون دوماً مشغولاً جداً ليظهر لها أنه يحبها، ولم يكن هذا أسلوبه. لكنّ شيئاً ما أخبرها الآن أنها أصابت الهدف، وكانت مذهولة فيما راقبته. ألا يعلم؟ ألا يدرك ما فعله؟ الجدار الذي بناه حول نفسه، محاطاً بالعمل، وغيابه لأيام أو أسابيع، والآن لأشهر، وحليفته الوحيدة بيلار؟ "أنا آسفة، حبيبي. أفترض أنك تفعل ذلك. لكن عليّ أحياناً تذكير نفسي بالأمر".

"لكنني أحبك. عليك أن تعرفي ذلك".

"أظن أنني أعرف ذلك في قرارة نفسي". عرفت ذلك حين تذكرت اللحظات التي تشاركاها، المعالم الرئيسية في عمر طويل، الكفيلة بإخبار القصة. هذه هي الأسباب التي تجعلها تحبه حتى الآن.

تنهد. "لكنكِ تحتاجين إلى المزيد. أليس كذلك، حبيبتي؟" أومأت برأسها، وهي تشعر لبرهة أنها شابة وشجاعة. "تحتاجين إلى وقتي، وكذلك إلى حناني. تحتاجين... في النهاية، تحتاجين إلى ما لا أعطيه".

"ليس هذا صحيحاً. يمكنك إيجاد الوقت. يمكننا فعل بعض الأشياء التي اعتدنا عليها. يمكننا!" بدت مثل طفلة متذمرة، وكرهت نفسها على ذلك. بدت مثل الفتاة التي كانت تتشبث بوالدها ليأخذها معه. وكرهت أن تكون بحاجة إلى هذا الحدّ إلى شخص ما. لقد أقسمت منذ زمن بعيد ألا يحصل ذلك معها مجدداً. "أنا آسفة، أفهم". خفّضت عينيها، وانسحبت.

"هل تفهمين؟" كان يراقبها عن كثب.

"طبعاً".

"آه، ديان حبيبتي...". كانت عيناه مضطربتين حين أخذها بين ذراعيه. لم تلاحظ لأن عينيها كانتا مليئتين بالدموع أيضاً. لقد قالها أخيراً: "ديان حبيبتي..."

# 2

"لديك مال في المصرف يكفيك طوال فترة غيابي. لكن إذا احتجت إلى المزيد، اتصلي بدومينيك في المكتب، وستحول لكِ المال. أخبرت سوليفان أنني أريده أن يزورك مرتين على الأقل كل أسبوع. و..."

نظرت ديانا إلى زوجها متفاجئة. "طلبت من جيم أن يزورني؟ لماذا؟" جيم سوليفان هو الشريك الأميركي لمارك إدوار، وأحد الأميركيين القلائل الذين يحبهم فعلاً.

"لأنني أريد التأكد من أنكِ بخير، وسعيدة، ولديك كل ما تحتاجين إليه".

"شكراً، لكن من السخف إزعاج جيم".

"سيستمتع بالأمر. دعيه يرى آخر لوحاتك، وادعيه لتناول العشاء. إنني أثق به". نظر إلى زوجته بابتسامة. وابتسمت له.

"يمكنك الوثوق بـــي أنا أيضاً". طوال ثمانية عشر عاماً من زواجهما، لم تخدع مارك أبداً. ولن تبدأ الآن.

"أنا أثق بكِ. سأتصل بكِ قدر المستطاع. تعرفين أين أكون. إذا حصل أي شيء، اتصلي بي. سأعود إليك بأسرع ما يمكن، إذا لم أكن قد عدت". أومأت رأسها بهدوء عند سماع كلماته، ثم أخرجت تنهيدة صغيرة. إلتفت لينظر إليها في صمت الجاكوار. بدا القلق في عينيه لبرهة. "ستكونين على ما يرام، ديانا، أليس كذلك؟"

عثرت عيناها على عينيه، وأومأت برأسها. "نعم. سأكون بخير. لكنني سأشتاق إليك كثيراً".



كان ينظر إلى الخلف إلى الطريق. "سيمرّ الوقت بسرعة. إذا غيّرت رأيك، يمكنك الانضمام إلى أمي وبيلار في الكاب أنتيب". ابتسم لزوجته مجدداً. "لن تفعلي ذلك".

"لا، لن أفعل". ابتسمت له.

"عنيدة. ربما لهذا السبب أحبك ".

"هذا هو السبب؟ لطالما تساءلت". بدت شرارة المزاح في عينيها الآن فيما تأملت المظهر الجانبـــي الوسيم للرجل الجالس في السيارة. "ستعتني بنفسك، أليس كذلك؟ لا تعمل بكدّ كثيراً". لكنه تحذير عديم الجدوى، وهما يعرفان ذلك.

"لن أفعل". ابتسم لها بحنان.

"ستفعل".

"سأفعل".

"وستستمتع في كل دقيقة من ذلك". عرف كلاهما أن هذا صحيح أيضاً.

"أتمنى أن تنتهي قضية سالكو لصالحك".

"سيحصل ذلك. يمكنك التأكد من هذا".

"مارك إدوار دوراس، أنت فظ جداً. هل أخبرك أحد بذلك قبل اليوم؟"

"فقط المرأة التي أحبها". تمدد للمس يدها فيما أخذ المنعطف المؤدي إلى طريق المطار، ولمست هي أصابعه برفق. جعلها ذلك تفكر في الليلة الفائتة، والتشابك النادر لجسديهما الذي تحبه كثيراً. ديان حبيبتي... 'أحبك، حبيبتي'. شدّت يده نحو شفتيها، وقبّلت أطراف أصابعه برفق. "أتمنى لو كان لدينا المزيد من الوقت".

"وأنا أيضاً. سيحصل ذلك في أحد الأيام".

نعم... لكن متى؟ أعادت يده بعناية إلى المقعد، وتركت أصابعها مشبوكة في أصابعه.

"حين تعود، هل تعتقد أننا نستطيع الذهاب إلى مكان ما، لقضاء عطلة؟" راقبته، واتسعت عيناها مثل الأطفال. لا تزال تريده، تريد أن تكون معه، أن تكون له. بعد كل هذه السنوات، لا تزال تهتم. يفاجئها أحياناً مدى توقها إلى ذلك.

"إلى أين تحبين الذهاب؟"

"إلى أي مكان. بحيث نكون معاً، ولوحدنا".

نظر إليها لبرهة طويلة فيما وصلا إلى المحطة، وفكّرت ديانا لبرهة أنها رأت الندم في عينيه. "سنفعل ذلك. ما إن أعود". ثم بدا أنه يلتقط أنفاسه. "ديانا، أنا..."

انتظرت، لكنه لم يقل المزيد. اكتفى بوضع ذراعيه حولها وضمها إليه. وضعت هي أيضاً ذراعيها حوله وضمته إليها. أغمضت عينيها بقوة. إنها تحتاج إليه أكثر مما يعرف. انهمرت الدموع ببطء على وجهها. شعر بها ترتجف بين ذراعيه فأبعدها لينظر إليها بدهشة.

"أنت تبكين؟"

"قليلاً". أجابته بالفرنسية. ابتسم. لقد مضى وقت طويل لم تجبه بالفرنسية. "أتمنى لو كنت غير مجبر على الذهاب". فقط لو يستطيع البقاء، لو يستطيعان تشارك بعض الوقت من دون بيلار...

"وأنا أيضاً". لكنّهما عرفا أن هذا كذب. أخرج المفتاح من السيارة، وفتح الباب، وأشار إلى حمّال.

مشت ديانا بهدوء قربه، تائهة في أفكارها، إلى أن وصلا إلى قاعة الدرجة الأولى حيث يرتاح عموماً في انتظار الطائرة. جلست على كرسي بالقرب منه، وابتسمت له. لكنه أصبح مختلفاً، وابتعد، ونسي اللحظة في السيارة. تحقق من الأوراق في حقيبته، ونظر إلى ساعته. لديه عشر دقائق، وبدا فجأة مستعجلاً جداً للمغادرة.



"إذاً، هل نسينا مناقشة أي شيء في السيارة؟ هل من رسالة لبيلار؟"

"أبلغها حبي. هل ستتوقف هناك قبل الذهاب إلى أثينا؟"

"لا. سأتصل بها الليلة".

"وأنا أيضاً؟" راقبت الثواني تتكتك في الساعة العملاقة على الجدار.

"وأنتِ أيضاً. ألن تخرجي؟"

"لا. لديّ بعض العمل الذي أريد إنهاءه في الاستوديو".

"يجدر بك فعل شيء مسلٍ، كي لا تشعري بالوحدة".

لن أشعر، أنا معتادة على ذلك. لكنها مجدداً لم تلفظ الكلمات. "سأكون على ما يرام". وضعت ساقاً فوق الأخرى ونظرت إلى حرجها. ارتدت فستاناً جديداً من الحرير بلون الخزامى، ووضعت قرطي أذنين من اليشب الأرجواني المحاط بالماس أحضرهما لها من هونغ كونغ، لكنه لم يلاحظ ذلك. فقد كان عقله يركز على أشياء أخرى.

"ديانا؟"

"همم". نظرت إلى الأعلى لتجده واقفاً قربها، يحمل حقيبته في يده وابتسامة النصر الاعتيادية في عينيه. إنه ذاهب إلى المعارك الآن، حر مجدداً. "هل حان وقت الذهاب؟" الآن؟ بهذه السرعة؟ أومأ برأسه، فنهضت، وهي تشعر أنها قزم مقارنة بحجمه الكبير، وإنما الرفيق المثالي قربه. كانا ثنائياً لافتاً جداً للنظر. لطالما كانا كذلك. حتى السيدة دوراس، أمه الباردة، اعترفت ذات مرة بذلك.

"لستِ بحاجة إلى الذهاب معي حتى البوابة". بدا شارد الذهن.

"لا، لكنني أودّ ذلك. هل أستطيع؟"

"طبعاً". أمسك الباب لها، ودخلا إلى زحمة المحطة، فتاها فجأة وسط جيش المسافرين الذين يحملون الحقائب والهدايا والغيتارات. وصلا بسرعة إلى البوابة، والتفت لينظر إليها بابتسامة. "سأتصل بكِ الليلة".

"أحبك".

لم يجبها، لكنه انحنى لتقبيل أعلى رأسها، ثم توجه إلى الممر المؤدي إلى الطائرة من دون أن ينظر إليها أو يلوّح لها. راقبته حتى اختفى، ثم استدارت ببطء، ومشت بعيداً. أحبك. رنّت كلماتها في رأسه. لكنه لم يجب. لقد رحل.

صعدت في السيارة الموجودة في المرآب، وأدارت المفتاح وهي تتنهد، وتوجهت إلى المنـــزل.

صعدت بسرعة إلى الأعلى لتبديل ملابسها، وغاصت في أفكارها داخل الاستوديو طوال بعد الظهر. رسمت وهي شاردة الذهن، وخرجت أخيراً إلى المصطبة لتنشق بعض الهواء. وحين طرقت مارغريت بهدوء على باب الاستوديو، التفتت ديانا متفاجئة، فيما دخلت الخادمة بتردد إلى الغرفة.

"سيدة دوراس... أنا آسفة...". عرفت كم تكره ديانا أن يزعجها أحد هنا، لكنها لا تملك أي خيار بين الحين والآخر. لقد قطعت ديانا هاتف الاستوديو.

"هل من مشكلة؟" بدت ديانا شاردة الذهن، وهي تقف هناك بشعرها المنسدل فوق كتفيها، ويديها داخل جيبـــي سروال الجينـــز.

"لا. السيد سوليفان في الأسفل ويريد رؤيتك".

"جيم؟" ثم تذكرت وعد مارك إدوار بأن يأتي جيم لزيارتها. لم يبدد الوقت بلا شك. إنه مخلص دوماً لأوامر شريكه. "سأنزل على الفور".

أومأت مارغريت برأسها. لقد فعلت الشيء الصحيح. عرفت أن ديانا لا تريده أن يصعد إلى الأعلى إلى الاستوديو. أرشدته إلى غرفة الجلوس الخضراء، وعرضت عليه فنجان شاي، لكنه رفضه مع ابتسامة. إنه مختلف جداً عن مارك إدوار، ولطالما أحبته مارغريت. إنه أميركي صارم، ويسهل التعامل معه، وتظهر دوماً في عينيه الابتسامة الإيرلندية الغنية.

وجدته ديانا واقفاً أمام النافذة، ينظر إلى الضباب الصيفي الذي يغطي



الخليج ببطء. بدا الضباب أشبه بكرات من القطن الأبيض، يسحبها خيط غير منظور، تطفو بين دعائم الجسر، وتتدلى وسط الهواء فوق المراكب الشراعية.

"مرحباً، جيم".

"سيدتي". انحنى أمامها بلباقة، وأراد تقبيل يدها، لكنها لوحت بيدها بعيداً مع قهقهة عالية، وقدمت له خدها، فقبله بقوة. "عليّ الاعتراف أنني أفضل ذلك. فتقبيل الأيدي هو فنّ لم أُجده أبداً. لا تعرفين أبداً ما إذا كنّ يردن مصافحتك أو يتوقعن قبلة منك. في بعض الأحيان، كدت أكسر أنفي نتيجة الأيدي التي أرادت المصافحة".

ضحكت لما قاله وجلست. "عليك الطلب من مارك أن يعطيك دروساً. إنه عبقري في ذلك. إنه الجانب الفرنسي لديه أو الحاسة السادسة. هل تشرب شيئاً؟"

"أودّ ذلك". خفّض صوته إلى درجة الهمس. "رأت مارغريت على ما يبدو أنه يجدر بـــي تناول الشاي".

"كم هذا فظيع".

كانت تضحك مجدداً، وراقبها بإعجاب فيما فتحت خزانة صغيرة، وأخرجت منها كأسين وقنينة شراب إسكتلندي.

"هل تشربين، ديانا؟" قال ذلك بطريقة عفوية، لكنه كان متفاجئاً. لم يشاهدها أبداً وهي تشرب الشراب الإسكتلندي. كان مارك إدوار محقاً ربما في أن يقترح عليه المرور بالمنـــزل. لكنها هزّت رأسها.

"أظن أنني سأشرب بعض الماء المثلج. هل قلقت؟" نظرت إليه بسرور فيما عادت مع كأسه.

"قليلاً".

"لا تقلق، حبي. لم أتذوق القنينة بعد". بدت عيناها ماكرتين فجأة فيما ارتشفت القليل من كأسها، ووضعته بعناية على طاولة رخامية. "لكنّ الصيف

سيكون طويلاً جداً". تنهدت ونظرت إليه مبتسمة. تمدد برفق نحوها، وربّت على يدها.

"أعرف. ربما يمكننا الذهاب إلى السينما أحياناً".

"أنت رائع فعلاً، لكن أليس لديك شيء أفضل لتقوم به؟" تعرف أن لديه. فهو مطلق منذ أربعة أعوام، ويعيش مع عارضة أزياء جاءت من نيويورك قبل بضعة أشهر. إنه يعشق هذا النوع، ولطالما أحبته تلك النساء. طويل، وسيم، رياضي الجسم، مع عينين زرقاوين، وشعر أسود غزاه الشيب قليلاً. إنه النقيض المثالي لمارك إدوار من كل النواحي. فهو متساهل فيما مارك إدوار رسمي. إنه أميركي بالكامل على عكس أسلوب مارك الأوروبـــي تماماً. إنه متواضع جداً على عكس فظاظة مارك إدوار غير المخفية تماماً. لطالما شعرت ديانا بالدهشة لأن مارك إدوار اختار جيم شريكاً له، لكنه كان خياراً حكيماً. فذكاء مارك الخاص يتطابق مع ذكاء جيم. يسطع نجم كل منهما بطريقة مختلفة، ويتحرك كل واحد في فلكه الخاص المنفصل. نادراً ما كان آل دوراس يلتقون بجيم في المناسبات الاجتماعية. فهو مشغول دوماً في حياته الخاصة، ومجموعته من العارضات، التي تقتصر الآن على عارضة واحدة. لم يستمر جيم أبداً لوقت طويل مع أية امرأة.

"ماذا تفعل هذه الأيام؟"

ابتسم لها. "عمل، لعب، كالمعتاد. وأنتِ؟"

"أعمل في الاستوديو. أيضاً كالمعتاد". تقلل من أهمية الأمر، مثلما تفعل دوماً.

"ماذا عن هذا الصيف؟ هل خططت لأية مشاريع؟"

"ليس بعد. لكنني سأفعل. ربما قد أذهب لزيارة بعض الأصدقاء في سانتا باربارا أو شيء من هذا القبيل".

"يا إلهي". جعل وجهه مريعاً، فضحكت لذلك.



"ما المشكلة في ذلك؟"

"لا بد أن عمرك ثمانون عاماً حتى تستمتعي بذلك. لماذا لا تذهبين إلى بيفرلي هيلز؟ إدعي أنكِ نجمة سينمائية، وتناولي الغداء في بولو لونغ، ودللي نفسك".

"هل هذا ما تفعله؟" ضحكت للفكرة.

"طبعاً. في نهاية كل أسبوع". ضحك ووضع كأسه الفارغة على الطاولة، وألقى نظرة سريعة على ساعته. "لا تهتمي. سأنظم لك برنامجك خلال وقت قصير. لكن في الوقت الحاضر"– بدا نادماً– "عليّ الركض".

"شكراً على مرورك بي. كان بعد الظهر طويلاً جداً. الجو غريب مع غيابهما معاً".

أومأ برأسه، وبدا فجأة حزيناً. تذكر هذا الشعور حين تركته زوجته وولداه للمرة الأولى. ظن أنه سيصاب بالجنون، من مجرد الصمت.

"سأتصل بكِ".

"جيد. وجيم"– نظرت إليه لبرهة طويلة– "شكراً".

داعب شعرها الداكن الطويل، وقبّل جبينها، ورحل، وهو يلوّح لها فيما صعد إلى سيارة البورش السوداء، معتبراً أن مارك مجنون فعلاً. ديانا دوراس هي امرأة كان ليتخلى عن كل شيء ليحصل عليها. لا شك في أنه ذكي جداً لعدم اللعب بهذه النار، لكنه ما زال يعتبر دوراس مجنوناً. بحق الله، يبدو أن مارك لم يدرك كم هي رائعة الجمال. أو هل فعل؟ تساءل جيم سوليفان فيما قاد سيارته بعيداً، وأغلقت ديانا الباب بهدوء.

ألقت نظرة خاطفة على ساعتها، ورأت أن مرور جيم بها لطيف فعلاً، وتساءلت متى سيتصل بها مارك. لقد وعدها بأن يتصل بها هذه الليلة.

لكنه لم يفعل أبداً. وصلتها بدل ذلك برقية في الصباح:

إنني ذاهب إلى أثينا. وقت غير ملائم للاتصال. الكل جيد. بيلار بخير.

مارك

رسالة مقتضبة وواضحة. لكن لماذا لم يتصل. 'وقت غير ملائم للاتصال'، قرأت العبارة مجدداً. غير ملائم. غير ملائم.

قطع رنين الهاتف أفكار ديانا، فيما كانت تقرأ برقية مارك مجدداً. لقد حفظتها عن ظهر قلب.

"ديانا؟" أخرجها الصوت القوي من حلمها. إنها كيم هافتون. تعيش في مكان مجاور، لكنّ حياتها مختلفة جداً. متزوجة مرتين، مطلقة مرتين، مستقلة إلى الأبد، وحرة تماماً. ذهبت إلى مدرسة الفنون مع ديانا، لكنها أصبحت الآن قوة إبداعية في مجال الإعلانات، لأنها لم تكن يوماً فنانة جيدة. وكانت الصديقة الوحيدة المقربة من ديانا.

"مرحباً كيم. ما الجديد في حياتك؟"

"لا شيء مهم. كنت في لوس أنجلوس ألاطف أحد زبائننا الجدد. يتحدث الحقير عن إلغاء الصفقة. وهي لي". ذكرت اسم سلسلة وطنية من الفنادق، تولت هي مهمة إعلاناتها. "هل تريدين تناول الغداء؟"

"لا أستطيع. أنا مشغولة".

"بماذا؟" بدا الشك في صوتها. إنها تعرف دوماً متى تكذب ديانا.

"غداء خيري. عليّ الذهاب".

"إلغيه. سأكون أنا جمعيتك الخيرية. أحتاج إلى بعض النصائح. أنا مكتئبة". ضحكت ديانا. لا تصاب كمبرلي هافتون أبداً بالاكتئاب. حتى طلاقها مرتين لم يجعلها مكتئبة. انتقلت بسرعة إلى أرض أكثر خصوبة. في أقل من أسبوع عادة. "هيا، حبي، فلنذهب إلى مكان ما لتناول الغداء. أحتاج إلى التنفس والخروج من هذا المكان".



"وأنا أيضاً". نظرت ديانا إلى روعة المخمل والحرير الأزرق في غرفة نومها، محاولة كبح الشعور بالحزن. ولبرهة، انهار صوتها على الهاتف.

"ماذا يعني ذلك؟" سألت كيم.

"يعني، أيتها السخيفة، أن مارك مسافر. سافرت بيلار قبل يومين، فيما سافر مارك صباح البارحة".

"ياإلهي. ألا تستمتعين بذلك؟ لا تحصلين غالباً على مثل هذه الإجازة، مع وجودهما معاً بعيدين. لو كنت مكانك لمشيت عارية في غرفة الجلوس ودعوت كل أصدقائي".

"فيما لا أزال عارية أو بعد أن أرتدي ثيابي؟" وضعت ديانا ساقيها على جانب الكرسي، وضحكت.

"لا يهم. اسمعي، في هذه الحالة، انسي أمر الغداء. ما رأيك في العشاء الليلة؟"

"هذا جيد. بهذه الطريقة، أستطيع إنجاز بعض العمل في الاستوديو خلال بعد الظهر". استطاعت ديانا تخيل كيم وهي تبتسم. "حسناً".

"اذهبـــي إلى الجحيم".

"شكراً. العشاء في تمام السابعة في مطعم ترايدر فيك؟"

"سألاقيك هناك".

"إلى اللقاء". أقفلت السماعة، تاركة ديانا مع ابتسامة. الحمد لله أنه توجد كيم.

"تبدين رائعة. فستان جديد؟" نظرت كمبرلي هافتون فوق كأسها عندما وصلت ديانا، وتبادلت المرأتان ابتسامة الأصدقاء القدامى. بالفعل، بدت ديانا رائعة في فستان الكاشمير الأبيض الملتصق بجسمها، مع شعرها الداكن وعينيها الخضراوين.

"أنت أيضاً لا تبدين سيئة". تملك كيم ذلك الجسم الذي يحبه الرجال؛ الغني، والممتلئ، والذي يعد بالكثير. رقصت عيناها الزرقاوان، وسحرت ابتسامتها كل من رآها. لا تزال تقص شعرها قصيراً مع تجاعيد شقراء مثلما فعلت طوال العشرين عاماً الماضية. إنها لا تملك أناقة ديانا، لكنها تملك دفئاً لا يقاوم، وطريقة معينة في اختيار ملابسها. تبدو دوماً وكأن هناك عشرة رجال في خدمتها، وهذه هي الحال فعلاً. أو على الأقل رجل واحد أو اثنان. إنها ترتدي الليلة سترة وسروالاً من المخمل الأزرق مع قميص من الحرير الأحمر، غير مزرر كفاية بحيث كشف عن الكثير من صدرها وعن ماسة واحدة مُعلّقة في سلسلة ذهبية قصيرة ومنطبقة بإحكام بين ثدييها الممتلئين. "شيء للفت النظر". وكأنها بحاجة إلى المساعدة!

طلبت ديانا مشروباً وجلست في مقعدها، ووضعت معطف الفرو على الكرسي. لم تهتم له كيم ولم تتأثر به. لقد ترعرعت في ذلك العالم ولا ترغب أبداً في المال أو الفرو، وإنما فقط في الاستقلالية والأوقات الجيدة. إنها تحرص دوماً على الاستمتاع كثيراً بالأمرين معاً.

"إذاً ما الجديد؟ هل تستمتعين بحريتك؟"

"نوعاً ما. في الواقع، أجد هذه المرة صعوبة في التكيف مع المسألة". تنهدت ديانا، وارتشفت القليل من مشروبها.

"يا إلهي، نظراً لكثرة ما يسافر مارك، ظننت أنك أصبحت معتادة على الأمر الآن. بالإضافة إلى ذلك، يفيدك القليل من الاستقلالية".

"ربما. لكنه سيغيب ثلاثة أشهر. يبدو لي هذا دهراً".

"ثلاثة أشهر؟ كيف حصل ذلك؟" فقَد صوت كيم فجأة إشراقه المتلألئة، وبدا السؤال في عينيها.

"لديه قضية كبيرة بين باريس وأثينا. من غير المنطقي بالنسبة إليه أن يأتي إلى المنـزل خلال هذا الوقت".



"أو أن تذهبـي أنتِ إليه؟"

"لا يبدو ذلك ممكناً".

"ماذا يعني ذلك؟ هل سألته؟" كان الأمر أشبه باستجواب الأم. ابتسمت ديانا فيما نظرت إلى صديقتها.

"نوعاً ما. سيكون مشغولاً، وإذا ذهبت أنا سأبقى عالقة مع السيدة دوراس".

"احذفي هذا الاحتمال". لقد سمعت كيم كل القصص المتعلقة بوالدة مارك إدوار التي لا تطاق.

"تحديداً، رغم أنني لم أشرح الأمر بهذه الطريقة أمام مارك. إذاً، هكذا. سأكون لوحدي خلال الصيف".

"وتكرهين كل دقيقة منه بعد مرور يومين فقط. صح؟ صح". أجابت على سؤالها بنفسها. "لمَ لا تذهبين إلى مكان ما؟"

"إلى أين؟"

"يا الله، ديانا، أي مكان. أنا واثقة من أن مارك لن يمانع".

"ربما لا، لكنني لا أحب السفر لوحدي". لم تفعل ذلك أبداً. لطالما سافرت مع والدها، ومن ثم مع بيلار ومارك. "بالإضافة إلى ذلك، إلى أين سأذهب؟ قال جيم سوليفان إن ساننا باربارا ستكون مضجرة". بدت يائسة فيما قالت ذلك، وضحكت كمبرلي.

"إنه محق. الفتاة الغنية المسكينة. ماذا عن الذهاب معي غداً إلى كارمل؟ عليّ الذهاب إلى هناك للقاء زبون في عطلة نهاية الأسبوع. يمكنك أن تأتي معي إذا شئت".

"هذا سخيف، كيم، سأعترض طريقك". لكنها أحبت الفكرة لبرهة. لم تذهب إلى كارمل منذ أعوام، وهي ليست بعيدة جداً، إذ تبعد فقط ساعتين بالسيارة عن المدينة.

"لماذا ستعترضين طريقي؟ لن أقيم علاقة غرامية مع هذا الرجل بحق الله، وسأستمتع برفقتك. سيكون الأمر مضجراً إذا ذهبت لوحدي".

"ليس لوقت طويل". نظرت بطريقة ثاقبة إلى صديقتها، وضحكت كيم.

"أرجوك، سمعتي!" ابتسمت ابتسامة عريضة لديانا، ثم أحنت رأسها إلى جانب واحد، وهزّت هالة التجاعيد الشقراء الناعمة. "فعلاً، هل تأتين معي؟ سأحب ذلك".

"سأرى".

"لا، ستأتين. اتفقنا؟ اتفقنا".

"كمبرلي..." بدأت ديانا تضحك.

"سأمرّ بك عند الخامسة والنصف". ابتسمت كمبرلي ابتسامة النصر.



# 3

ضغطت كمبرلي على الزمور (بوق السيارة) مرتين حين وصلت أمام المنــزل، وألقت ديانا نظرة خاطفة عبر نافذة غرفتها قبل أن تحمل حقيبتها وتركض مسرعة على السلالم. شعرت كأنها فتاة مجدداً، ذاهبة في مغامرة خلال عطلة نهاية الأسبوع مع صديقة. حتى سيارة كيم لم تكن واحدة يقودها شخص ناضج. إنها سيارة أم جي قديمة مطلية باللون الأحمر الساطع. وصلت ديانا إلى الباب بعد برهة، وهي ترتدي سروالاً رمادياً وكنــزة رمادية، وتحمل حقيبة كبيرة من الجلد البني.

"على الوقت. كيف كان يومك؟"

"مقرف. لا تسألي".

"حسناً، لن أسأل". تحدثتا بدل ذلك عن كل شيء آخر: كارمل، آخر لوحة رسمتها ديانا، بيلار وأصدقاؤها.

وأخيراً، غاصتا في صمت مريح. وصلتا تقريباً إلى كارمل حين ألقت كمبرلي نظرة خاطفة على صديقتها وشاهدت تلك النظرة الكئيبة في عينيها.

"سنت مقابل أفكارك".

"هذا فقط؟ اللعنة، إنها تستحق على الأقل خمسة أو عشرة سنتات". حاولت الضحك لإبعاد أفكارها، لكن كيم ليست غبية.

"حسناً. سأعطيك عشرة سنتات. لكن دعيني أحزر. تفكرين في مارك؟"

"نعم". كان صوت ديانا هادئاً فيما نظرت خارجاً إلى البحر.

"هل تشتاقين فعلاً إليه إلى هذا الحدّ؟" لطالما حيّرت علاقتهما كيم. بدا لها

الأمر في البداية أشبه بزواج مصلحة، رغم أنها تعرف تماماً أنه ليس كذلك. لقد أحبته ديانا. ربما أحبته كثيراً.

نظرت ديانا بعيداً. "نعم، أشتاق إليه إلى هذا الحدّ. هل يبدو هذا سخيفاً بالنسبة إليك؟"

"لا. محط إعجاب ربما. شيء من هذا القبيل".

"لماذا؟ لا علاقة للإعجاب بذلك".

ضحكت كيم، وهزت رأسها. "حبيبتي، إن قضاء ثمانية عشر عاماً مع رجل واحد هو أكثر من شيء مثير للإعجاب بالنسبة إليّ. إنه أمر بطولي".

ابتسمت ديانا لصديقتها. "لماذا بطولي؟ أنا أحبه. إنه رجل وسيم، ذكي، ساحر، وفاتن". كما أن ممارسة الحب معه في الليلة التي سبقت رحيله جددت شيئاً في قلبها.

"نعم، هو كذلك". أبقت كيم عينيها على الطريق فيما قالت ذلك، لكنها وجدت نفسها تتساءل ما إذا كان هناك المزيد. إذا كان هناك جانب من مارك دوراس لا يعرفه أحد، جانب دافئ، جانب محب، بُعد آخر لصاحب الوسامة والسحر غير المحدودين. جانب إنساني يضحك ويبكي وهو حقيقي. سيجعله ذلك رجلاً يستحق الحب، بالنسبة إلى كيم.

"سيكون صيفاً طويلاً جداً". أطلقت ديانا تنهيدة صغيرة. "أخبريني عن زبونك. هل هو جديد؟"

"نعم. أصرّ على عقد هذا اللقاء في كارمل. إنه يعيش في سان فرانسيسكو، لكنه يملك منــزلاً هنا. إنه في طريقه إلى لوس أنجلوس، ورأى أن هذا مكان أفضل لمناقشة الصفقة".

"كم هو لطيف".

"جداً". ابتسمت كيم لديانا.

كانت الساعة الثامنة تقريباً حين وصلتا أمام الفندق. خرجت كمبرلي من



سيارة الأم جي، وهزّت تجاعيد شعرها، وألقت نظرة سريعة على ديانا التي حاولت الخروج من السيارة مع ابتسامة عريضة.

"هل تظنين أنكِ ستنجحين؟ أعترف أن هذه ليست أفضل وسيلة للسفر".

"سأنجح". نظرت ديانا حولها إلى البيئة المألوفة. في الأيام الأولى من زواجهما، غالباً ما أتت هي ومارك إلى كارمل لقضاء عطلات نهاية الأسبوع. تجولا بين المحلات، وتناولا العشاء على ضوء الشموع، ومشيا أميالاً عدة على الشاطئ. شعرت بالقليل من الحلاوة المرّة لتواجدها هنا مجدداً، وهذه المرة من دونه.

كان الفندق صغيراً وجميلاً مع واجهة ريفية فرنسية، وأطر للنوافذ مطلية بألوان فرحة، ومحاطة بأزهار جميلة. في الداخل، هناك مقاعد خشبية منخفضة، ومدفأة كبيرة محاطة بأوانٍ نحاسية، وورق أزرق للجدران مُطبّع بنقوش بيضاء صغيرة. إنه من الفنادق التي يحبها مارك. فهو يبدو فرنسياً جداً.

سجلت كمبرلي اسمها في مكتب الاستقبال، ثم سلّمت القلم إلى ديانا. "طلبتُ غرفتين متحاذيتين. هل يرضيك ذلك؟" أومأت ديانا برأسها وهي تشعر بالارتياح. لقد أرادت الإقامة في غرفة لوحدها، ولم تكن ترغب فعلاً في تشارك الغرفة مع كيم.

"يبدو ذلك جيداً". سجلت اسمها وعنوانها على البطاقة، ثم لحقتا الحمال إلى غرفتيهما.

بعد خمس دقائق، سمعت ديانا طرقة على الباب.

"هل ترغبين في شرب الكولا، ديانا؟ اشتريت قنينتين من الآلة الموجودة في الردهة". تمددت كيم بجسمها الطويل والممتلئ على سرير ديانا، وأعطتها قنينة باردة مثل الثلج.

ارتشفت ديانا الكولا، ثم جلست على كرسي مبتسمة ومتنهدة. "يبدو لي

رائعاً التواجد هنا. أنا سعيدة لأنني أتيت".

"وأنا أيضاً. كانت الرحلة مضجرة لولاك. يمكننا حتى العثور على بعض الوقت ربما للتسوق من المحلات غداً حين أنهي عملي. أو تفضلين العودة إلى المدينة بعد ظهر غد؟ هل لديك مشاريع؟"

"على الإطلاق. قد لا أعود أبداً. المنــزل مثل القبر من دون مارك وبيلار".

رأت كمبرلي أنه شبيه بالقبر أيضاً خلال وجودهما، لكنها لم تقل أي شيء لصديقتها. عرفت أن ديانا تحب المنــزل، وأن استقرار عائلتها يعني لها الكثير. التقت كمبرلي بديانا في كلية الفنون، بعد فترة وجيزة من موت والد ديانا وتركها مفلسة ووحيدة. رأتها وهي تكافح للعيش بالمال القليل الذي جنته من عملها. كانت موجودة أيضاً حين بدأ مارك بمغازلة ديانا، وشاهدت ديانا وهي تعتمد عليه أكثر وأكثر، إلى أن أصبحت تشعر بالعجز من دونه. شاهدت مارك وهو يضع صديقتها تحت جناحه، بحنان، بطريقة لا تقاوم، وبتصميم رجل يرفض الخسارة. وشاهدت ديانا تعيش هكذا لفترة عقدين من الزمن تقريباً، آمنة، محمية، مختبئة، ومصرّة على أنها سعيدة. ربما كانت كذلك. لكن كيم غير واثقة أبداً.

"هل من مكان خاص تريدين الذهاب إليه لتناول العشاء؟" شربت كيم آخر جرعة من الكولا فيما طرحت السؤال.

"الشاطئ". نظرت ديانا بتوق إلى البحر عبر النافذة.

"الشاطئ؟ لا أعرفه". بدت كيم غامضة، وضحكت ديانا.

"لا، لا. ليس مطعماً. أقصد أنني أريد الذهاب للمشي على الشاطئ".

"الآن؟ في هذه الساعة؟" كانت الثامنة والنصف فقط، وكان الليل قد بدأ بإرخاء أولى ظلاله، لكن كيم كانت جائعة لبدء سهرتها بجولة. "لماذا لا تتركين هذا حتى الغد بعد لقائي بالزبون الجديد؟" كان واضحاً أن كيم غير متحمسة



لركوب الأمواج والرمل الأبيض. لكنّ ديانا كانت متحمسة.

هزّت رأسها بحزم، ووضعت قنينة الكولا. "لا. لا أستطيع الانتظار إلى هذا الحدّ. هل ستغيرين ملابسك قبل أن نخرج؟" أومأت كيم برأسها. "جيد. إذاً، سأذهب أنا في نزهة ريثما تبدلين ملابسك. سأذهب كما أنا". لا تزال كنــزة الكاشمير والسروال الرمادي يبدوان رائعين بعد الرحلة.

"لا تتوهي على الشاطئ".

"لن أفعل". ابتسمت ديانا لكيم ببراءة. "أشعر أنني فتاة صغيرة. لا أستطيع الانتظار حتى أخرج وألعب". *وأنظر إلى غروب الشمس، وآخذ نفساً عميقاً من هواء البحر... وأتذكر الأيام التي كنا فيها أنا ومارك نمشي على ذلك الشاطئ يداً بيد*. "سأعود خلال نصف ساعة".

"لا تستعجلي. سآخذ حماماً ساخناً. لسنا على عجلة من أمرنا. يمكننا تناول العشاء في التاسعة والنصف أو العاشرة". ستحجز كيم طاولة في غرفة الطعام الرزينة ذات الطراز الفيكتوري في فندق باين إين.

"أراكِ لاحقاً". اختفت ديانا وهي تلوّح مبتسمة، بعد أن ارتدت سترتها، وحملت وشاحاً في يدها. عرفت أن الريح ستكون قوية على الشاطئ. وعندما خرجت من الفندق، كان الضباب يلف المنطقة.

مشت في الشارع الرئيسي لكارمل، وشقت طريقها بين السياح القلائل الذين لم يجلسوا بعد إلى طاولات العشاء أو يذهبوا إلى فنادقهم، فيما الأولاد يثرثرون حولهم، وأيديهم مليئة بالبضائع التي اشتروها من المحلات، ووجوههم مرتاحة ومسترخية. ذكّرها ذلك بالأيام التي كانت تأتي فيها هي ومارك إلى هنا مع بيلار. كانت بيلار في التاسعة تقريباً، وانضمت إليهما في إحدى نزهاتهما على الشاطئ، فراحت تجمع عيدان الخشب والأصداف، وتركض أمامهما ثم تعود لتبلغهما باكتشافاتها، فيما مارك وديانا يتحدثان. بدا ذلك منذ زمن بعيد جداً. وصلت إلى نهاية الشارع، وتوقفت فجأة لتنتظر إلى

الشاطئ اللامتناهي. حتى مارك اعترف أنه لا يوجد مثيل له في فرنسا. الرمل الأبيض الرائع، والتدفق الغني للأمواج الآتية إلى الشاطئ، فيما طيور النورس تحلق ببطء فوق الماء. أخذت نفساً عميقاً فيما نظرت إلى المشهد مجدداً وهي تشاهد حركة المد والجزر. ثمة سحر في هذا الشاطئ، سحر لا يشبه أي سحر آخر عرفته. وضعت الوشاح في جيبها، وخلعت حذاءها، وشعرت بالرمل يتغلغل بين أصابع قدميها فيما ركضت نحو الشاطئ وتوقفت مباشرة عند حافة الماء. تغلغل الهواء في شعرها. أغمضت عينيها، وابتسمت. إنه مكان جميل، عالم تركته مدفوناً في ذاكرتها لوقت طويل جداً. لماذا غابت طوال هذه الفترة؟ لماذا لم يعودوا إلى هنا قبلاً. أخذت نفساً عميقاً من جديد، وجلست على الشاطئ، تحمل حذاءها في يدها فيما قدماها تواقتان للرقص على الرمل مثل الولد الصغير.

مشت مسافة طويلة قبل أن تتوقف لرؤية آخر شعاع ذهبـي في الأفق. تحولت السماء إلى اللون البنفسجي، وبدأت سحابة كبيرة من الضباب تتحرك نحو الشاطئ. وقفت تراقب المشهد لوقت الطويل، ثم مشت ببطء نحو الكثبان حيث جلست وسط العشب الطويل، وأقحمت ذقنها بين ركبتيها فيما هي تنظر إلى البحر. وبعد برهة، وضعت رأسها على إحدى ركبتيها، وأغمضت عينيها، تستمع إلى البحر، وتشعر بسعادة في روحها.

"هذا مثالي، أليس كذلك؟"

قفزت ديانا عند سماعها الصوت غير المتوقع قربها. فتحت عينيها لترى رجلاً طويلاً، داكن الشعر، يقف قربها. خافت لبرهة، لكنّ ابتسامته كانت لطيفة جداً بحيث يستحيل الشعور بالخطر مع الدفء الكبير في تلك العينين. كانت عيناه باللون الأزرق المخضرّ مثل البحر. لديه بنية رجل كان يلعب كرة القدم ربما أيام الثانوية. كان شعره داكناً مثل شعر ديانا ومتطايراً بفعل الهواء. كان ينظر إليها بتركيز.



قال: "أحب المشهد كثيراً في هذا الوقت من اليوم".

"وأنا أيضاً". وجدت سهولة في إجابته، وتفاجأت لأنها لم تنزعج حين جلس قربها. "ظننت أنني لوحدي على الشاطئ". ألقت نظرة خاطفة وخجولة على وجهه، فابتسم لها.

"ربما كنتِ لوحدك. جئت وراءك. أنا آسف إذا أخفتك". نظر إليها مجدداً مع الابتسامة العريضة نفسها. "بيتي بالخلف مباشرة". أومأ برأسه فوق كتفه للإشارة إلى مكان محاط بالأشجار. "آتي دوماً إلى هنا في السهرة. ووصلت الليلة من رحلة. لم أكن هنا منذ ثلاثة أسابيع، لقد أدركت الآن كم أحب هذا المكان، وكم أحتاج إلى المشي على هذا الشاطئ والنظر إلى هذا". نظر مباشرة أمامه، إلى البحر.

"هل تعيش هنا طوال السنة؟" وجدت ديانا نفسها تتحدث إليه كما لو أنه صديق قديم لها، لكن ثمة شيء فيه يجعلك تشعر بالارتياح معه.

"لا، آتي إلى هنا في عطلات نهاية الأسبوع حين أستطيع. وأنتِ؟"

"لم آتِ إلى هنا منذ وقت طويل. جئت مع صديقة لي".

"وهل ستنامان هنا؟"

أومأت برأسها، ثم تذكرت، فنظرت إلى ساعتها. "يذكرني ذلك بأن عليّ العودة. تأخرت في نزهتي على الشاطئ". كانت الساعة التاسعة والنصف، وأثناء كلامهما اختفى آخر ضوء للنهار. وقفت، ونظرت إليه، وابتسمت. "أنت محظوظ لأنه يمكنك المجيىء إلى هنا حينما تشاء".

أومأ برأسه للإجابة، لكنه لم يكن يصغي إليها تماماً. كان ينظر بدقة إلى وجهها، وللمرة الأولى منذ أن لاحظته واقفاً قربها، شعرت ديانا بدفء كبير في وجنتيها، وشعرت بإحراجها حين كلّمها.

"تعرفين، تبدين مثل لوحة رسمها آندرو وايث، عن امرأة تجلس في الهواء؟ فكّرت في ذلك حين رأيتك جالسة على الرمل. هل أنتِ مطلعة على

أعماله؟" قال لها مع تركيز كبير في عينيه كما لو أنه يقيس وجهها وسماكة شعرها. لكنها راحت تبتسم.

"أعرف أعماله جيداً". كان هذا شغفها المفضل حين كانت صغيرة قبل أن تكتشف أن الأسلوب الانطباعي يستهويها أكثر. "كنت أعرف كل أعماله".

"كل أعماله؟" بدا المزاح فجأة في العينين المصبوغتين بلون البحر، لكنّ الدفء بقي فيهما.

"أعتقد ذلك".

"هل تعرفين لوحة المرأة الجالسة على الشاطئ؟" فكّرت لبرهة وهزّت رأسها. "هل ترغبين في رؤيتها؟" وقف قربها وهو يبدو مثل ولد متحمس كثيراً، لكن العرض الكبير لكتفيه والخصلات القليلة للشعر الأبيض في رأسه كذّبا النظرة في عينيه. "هل تريدين؟"

"عليّ العودة فعلاً. لكن شكراً لك...". شعرت بإحراج كبير. لم يكن من الرجال الذين يخاف الشخص منهم، لكنه مجرد غريب ظهر على الشاطئ. وشعرت بالدهشة لأنها وجدت نفسها تتحدث معه أصلاً، ويقفان لوحدهما في الظلام. "فعلاً، لا أستطيع. ربما في وقت آخر".

"أفهم". انطفأت الشعلة قليلاً في عينيه، لكنّ الابتسامة بقيت موجودة. "لكنها لوحة جميلة، والمرأة التي فيها تشبهك إلى حدٍّ بعيد".

"شكراً. هذا شيء لطيف". كانت تتساءل كيف ستتركه. بدا أنه لا ينوي العودة إلى منــزله في الحال.

"هل أستطيع مرافقتك إلى الشاطئ. أصبحت الدنيا مظلمة قليلاً الآن لكي تمشي وحدك". ابتسم لها، وأغمض عينيه قليلاً في الهواء. "قد يتحرش بك غريب". ضحكت وأومأت برأسها فيما مشيا نحو الكثبان الرملية الصغيرة في اتجاه البحر. "قولي لي، كيف أصبحت مولعة هكذا بفنّ وايث؟"

"كنت أعتبره أعظم رسام أميركي رأيته في حياتي. لكن بعدها"، نظرت



باعتذار إلى عينيه، "وقعت في غرام كل الانطباعيين الفرنسيين. وأخشى أن أكون نسيته. لم أنسه تماماً، لكنني لم أعد مغرمة به كثيراً".

مشيا معاً بارتياح، جنباً إلى جنب، وكانا الشخصين الوحيدين على الشاطئ، فيما الأمواج ترتطم خلفهما. ضحكت بعدها فجأة. إنه لأمر عجيب فعلاً أن تناقش الفنّ مع هذا الرجل الغريب وهي تمشي على الرمل في كارمل. ماذا ستقول لكيم؟ أو هل يجدر بها إخبار كيم أساساً؟ فكّرت لبرهة في عدم إخبار أحد عن صديقها الجديد. إنه مجرد لقاء عفوي عند الغروب على شاطئ هادئ. وهل من شيء لإخباره؟

"هل تغرمين دوماً بهذه السهولة؟" من السخف قول هذا، ويقول الغرباء هذا النوع من الأشياء لبعضهم عند عدم وجود أي شيء أفضل. لكنها ابتسمت.

"عموماً لا. فقط حين يتعلق الأمر بالانطباعيين الفرنسيين".

أومأ رأسه بحكمة. "هذا منطقي. هل ترسمين؟"

"قليلاً".

"مثل الانطباعيين؟" بدا أنه يعرف الجواب أصلاً، وأومأت هي برأسها.

"أحب مشاهدة أعمالكِ. هل هي معروضة؟"

هزّت رأسها، وهي تنظر إلى الأمواج المتلألئة تحت ضوء القمر.

"لا. عرضتها فقط مرة واحدة منذ زمن بعيد".

"هل توقفتِ عن حب الرسم أيضاً؟"

"أبداً". نظرت إلى الرمل، فيما أجابت، ثم نظرت إليه مجدداً. "الرسم حياتي".

"إذاً لماذا لا تعرضين أعمالكِ؟" بدا مرتبكاً من ردة فعلها، لكنها اكتفت بهزّ كتفيها. لقد وصلا إلى المكان الذي انطلقت منه إلى الشاطئ.

"انطلقت من هنا". وقفا تحت ضوء القمر، ينظران في عيني بعضهما البعض. أرادت في لحظة مجنونة أن تمسكها هاتان الذراعان القويتان

والمريحتان وتلفانها. "كان لطيفاً التحدث إليك". أصبح وجهها جدياً فجأة أثناء الكلام.

"اسمي بين".

ترددت لبرهة. "ديانا".

مدّ يده، وصافحها ثم استدار وعاد إلى الشاطئ. راقبته مغادراً، بكتفيه العريضتين وظهره القوي والهواء في شعره. أرادت أن تصرخ له "إلى اللقاء" لكن الكلمات ستضيع في الهواء. التفت بدل ذلك، ورأته يلوّح لها مرة جديدة في الظلام.



# 4

حين عادت، كانت كيم تنتظرها في الردهة والقلق في عينيها "أين كنتِ؟" أبعدت ديانا شعرها المبعثر عن وجهها وابتسمت لصديقتها. كانت وجنتاها متوردتين نتيجة الهواء، وعيناها تتلألآن. خطرت كلمة "مشعة" في بال كيم حين بدأت ديانا تشرح لها.

"أنا آسفة. مشيت أبعد مما تصورت. احتجت إلى وقت طويل للعودة".

"لا شك في ذلك. بدأتُ أقلق".

"أنا آسفة". بدت نادمة، فيما ارتسمت ابتسامة لطيفة على وجه كيم.

"حسناً، لكن إذا تركتِ الطفل يركض على الشاطىء فسيختفي كما يقولون. ظننت أنكِ ستصبحين صديقة من الماضي".

"لا". توقفت لبرهة. "تمشيت قليلاً". لقد فوّتت ذلك. فرصتها في إخبار كيم عن بين. لكن ماذا ستقول لها؟ إنها التقت بغريب على الشاطئ ناقشت معه الفنون؟ بدا هذا سخيفاً. طفولياً. أو الأسوأ، غبياً وغير ملائم. وحين فكّرت في الأمر، وجدت أنها تريد الاحتفاظ بذلك لنفسها. فهي لن تراه مجدداً على كل حال. فلمَ تزعج نفسها في الشرح؟

"هل أنت مستعدة للعشاء؟"

"طبعاً".

اجتازت المرأتان مسافة مبنيين للوصول إلى باين إين، وألقتا بعض النظرات السريعة على واجهات المحلات، وتحدثتا عن الأصدقاء. كان الحديث دوماً سهلاً بينهما، وترك الصمت ديانا لأفكارها الخاصة. وجدت نفسها تفكر

في ما اقترحه عليها المجهول وايث بين. هل كان موجوداً فعلاً أم أنه مجرد وهم؟ هل يهم ذلك؟ قالت لنفسها إن الجواب هو لا.

قالت كيم فيما أنهتا العشاء: "أنتِ هادئة جداً الليلة، ديانا، هل أنتِ متعبة؟"

"قليلاً".

"تفكرين بمارك؟"

"نعم". كان هذا أسهل جواب.

"هل سيتصل بكِ من أثينا؟"

"حين يستطيع. إن الفرق في التوقيت يجعل الأمر صعباً". وجعله يبدو بعيداً جداً جداً. بدا خلال يومين فقط، وكأنه أصبح من عصر سابق، أو أنه ربما تأثير التواجد في كارمل. حين كانت في المنـــزل، مع ملابسه وكتبه أو إلى جانبه في السرير، بدا أقرب كثيراً. "ماذا عن زبونك غداً؟ كيف هو؟"

"لا أعرف. لم ألتقِ به أبداً. إنه تاجر فنون. معارض تومبسون. بالمناسبة، كنت سأسألك ما إذا كنت تريدين الذهاب معي إلى الموعد. قد تودّين رؤية منـــزله. سمعت أن لديه مجموعة رائعة في ما يسميه ***بيت العطلات***".

"لا أريد أن أعترض طريقك".

"لن تفعلي". وجهت إليها كمبرلي نظرة مطمئنة، وسددتا الفاتورة. لقد أصبحت الساعة الحادية عشرة والنصف، وسرّت ديانا للاستلقاء في سريرها. حين نامت، حلمت في الغريب الذي اسمه بين.

رنّ الهاتف قرب سريرها فيما كانت نائمة على ظهرها، وهي تتساءل بنعاس ما إذا كان يجدر بها النهوض. وعدت كيم بالذهاب معها، لكنها مالت للعودة إلى النوم. ومن ثم القيام بنـــزهة أخرى على الشاطئ. لكنّ التفكير في ذلك أزعجها. عرفت لماذا تريد العودة، وساورها إحساس غريب وغير مريح عن طريقة مكوثه في أفكارها. ربما لن تراه مجدداً وللأبد. وماذا لو رأته؟ ماذا



بعد؟ رنّ الهاتف مجدداً، وتمددت للإجابة عليه.

"انهضي واسطعي". إنها كيم.

"كم الساعة؟"

"التاسعة وخمس دقائق".

"يا إلهي. أشعر وكأنها السابعة أو الثامنة".

"حسناً، ليست كذلك، واجتماعنا في العاشرة. انهضي وسأحضر لك الفطور".

"هل أستطيع طلب خدمة الغرف؟" اعتادت ديانا على ذلك خلال السفر مع مارك.

"ليس هذا فندق الريتز. سأحضر لك القهوة مع كعكة دانماركية".

أدركت ديانا فجأة كم أصبحت مدللة. فقد أصبح عدم وجود مارغريت وفطورها المثالي مسألة شاقة. "حسناً، هذا جيد. سأكون جاهزة خلال نصف ساعة".

استحمت، وسرّحت شعرها، وارتدت كنـــزة كاشمير باللون الأزرق مع سروال أبيض. نجحت في أن تبدو نضرة وحيوية عندما طرقت كيم على بابها.

"يا الله. تبدين فاتنة". سلّمتها كيم فنجاناً ساخناً من القهوة مع طبق.

"وأنت أيضاً. هل يجدر بـــي ارتداء ثياب رسمية؟ تبدين ناضجة جداً". كانت كيم ترتدي بذلة من الغاباردين البيج مع قميص حريري وقبعة أنيقة جداً من القش، وتحمل حقيبة صغيرة تحت ذراعها. "تبدين أنيقة جداً".

"لا تكوني متفاجئة هكذا". ابتسمت كيم، وجلست على كرسي. "أتمنى أن يكون هذا الرجل سهلاً. لا أشعر أنني في مزاج مناقشة الأعمال صباح يوم السبت". تثاءبت وشاهدت ديانا تنهي فنجان القهوة.

"بالمناسبة، من يفترض بـــي أن أكون؟ سكرتيرتك أو وصيفتك؟" تلألأت

عينا ديانا فوق كوبها.

"لا هذا ولا ذاك. فقط صديقتي".

"ألن يظن أنه من الغريب قليلاً أن تحضري معك أصدقاءك؟"

"من السيىء أن يفكّر على هذا النحو". تثاءبت كيم مجدداً، ونهضت. "من الأفضل أن ننطلق".

"نعم، سيدتي".

استغرقت الرحلة خمس دقائق فقط، فيما قرأت ديانا التعليمات لكيم. كان العنوان في شارع أنيق، وكل المنازل بعيدة عن الطريق، ومخبأة بين الأشجار. لكنها لاحظت حين خرجت من السيارة أنه منـــزل صغير وجميل. ليس مزخرفاً، وغير مبهرج البتة. ثمة ميزة طبيعية فيه. ثمة سيارة سوداء صغيرة مركونة أمامه، وهي من النوع العملي وإنما غير الجميل. ما من شيء يوحي بأن مجموعة الفنون في الداخل ستكون واعدة أو نادرة. لكنّ داخل المنـــزل أخبرهما قصة مختلفة، فتحت امرأة قصيرة ترتدي ثياب الخدم الباب لهما. يبدو أنها تأتي مرة أو مرتين أسبوعياً، وكانت فعالة أكثر مما هي ودودة.

"طلب السيد تومبسون أن تنتظراه في مكتبه. إنه في الأعلى يتحدث على الهاتف. إلى لندن". لفظت الكلمات الأخيرة باستياء، كما لو أنها تعتبر الإتصال نفقات باهظة. لكنّ ديانا لم تره على هذا النحو بالنظر إلى اللوحات المُعلّقة على الجدار. نظرت إلى اللوحات بتعجب فيما لحقتا بالخادمة إلى المكتب. كان الرجل يمتلك مجموعة رائعة من اللوحات الانكليزية والأميركية. ولا توجد بين اللوحات أية واحدة كانت ديانا لتقتنيها بنفسها، إلاّ أن النظر إلى اللوحات كان عملاً رائعاً. أرادت التريث حتى تتمعن في كل لوحة، لكنّ المرأة التي ترتدي المريول اصطحبتهما بسرعة وحزم إلى المكتب، وحدّقت فيهما طويلاً وبقسوة، وتمتمت "اجلسا". ثم اختفت، وعادت إلى عملها.

"يا الله، كيم، هل رأيت ماذا علّق على الجدران؟"



ابتسمت كمبرلي ابتسامة عريضة، ورتبت قبعتها. "أشياء جميلة، أليس كذلك. ليس هذا ذوقي، لكنه يملك بعض اللوحات الجيدة جداً. رغم أنها ليست كلها ملكه". رفعت ديانا حاجبها متسائلة. "إنه يملك صالتيْ عرض. واحدة في سان فرانسيسكو وواحدة في لوس أنجلوس. أعتقد أنه يستعير بعضاً من اللوحات من المعرضين. لكن على كل حال، إنه عمل جميل".

أومأت ديانا برأسها دليل موافقة سريعة، واستمرت في النظر حولها. جلستا في غرفة فيها نافذة عريضة مطلة على البحر. مكتب بسيط من السنديان، أريكتان، وكرسي. تماماً مثل خارج المنـــزل والسيارة المتواضعة، الديكور عملي أكثر مما هو مؤثر. لكنّ مجموعة اللوحات الفنية عوّضت عن ذلك. حتى هنا، علّق لوحتين رائعتين مرسومتين بالأسود والأبيض. انحنت عن كثب للتحديق في التواقيع، ثم التفتت للنظر إلى لوحة مُعلّقة خلفها، والتي كانت الزينة الوحيدة في حائط أبيض وعارٍ تماماً. وعندما التفتت للنظر، حبست أنفاسها. إنها اللوحة. لوحة وايث. المرأة على الرمل، ووجهها المخبأ جزئياً فيما ترتاح على ركبتيها. حتى ديانا لاحظت أن المرأة في اللوحة تشبهها كثيراً. طول الشعر ولونه، شكل الكتفين، وحتى الابتسامة. كانت محاطة بشاطئ أجرد ورطب ومصحوبة بطائر نورس وحيد.

"صباح الخير". سمعت صوته خلفها قبل أن تستطيع التعليق على اللوحة. التقت عيناها بعينيه بدهشة. "كيف حالكما؟ أنا بين تومبسون. آنسة هافتون؟" كان هناك سؤال في عينيه، لكنها هزّت رأسها بسرعة وأشارت إلى كيم التي خطت خطوة إلى الأمام، ومدّت يدها مع ابتسامة.

"أنا كمبرلي هافتون. وهذه صديقتي، ديانا دوراس. سمعنا الكثير عن مجموعتك بحيث توجب عليّ إحضارها معي. إنها فنانة موهوبة جداً، رغم أنها لا تريد الاعتراف بذلك".

"لا، لست كذلك".

"هل رأيت!" رقصت عينا كيم فيما نظرت إلى الرجل الوسيم الواقف

أمامهما. بدا وكأنه في أواخر العقد الثالث، ولديه عينان رائعتان فعلاً.

كانت ديانا تبتسم لهما معاً، وتهزّ رأسها. "حقاً، لست كذلك".

"هل أحببتِ لوحة وايث؟" قال وهو ينظر مباشرة في عيني ديانا، وشعرت بتوتر قليل في قلبها.

"أنا.... إنها لوحة رائعة جداً. لكنك تعرف ذلك أصلاً". وجدت نفسها تتورّد خجلاً حين تحدثت إليه. لم تكن واثقة مما يجب قوله. هل يجدر بها الاعتراف أنها التقت به قبلاً؟ هل يجدر بها الادعاء أنه لم يحصل أي لقاء بينهما؟ هل سيفعل هو هذا؟

"لكن هل تحبينها؟" تسمّرت عيناه في عينيها، ووجدت نفسها تتورد أكثر فأكثر تحت نظراته.

"جداً". أومأ برأسه، مسروراً. ثم فهمت. لن يقول أي شيء عن الليلة الماضية على الشاطئ. لكنها وجدت نفسها تبتسم حين جلسوا. إنه شعور غريب، أن يوجد هذا السرّ بينهما، والأغرب من ذلك أنها التقت بالزبون الجديد قبل كيم.

"هل ترغبان في بعض القهوة؟" أومأت المرأتان برأسيهما، وتوجه بين إلى الردهة لمناداة الخادمة. "واحد وسط. اثنان مرّان". حين عاد إلى الغرفة، ابتسم لهما. "ستكون الفناجين كلها إما وسط وإما مرّة. السيدة ميكام لا توافق على أي شيء. قهوة. زوار. أو أنا. لكنني أثق فيها لتنظف لي المنــزل حين أكون غائباً. تظن أن هذه الأشياء تافهة". لوّح بشمولية حول الغرفة، مشيراً إلى لوحة وايث، واللوحتين الأخرتين، وكذلك كل اللوحات التي رأتاها في طريقهما. ضحكت كيم وديانا.

حين وصلت القهوة، كانت الفناجين الثلاثة كلها مرّة. "رائع، شكراً لك". ابتسم بطريقة صبيانية لمدبّرة المنــزل فيما غادرت الغرفة. "آنسة هافتون...؟"

"كمبرلي من فضلك".



"حسناً، كمبرلي، شاهدتِ الإعلانات التي أعددناها العام الماضي؟" أومأت برأسها. "ما رأيك فيها؟"

"لم يكن الأسلوب كافياً. ولا الطلة صحيحة. لم تكن الإعلانات موجهة إلى السوق الصحيح نسبة لما تريده أنت".

أومأ برأسه، لكنه استمر في إلقاء نظرات خاطفة على ديانا، التي ما زالت تتأمل لوحة وايث خلفه. لم تفضحه عيناه فيما راقبها، وأظهرت كلماته أنه يعرف ما يريده من كيم. كان سريعاً، ومضحكاً، وذكياً، وعملياً جداً، وانتهى الاجتماع في أقل من ساعة. وعدته بإعطائه بعض الأفكار الجديدة خلال أسبوعين.

"هل ستكون ديانا مستشارة في المشروع؟" من الصعب معرفة ما إذا كان يمزح. هزّت ديانا رأسها بسرعة وضحكت عالياً.

"يا الله. لا. لا أعرف كيف تتوصل كيم إلى أفكارها الغريبة".

"دم، عرق، والكثير من القهوة السوداء". ابتسمت كمبرلي.

"ماذا ترسمين؟" كان ينظر مجدداً إلى ديانا، بالعينين الرقيقتين اللتين رآهما على الشاطئ في الليلة السابقة.

كان صوتها خافتاً جداً حين أجابت. "حياة ساكنة، فتيات صغيرات. المواضيع الانطباعية العادية".

"وأمهات مع أطفال صغار على ركبهنّ؟" كانت عيناه تمزحان، وإنما بلطف كبير.

"مرة واحدة فقط". لقد رسمت نفسها مع بيلار. علّقتها حماتها في شقة باريس ثم تجاهلتها خلال الاثني عشر عاماً الماضية.

"أودّ الاطلاع على بعض أعمالكِ. هل تعرضينها؟" مجدداً، لا شيء يبوح بلقاء الليلة السابقة، وتساءلت عن السبب.

"لا، لا أفعل. لم أعرض منذ سنوات. لست جاهزة".

"الآن هذا تافه، إذا أردنا استعمال كلمة خادمتك". نظرت كمبرلي أولاً إلى بين تومبسون ومن ثم إلى ديانا. "عليكِ أن تريه بعض أعمالك".

"لا تكوني سخيفة". شعرت ديانا بالغرابة، ونظرت بعيداً. لم يشاهد أحد أعمالها منذ سنوات عديدة. فقط مارك وبيلار، وأحياناً كيم. "يوماً ما، ولكن ليس الآن. شكراً لك على أية حال". شكرته ابتسامتها على صمته، وكذلك على لطافته. من الغريب أنه أراد هو أيضاً التكتم عن لقائهما على الشاطئ.

انتهت المحادثة باللياقات الاعتيادية وجولة سريعة على مجموعته، التي تمت تحت مراقبة الخادمة فيما كانت تنظف. وعدته كمبرلي بالاتصال به في الأسبوع التالي.

لم يكن هناك أي شيء غير اعتيادي في وداعه لديانا. ما من ضغط غير ملائم على يدها، ما من رسالة في عينيه، وإنما فقط الدفء الذي رأته أصلاً، والابتسامة التي ودعهما بها فيما أقفل الباب.

"يا له من رجل لطيف"، قالت كيم فيما أدارت سيارة الأم جي الصغيرة. اضطرب المحرك ثم عاد إلى الحياة. "سيكون العمل ممتعاً معه. ألا تظنين ذلك؟"

أومأت ديانا برأسها. كانت تائهة في أفكارها إلى أن توقفت كيم بسرعة أمام الفندق.

"لماذا لا تسمحين له برؤية أعمالك؟" لطالما انزعجت كيم من تحفظ ديانا. كانت الوحيدة في كلية الفنون التي تملك موهبة حقيقية، والوحيدة التي دفنت موهبتها لمدة عشرين عاماً تقريباً. لقد جرّب كل الآخرين حظهم لكنهم فشلوا في النهاية.

"قلت لكِ، لستُ مستعدة".

"اللعنة! إذا لم تتصلي به بنفسك، سأعطيه رقمك. لقد حان الوقت لتفعلي شيئاً في كومة التحف الفنية التي تضعينها في الاستوديو الخاص بكِ، أمام



الحائط. إنها جريمة ديانا. هذا ليس عدلاً. يالله، حين أفكر في القذارة التي رسمتها، وحاولت بشدة بيعها".

"لم تكن قذارة". نظرت ديانا بلطف إليها. لكن كلتاهما تعرفان أن لوحاتها لم تكن جيدة جداً. كيم تجيد تخطيط الحملات، والعناوين الرئيسية، والتصاميم أكثر مما تجيد الفنّ.

"كانت قذارة، ولم أعد أهتم البتة. أنا أحب ما أفعله. لكن ماذا عنكِ أنتِ؟"

"أنا أيضاً أحب ما أفعله".

"وماذا تفعلين؟" أصبحت كمبرلي مستاءة الآن، وخان صوتها مشاعرها. ينتهي الأمر دوماً بهذه الطريقة حين تتحدثان عن عمل ديانا. "ماذا تفعلين؟"

"تعرفين ما الذي أفعله. أرسم. أهتم بمارك وبيلار. أدير المنـزل. أبقى مشغولة".

"نعم، الاهتمام بالآخرين. ماذا عنكِ أنتِ؟ ألا يعني لك شيئاً أن تري أعمالك معروضة في معرض فني، أو مُعلّقة في مكان آخر غير مكتب زوجك؟"

"لا يهم أين تكون مُعلّقة". لم تجرؤ على إخبار كيم أنها لم تعد مُعلّقة هناك. استعان مارك بمهندس ديكور جديد قبل ستة أشهر، وقال إن أعمالها ضعيفة ومحزنة وأنزلها كلها عن الجدران. أعاد مارك اللوحات إلى المنـزل، بما في ذلك لوحة صغيرة لبيلار، هي الآن مُعلّقة في القاعة. "ما يهمني أنا هو الرسم وليس العرض".

"هذا مثل عزف الكمان من دون أوتار. هذا غير منطقي البتة". إنه كذلك بالنسبة إليّ. كانت لطيفة وإنما حازمة، وهزّت كيم رأسها فيما خرجتا من السيارة.

"حسناً، أظن أنكِ مجنونة، لكنني أحبك على أية حال". ابتسمت ديانا فيما

دخلتا إلى الفندق.

مضت بقية الوقت بسرعة كبيرة. تجولتا في المتاجر، وتناولتا العشاء مرة جديدة في الباين إين. وبعد ظهر يوم الأحد، قامت ديانا بنـــزهة جديدة على الشاطئ. إنها تعرف الآن أين يعيش، وتعرفت إلى المنـــزل حين نظرت خلف الأشجار. عرفت كم هي قريبة الآن من لوحة وايث. مشت إلى الأمام. لم تره مجدداً، وانزعجت من نفسها لمجرد التساؤل ما إذا كان موجوداً على الشاطئ. لمَ يجدر به أن يكون هنا؟ وماذا ستقول لو كان موجوداً؟ شكره لأنه لم يدع كمبرلي تعرف بلقائهما؟ وماذا بعد؟ هل يهم ذلك؟ عرفت أنها لن تراه أبداً مجدداً.



# 5

حين رنّ الهاتف، كانت موجودة في الاستوديو، مبتعدة قليلاً عن اللوحة في محاولة لتقييم عمل الصباح. إنه وعاء من أزهار التوليب التي ترخي بتلاتها فوق طاولة الماهوغاني مع خلفية من السماء الزرقاء تظهر عبر نافذة مفتوحة.

"ديانا؟" ذهلت لسماع صوته.

"بين؟ كيف حصلت على رقمي؟" شعرت بتورد دافئ في وجنتيها، وغضبت فوراً من نفسها على شعورها هذا. "كيم؟"

"طبعاً. قالت إنه إذا لم أعرض عملك، ستلغي صفقتنا".

"لا!" ازداد التورد فيما ضحكت.

"لا. قالت فقط إنكِ جيدة جداً. دعيني أقول لكِ شيئاً. أنا مستعد لاستبدال لوحة وايث التي أملكها بإحدى لوحاتك".

"أنت مجنون. وكذلك كيم".

"لماذا لا تدعيني أحكم بنفسي؟ هل تعتقدين أنني أستطيع المرور بك قرابة الظهر؟"

"اليوم؟ الآن؟" ألقت نظرة خاطفة على الساعة، وهزّت رأسها. لقد تجاوزت الساعة الحادية عشرة. "لا!"

"أعرف. لست مستعدة. هكذا هم الفنانون دائماً". كان الصوت رقيقاً مثلما كان على الشاطئ.

حدّقت تقريباً في الهاتف. "فعلاً، لا أستطيع". كادت تقول ذلك همساً.

"غداً؟" بطريقة حازمة وإنما غير ضاغطة.

"بين، فعلاً... ليست هذه المسألة. أنا...". تلعثمت وسمعت ضحكته.

"أرجوكِ. أودّ فعلاً رؤية أعمالك".

"لماذا؟" شعرت فجأة بأن سؤالها غبيّ.

"لأنكِ تعجبينني. وأودّ رؤية عملكِ. الأمر بهذه البساطة. أليس هذا منطقياً؟"

"نوعاً ما". لم تعرف ماذا تقول.

"هل أنتِ مشغولة على الغداء؟"

"لا، لست مشغولة". تنهدت بحزن مجدداً.

"لا تكوني كئيبة هكذا. أعدك بألا أرمي السهام على لوحاتك. صدقاً. ثقي بي".

الغريب أنها تثق به. كان لهذا علاقة بطريقة كلامه والنظرة التي تتذكرها في عينيه. "أظن أنني أفعل. حسناً إذاً. نلتقي ظهراً".

ما من أحد ذهب إلى المقصلة، وتحدث بهذا العزم. ابتسم بين تومبسون لنفسه فيما أقفل سماعة الهاتف.

وصل عند الظهر تماماً. مع كيس من الخبز الفرنسي، وشريحة كبيرة من جبن البري، ونصف دزينة من الدراق، إضافة إلى قنينة من الشراب الفرنسي الأبيض.

"هل يكفي ذلك؟" قال فيما وزع الأطايب على مكتبها.

"جداً. لكن لم يكن يجدر بك تحمل عناء المجيء". بدت مرعوبة فيما رمقته فوق الطاولة. كانت ترتدي سروال جينـز وقميصاً ملطخاً ببقع التلوين، وكان شعرها مربوطاً إلى الخلف في عقدة رخوة. "أكره فعلاً أن يضعني أحد في مأزق". كان تعبيرها مضطرباً فيما راقبته، وتوقف هو لبرهة عن ترتيب



حبات الفاكهة.

"لستِ في مأزق، ديانا. أردت فعلاً المجيء لرؤية أعمالك. لكن لا يهم أبداً ما هو رأيي. تقول كيم إنكِ جيدة. وأنت تعرفين أنكِ جيدة. أخبرتني على الشاطئ أن الرسم هو حياتك. ما من أحد يستطيع التلاعب بذلك. لن أحاول أبداً". توقف لبرهة، ثم تابع قائلاً، وبنعومة أكبر: "شاهدت بعض اللوحات التي أحبها في المنـزل في كارمل. هذا شيء أهتم به. هذا شيء تهتمين أنتِ به. إذا أحببت لوحة وايث، يجعلني ذلك سعيداً. لكن إذا لم تحبيها، لن يغير ذلك شيئاً من جمالها بالنسبة إليّ. وما من شيء أراه سيغير ما تفعلينه، أو مدى أهميته. ما من أحد يستطيع المساس بذلك".

أومأت برأسها بصمت، ثم مشت ببطء نحو الجدار حيث كانت عشرون لوحة مُعلّقة، مخفية ومهملة. أدارت اللوحات، الواحدة تلو الأخرى، من دون أن تقول أي شيء، واكتفت بالنظر فقط إلى اللوحات الزيتية فيما أدارتها. لم تنظر إليه إلى أن قال أخيراً: "توقفي". نظرت إليه متفاجئة، ورأته ينحني فوق مكتبها مع نظرة في عينيه لم تفهمها.

"هل شعرت بأي شيء حين شاهدتِ لوحة وايث؟" كان يبحث في وجهها وثبت عينيه.

أومأت برأسها. "شعرت بالكثير".

"ماذا؟"

ابتسمت. "أولاً، الدهشة لإدراكي أنني كنت في منـزلك؟ لكن شعرت بعدها بنوع من الفرح عند رؤيتي اللوحة. شعرت أنني مشدودة إلى المرأة، كما لو أنها شخص أعرفه. فكّرت في كل شيء ظننت أن لوحة وايث تريد إخباري به. شعرت لبرهة أنني مسحورة بكلماتها".

"مثلما أنا مسحور بلوحاتك. هل لديك فكرة كم وضعت في هذه اللوحات، أو كم هي رائعة؟ هل تعرفين ماذا يعني أن تشدّك اللوحات إليها، الواحدة تلو

الأخرى، كلما أدرتها. إنها مذهلة ديانا. ألا تعرفين كم هي جيدة؟" كان يبتسم لها. شعرت بقلبها يخفق بقوة في صدرها.

"أحبها. لكن لأنها لي". أصبحت تتألق جمالاً الآن. لقد أعطاها أجمل هدية، وهي تعرف أنه جاد في كل كلمة قالها. لقد مضى وقت طويل جداً منذ أن شاهد أحد ما ترسمه؛ واهتم به.

"إنها ليست فقط لكِ. إنها أنتِ". اقترب أكثر من إحدى اللوحات، وحدّق فيها بصمت. إنها لوحة تصوّر فتاة شابة تنحني فوق مغطسها؛ إنها بيلار.

"هذه ابنتي". أصبحت تستمتع الآن بالأمر. أرادت مشاركته بالمزيد.

"إنها تحفة فنية جميلة. أريني المزيد". عرضت عليه كل لوحاتها. وحين انتهى ذلك، شعرت أنها مغمورة بالسعادة. لقد أعجبته، لا بل إنه أحبها! لقد فهم عملها. أرادت أن تضع ذراعيها حول عنقه وتضحك.

كان يفتح قنينة الشراب. "تدركين ماذا يعني هذا، أليس كذلك؟"

"ماذا؟". شعرت فجأة بالقلق، ولكن ليس كثيراً.

"سأطاردك حتى توقعي عقداً مع المعرض. ما رأيك في هذا؟"

ابتسمت له ابتسامة عريضة، لكنها هزّت رأسها. "لا أستطيع".

"لماذا؟"

"ليس هذا ملائماً لي". كما أن مارك سيعارض. سيعتبر الأمر تجارياً وفظاً؛ رغم أن معرض تومبسون يملك شهرة كبيرة في كل شيء ما عدا الفظاظة، واشتهرت عائلة بين في عالم الفن منذ أعوام عدة. لقد استعلمت عنهم حين عادت من كارمل. كان جده صاحب أحد أرقى المعارض في لندن، ووالده في نيويورك. يملك بين تومبسون كارت بلنش (بطاقة بيضاء) في عالم الفنون، رغم أنه لا يزال في الثامنة والثلاثين. قرأت ذلك أيضاً. "فعلاً، بين. لا أستطيع".

"اللعنة. اسمعي. لا تكوني عنيدة. تعالي إلى المعرض وألقي نظرة.



ستشعرين بتحسن كبير حين تشاهدين ما هو معروض هناك". بدت فجأة صغيرة جداً حين قال ذلك، وضحكت. إنها تعرف ما هو معروض هناك. لقد استعلمت عن ذلك أيضاً. بيسارو، تشاغال، كاسات، القليل من أعمال رونوار، لوحة رائعة لمونيه، بعض أعمال كوروتس. هناك أيضاً بعض لوحات بولوكس المختارة بعناية، ولوحة لدالي وأخرى لدو كونينغ نادراً ما يعرضها. إنه يملك الأفضل. إضافة إلى بعض الفنانين الشباب المجهولين وإنما المختارين بعناية، والذي أراد أن تكون واحدة منهم. ما الذي تريده أكثر من ذلك؟ لكن ماذا ستقول لمارك؟ *عليّ فعل ذلك. لقد طلب مني. أردت...*

"لا". لن يفهم أبداً الموضوع. ولا حتى بيلار. ستظن أن الأمر بغيض، وبمثابة تباهٍ فظ. "أنت لا تفهم".

"أنتِ محقة في هذا". قدّم لها قطعة خبز فرنسي محشوة بجبن البري. اثنتان وعشرون لوحة موزعة حول الغرفة. وقد أحبها كلها. ابتسمت له ابتسامة عريضة حين أخذت منه الخبز.

"لديّ ثلاثون لوحة إضافية في العلية. وخمس في منــزل كيم".

"أنتِ مجنونة".

"لا، لست كذلك".

قدّم لها دراقة. "نعم، أنتِ مجنونة. لكنني لن أرضخ لذلك. ما رأيك في الذهاب إلى افتتاح معرض نقيمه مساء غد؟ لن يؤذيك هذا البتة، أليس كذلك؟ أو هل أنت خائفة من ذلك؟" أصبح يضايقها الآن، ولم تكن واثقة من أنها تحب ذلك.

"من قال إنني خائفة؟" بدت صغيرة جداً فيما تناولت الدراقة الغنية بالعصير، ثم ابتسمت.

"لماذا لا تريدين إذاً أن تعرضي أعمالك؟"

"لأن هذا غير منطقي".

"أنتِ غير المنطقية". لكنهما أصبحا يضحكان حينها، وباشرا في شرب الكأس الثالث من الشراب. "تعجبينني في أية حال"، قال لها. "اعتدت على التعاطي مع مجانين مثلك".

"لستُ مجنونة. أنا فقط عنيدة".

"وتبدين تماماً مثل لوحة وايث. هل لاحظتِ ذلك أيضاً؟" التصقت عيناه بعينيها مجدداً. وضع كأسه على المكتب. ترددت لبرهة، ثم أومأت برأسها.

"نعم".

"أستطيع فقط رؤية عينيك". نظر إليهما لبرهة طويلة، ثم نظر بعيداً. إنهما بالتحديد العينان اللتان لطالما ظنّ أن المرأة في اللوحة تملكهما. "تملكين عينين جميلتين".

"وأنت أيضاً". كان صوتها مثل نسمة ناعمة في الغرفة، وتذكر كلاهما نزهتهما في كارمل.

لم يقل أي شيء للحظة. جلس بصمت، ونظر إلى لوحاتها. "قلتِ إن هذه ابنتك. هل هذا صحيح؟" نظر إليها مجدداً، وأراد أن يعرف المزيد.

"نعم. إنها في السادسة عشرة تقريباً. اسمها بيلار. وهي جميلة جداً جداً. أكثر بكثير مما تبدو في اللوحة. رسمت لها لوحات عدة. تذكرت بكآبة اللوحة التي رماها مهندس الديكور الذي أحضره مارك في القاعة. "بعض تلك اللوحات جيد فعلاً". أصبحت تشعر الآن معه بالحرية، بحرية عشق عملها.

"أين هي الآن؟ هل هي هنا؟"

"لا". نظرت إليه ديانا لبرهة طويلة. "إنها في جنوب فرنسا. زوجي فرنسي". أرادت أن تقول له إن مارك بعيد أيضاً، إنه في اليونان، لكن بدا ذلك بمثابة خيانة. لمَ يجدر بها إخباره؟ ما الذي تريده من هذا الرجل؟ لقد أخبرها أنه معجب بعملها. ما الذي تريده أكثر من ذلك؟ أرادت أن تسأله إذا كان متزوجاً. لكن هذا بدا خطأ فادحاً أيضاً. ما أهمية هذه الأمور؟ إنه هنا من أجل



عملها. مهما كانت هاتان العينان الخضراوان جميلتين.

"تعرفين"، نظر بأسف إلى ساعته. "أكره قول هذا، لكن عليّ الذهاب إلى العمل. لديّ اجتماع في تمام الساعة الثالثة في المكتب".

"الثالثة؟" عادت عيناها بسرعة إلى الساعة. إنها الثالثة إلا ربعاً تقريباً. "كم مضى الوقت بسرعة!" لكنهما شاهدا الكثير من أعمالها. وقفت ونظرة أسف في عينيها.

"هل ستأتين مساء الغد إلى إفتتاح معرض اللوحات الفنية؟" أخبرتها عيناه أنه يريدها أن تذهب. لم تكن واثقة لماذا؟

"سأحاول".

"أرجوك، ديانا. أودّ ذلك". لمس ذراعها بسرعة، ثم مع ابتسامة تقدير حول الغرفة، خرج من الاستوديو، ونزل السلالم. "سأعثر على المخرج. أراك غداً!" اختفت كلماته فيما جلست هي على الكرسي الأبيض المريح ونظرت حول الغرفة. هناك أربع أو خمس لوحات لبيلار، لكن لا توجد أية لوحة لمارك. لم تستطع في لحظة مجنونة تذكر وجهه.

# 6

ركنت ديانا سيارة الجاكوار الزرقاء في الجهة المقابلة للمعرض وعبرت الطريق ببطء. لا تزال غير واثقة ما إذا كان يجدر بها المجيء، وما إذا كان هذا حكيماً، أو إذا كان هذا منطقياً. ماذا لو كانت كيم موجودة؟ سيجعلها ذلك تبدو غبية. ماذا لو... لكنها فكّرت حينها في عينيه، ودفعت الباب الزجاجي الثقيل.

ثمة نادلان يرتديان سترتين سوداوين يقفان قرب الباب، ويسكبان بالتناوب الشراب، فيما امرأة شابة تلقي التحية على الضيوف، الذين بدوا جميعاً خبراء في هذا المجال أو فنانين. لاحظت ديانا بسرعة أنه معرض رجل أكبر سناً. وقف محاطاً بأصدقائه، وهو يبدو منتصراً وفخوراً. كانت اللوحات كلها معروضة بشكل جيد، وفيها نكهة فان غوغ. ثم شاهدت بين. كان يقف في الزاوية البعيدة للغرفة، وبدا وسيماً جداً في بذلة كحلية مخططة. لحقتها عيناه إلى الداخل، ورأته يبتسم ويسحب نفسه بلباقة من المجموعة التي كان يقف معها. أصبح واقفاً قربها بعد لحظة.

"إذاً جئت، أليس كذلك؟ أنا مسرور". وقفا هناك للحظة، ينظران إلى بعضهما البعض، وشعرت أنها تبتسم. إنها ابتسامة لم تستطع قمعها. كانت سعيدة لرؤيته مجدداً. "شراب؟"

"شكراً". أخذت كأساً من اليد الممدودة من أحد النادلين، وأمسكها بين برفق بمرفقها.

"ثمة شيء أريد أن أريك إياه في مكتبي".

"كليشيهات؟" شعرت أنها تتورد خجلاً. "كم هذا فظيع. لم يكن يجدر بـــي



قول هذا".

"لماذا؟" كان يضحك هو أيضاً. "لكن لا. إنها لوحة صغيرة لرنوار اشتريتها الليلة الماضية".

"يا الله، من أين حصلت عليها؟" تبعته في ردهة طويلة مكسوة بسجادة بيج.

"اشتريتها من مجموعة خاصة. رجل مسنّ رائع. قال إنه لم يحبها أبداً. الحمد لله. حصلت عليها بسعر غير معقول". فتح باب مكتبه ودخل إليه بسرعة. هناك، على الحائط البعيد، كانت لوحة لامرأة عارية جميلة بالأسلوب المميز الذي لا يحتاج إلى إلقاء نظرة على التوقيع. "أليست جميلة؟" نظر إلى اللوحة كما لو أنها ولد جديد يشعر بفخر كبير به، وابتسمت ديانا للضوء في عينيه.

"إنها رائعة".

"شكراً". نظر إلى ديانا بقوة حينها، كما لو أنه يريد أن يقول لها شيئاً آخر، لكنه لم يفعل. نظر بدل ذلك من حوله مع ابتسامة دفعتها إلى فعل الشيء نفسه. ثمة لوحة أخرى لأندرو وايث فوق مكتبه، وهذه اللوحة شهيرة جداً.

"أحب هذه اللوحة أيضاً. ولكن ليس بقدر الأخرى".

"وأنا أيضاً". عادت أفكارهما بسرعة إلى كارمل. لكنّ الصمت قوطع بطرقة على الباب. المرأة الشابة التي كانت تستقبل الضيوف عند المدخل أومأت إلى بين من الردهة. "مرحباً، سالي. ما الأمر؟ أوه، هذه ديانا دوراس. ستكون واحدة من فنانينا الجدد".

اتسعت عينا سالي فجأة. اقتربت مبتسمة وصافحت ديانا. "يا له من خبر جيد".

"إنتظر دقيقة!" ألقت ديانا نظرة سريعة على بين مع ابتسامة إحراج. "لم أقل هذا أبداً".

"لا، لكنني أتمنى ذلك. سالي، قولي لها كم نحن رائعون، وكيف أننا لا نخذل أبداً فنانينا، ولا نعلق اللوحات أبداً في المكان غير الصحيح، ولا نرسم أبداً الشوارب على اللوحات العارية".

أصبحت ديانا تضحك الآن، وهزّت رأسها. "في هذه الحالة، ليس هذا المعرض المناسب لي. لطالما أردت رؤية شاربين على إحدى لوحاتي العارية، ولم أملك الجرأة لفعل ذلك بنفسي".

"دعينا نفعل ذلك نيابة عنك". ما زال بين يبتسم حين قادهما إلى الردهة، وبدأ يطرح الأسئلة على سالي. هناك ثلاثة زبائن في المعرض، وقد عادت لمناقشة سعر إحدى اللوحات معه. فالفنان يريد سعراً أكبر.

"سأقول له إننا سنعوّض عليه في لوحة أخرى. لقد وافق على سعر هذه اللوحة. فليبارك الله غوستاف. هو من سبب لي بالشيب في شعري".

"وشعري أنا أيضاً". أشارت سالي إلى رأس أشقر تماماً، واختفت مجدداً بين الحشود فيما بدأ بين يعرّف ديانا إلى الضيوف. شعرت وكأنها في المنــزل فيما تجولت في أرجاء المعرض، والتقت بالفنانين وهواة الفن. وتفاجأت لأنها لم تلتقِ بكيم. ذكرت الأمر أمام بين حين انضم إليها.

"أليست هنا؟ ظننت أنها ستكون موجودة".

"لا. يبدو أنها تنتف شعرها بسبب إعلان جديد عن اللبن. بصراحة، أتمنى ألا تربكنا. من الأفضل أن تخرج اللبن من رأسها قبل أن تبدأ العمل في الفن. أليس هذا رأيك؟" ضحكت ديانا فيما أعطاها كأساً أخرى من الشراب. "تعرفين"، تابع قائلاً، "استمتعت البارحة كثيراً. عملك جيد جداً. ولن أتوقف عن ملاحقتك قبل أن تقولي نعم".

ابتسمت له ديانا فوق كأس الشراب. وقبل أن تستطيع الاعتراض، قاطعهما عدد من هواة جمع اللوحات الفنية الذين أرادوا سماع رأي بين. بقي مشغولاً تماماً معهم حتى الساعة التاسعة تقريباً.



تجولت ديانا ببطء في أرجاء المعرض، تشاهد الزبائن المحتملين، وتبدي إعجابها بعمل غوستاف. توقفت أمام إحدى لوحاته حين سمعت صوتاً مألوفاً خلفها. التفتت بدهشة.

"تدرسين التقنية ديانا؟"

"جيم!" نظرت إلى العينين الإيرلنديتين الضاحكتين. "ماذا تفعل هنا؟"

"لا تسألي. أجمع الثقافة، حسبما أظن". لوّح بطريقة غامضة نحو مجموعة من الأشخاص عند الباب. "أحضروني إلى هنا. وإنما فقط بعد شرب عدد من الكؤوس القوية".

"عاشق للفن في الصميم". عادت إلى ابتسامتها الدافئة الاعتيادية، لكنها شعرت بانزعاج في مكان ما داخلها. لم تشأ أن تلتقي بجيم سوليفان هنا. جاءت لرؤية بين... أو هل فعلت ذلك فعلاً؟ هل هي هناك فقط من أجل مشاهدة المعرض؟ لم تكن واثقة تماماً، ربما جيم يعرف. لقد شاهد ربما شيئاً مختلفاً في وجهها، في عينيها، في روحها. وكأنها أرادت الدفاع عن نفسها، فتطرّقت إلى موضوع مألوف. "هل سمعت أخباراً من مارك؟"

نظر إليها بحذر لبرهة. "هل سمعت أنت؟" هزّت رأسها. "حصلت على برقية في اليوم الذي تلا سفره، وقال إنه لم يستطع الاتصال لأن الوقت غير ملائم، ثم ذهبت إلى كارمل لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. مع كيم"، أضافت بسرعة ومن دون ضرورة. "ربما حاول الاتصال بــي آنذاك. أفترض أنه في أثينا في الوقت الحاضر".

أومأ سوليفان برأسه، ونظر مجدداً إلى أصدقائه. لحقت ديانا بنظراته، وشاهدت فوراً فتاة مذهلة ذات شعر كستنائي ترتدي فستاناً فضياً لماعاً. إنها عارضة جيم؛ لا بد أنها هي.

قال جيم: "لا شك في ذلك، حسناً، حبي، عليّ الذهاب". قبّل وجنتها، وابتعد قليلاً للنظر إليها مجدداً. "هل تريدين الانضمام إلينا لتناول العشاء؟"

هزّت رأسها على الفور. "لا، لا أستطيع... عليّ العودة إلى المنــزل... فعلاً. لكن شكراً لك". اللعنة. لماذا شعرت بهذا الانزعاج؟ ما من شيء لتخفيه. لكن يبدو أنه لم يلاحظ أي شيء مختلف فيها. ولماذا يلاحظ؟ ما المختلف؟

"أنت واثقة؟"

"نعم".

"حسناً، سأتصل بك". قبّلها بسرعة على وجنتها، وانضم مجدداً إلى أصدقائه. وبعد برهة، رحلوا. حدّقت فيهم وهي شاردة الذهن. لم يجب عن سؤالها حول ما إذا كان قد سمع أخباراً من مارك أم لا. أجاب عن سؤالها بسؤال منه، وسألها هل سمعت هي أخباراً عنه. تساءلت عن السبب.

"تبدين جدية كثيراً ديانا. هل تفكرين في توقيع العقد معنا؟" ثمة مزاح في صوت بين، فالتفتت إليه مع ابتسامة. لم تتنبه إليه حين أتى إليها.

"لا. لكنني كنت أفكر أنه يجدر بــي العودة إلى المنــزل".

"الآن؟ لا تكوني سخيفة. كما أنك لم تأكلي ". نظر إليها لبرهة. "هل أستطيع دعوتك لتناول العشاء؟ أو هل يعارض زوجك؟"

"أبداً. إنه في اليونان لقضاء الصيف". التقت أعينهما. "وسيكون العشاء محبباً". لمَ لا؟ ابتسمت، وأخرجت جيم سوليفان من رأسها.

أشار بين إلى سالي بأنه مغادر، وخرجا من الباب الزجاجي إلى الضباب الصيفي البارد من دون أن يراهما آخر الزوار. قال لها: "يذكرني ذلك أحياناً بلندن، اعتدت على زيارة جدي هناك حين كنت صغيراً. إنه إنكليزي".

ضحكت على الغفلية التي افترضها. "نعم، أعرف".

"هل أحضرتِ سيارتكِ؟" سألها بين. أشارت إلى سيارة الجاكوار الكحلية. "أوه، أوه. أنا متأثر. أنا أقود سيارة ألمانية صغيرة لم يسمع أحد بها. إنها لا تصرف الوقود تقريباً، وتوصلني إلى حيث أريد. هل تخجلين أن يراك أحد في سيارة بهذه البساطة، أو نأخذ سيارتك؟" شعرت لبرهة بالإحراج لأنها جاءت



في سيارة مارك، لكنها تقودها دوماً حين تخرج في السهرات. إنها مسألة عادة.

"أفضل الركوب في سيارتك".

قال بتردد، وهو يجسّ نبضها: "إلى مطعم الإتوال؟"

"أظن أنني أفضل مكاناً شبيهاً بسيارتك. هادئ وبسيط". ابتسم لها علامة الموافقة، فضحكت. "أظن أنك تخافين من التباهي، إلاّ في الفنّ"؟

"تماماً. بالإضافة إلى ذلك، تتركني خادمتي إذا جئت يوماً في سيارة رولز. تظن أصلاً أن كل تلك *التفاهة* على الجدران بمثابة إهانة. علّقت ذات مرة لوحة فرنسية لامرأة عارية، فأنزلتها ما إن غادرت كارمل. وجدتها ملفوفة في ورقة حين عدت. توجب عليّ إعادتها إلى المدينة". ضحكت فيما فتح باب سيارته، وفتح الباب لها.

أخذها إلى مطعم إيطالي صغير موجود في شارع جانبــي قرب الخليج، وتحدثا عن الفنّ معظم السهرة. أخبرته عن السنوات التي قضتها في أوروبا والولايات المتحدة مع والدها، وهما يزوران المتاحف أينما ذهبا، وأخبرها هو أنه تعلم الفنّ من جده ومن ثم من والده، وحضر المزادات الكبيرة في لندن وباريس ونيويورك. "لكنني لم أظن يوماً أنني سأدخل هذا المجال".

"لماذا؟"

"أردت فعل شيء أكثر إثارة. مثل المشاركة في مباريات رعاة البقر أو العمل كجاسوس. أردت أن أكون جاسوساً حتى بلغت التاسعة تقريباً، لكنّ جدّي أصرّ على أن هذه المهنة غير محترمة. أحياناً، لست واثقاً من أن عملنا محترم أيضاً. وحين ذهبت إلى الكلية، أردت أن أكون واحداً من أولئك الرجال الذين يكشفون التزوير في الفنّ. درست ذلك لفترة، لكنّ اللوحات المزيفة كانت تخدعني دوماً. أتمنى أن أكون أصبحت أفضل الآن".

ابتسمت ديانا. حسب مظهر المعرض والمنــزل في كارمل، شعرت أنه

أصبح أفضل حتماً.

قال لها فجأة: "أخبريني، كم مضى على زواجك؟"

تفاجأت للسؤال الشخصي المفاجئ. لم يسألها أي شيء شخصي لغاية الآن. "ثمانية عشر عاماً. كان عمري تسعة عشر عاماً".

"يجعلك ذلك...". راح يعدّ الأرقام على أصابعه وضحكت هي.

"مئة وثلاثة، في نوفمبر".

"لا". قطّب حاجبيه. "أليس مئة واثنين؟"

"على الأقل. ماذا عنك؟ هل تزوجت يوماً؟"

"مرة واحدة. لفترة وجيزة". ابتعدت عيناه عن عينيها لبرهة. "أخشى أنني لم أكن جيداً في كشف التزييف في هذا الموضوع أيضاً. أخذتني في رحلة جميلة، وقضيت وقتاً رائعاً. ثم انتهى الأمر". ابتسم، وألقى عليها نظرة سريعة مجدداً.

"لا أولاد؟"

"أبداً. هذا هو الشيء الوحيد الذي أندم عليه. كنت أودّ لو أنني أنجبت صبياً".

"وأنا أيضاً".

كانت هناك كآبة في صوتها مما جعله يراقبها حين قال: "لكنكِ أنجبت فتاة رائعة".

"أنجبت أيضاً صبيين. لكنهما ماتا مباشرة بعد ولادتهما". كانت هذه معلومات قاسية لتشاركها خلال تناول العشاء مع شخص غريب نسبياً، لكنه اكتفى بمراقبة عينيها. رأى فيهما ما احتاج إلى معرفته.

"أنا آسف".

"وأنا أيضاً. ثمّ، وبطريقة غبية، أصبح الأمر كارثة حين ولدت بيلار. ففي العائلات الفرنسية، لا تلقى ولادة الفتيات تصفيقاً حاراً".



"أردت التصفيق؟" بدا مسروراً.

"على الأقل". ابتسمت له. "وفرقة موسيقية. وفرقة استعراضية".

"لا يستطيع أحد لومك. كانت هي الثالثة؟" أومأت ديانا برأسها. "هل أنتما قريبتان جداً من بعضكما؟" تخيل أنهما كذلك لكنه فوجئ حين عرف أنهما ليستا كذلك.

"لا في الوقت الحاضر فقط. لكننا سنصبح كذلك مجدداً. إنها ممزقة حالياً بين كونها أميركية وفرنسية. قد يكون هذا النوع من الأمور صعباً".

"وكذلك هو عمر الخامسة عشرة". تذكر برعب أخته عندما كانت في ذلك العمر. "هل تشبهك؟" لم يتمكن من معرفة ذلك من النظرات الخاطفة والبعيدة التي ألقاها على لوحات ديانا.

"أبداً. إنها صورة عن والدها. إنها فتاة جميلة جداً".

"وكذلك هي أمها".

لم تقل ديانا أي شيء، ثم ابتسمت. "شكراً لك سيدي".

انتقلت المحادثة بعد ذلك إلى الفنون. بقي بعيداً عن المواضيع المؤلمة والشخصية، لكنها تساءلت أحياناً ما إذا كان يصغي إليها. بدا أنه يراقبها طوال الوقت ويقول أشياء أخرى بعينيه. حلّ منتصف الليل حين قررا أخيراً المغادرة.

"أمضيت سهرة رائعة". ابتسمت له بسعادة حين أوصلها قرب سيارة الجاكوار المركونة جانباً.

"وأنا أيضاً". لم يقل أي شيء إضافي. حين أدارت سيارتها، تراجع إلى الخلف ولوّح لها بيده. شاهدته في مرآة سيارتها وهو يعود إلى سيارته، واضعاً يديه في جيبيه ورأسه منحنٍ بكآبة.

كانت قد أصبحت في السرير، والأنوار مطفأة، حين رنّ الهاتف. لكنّ الصفير السريع في الخطوط أنبأها أنه اتصال من مكان بعيد.

"ديانا؟". إنه مارك.

"مرحباً حبيبي. أين أنت؟"

"في روما. في فندق هاسلر إذا احتجت إليّ. هل أنت على ما يرام؟" كان الاتصال سيئاً، ويصعب كثيراً سماع الصوت.

"أنا بخير. لمَ أنت في روما؟"

"ماذا؟ لا أستطيع سماعك".

"قلت لك لماذا أنت في روما؟"

"أنا هنا في عمل. من أجل سالكو. لكنني سأرى بيلار في عطلة نهاية هذا الأسبوع".

"بلّغها حبي". كانت تجلس وسط الظلمة، وتصرخ بصوت عالٍ حتى يسمعها.

"لا أستطيع سماعك!"

"قلت لك بلّغها حبي".

"حسناً. جيد. سأفعل. هل أنت بحاجة إلى المال؟"

"لا أنا بخير". وكل ما استطاعت سماعه كان سكوناً وخربشة. "أحبك". أرادت لسبب ما أن تقول له هذا وتسمع منه الشيء نفسه. أرادت رابطاً به، لكنه بدا بعيداً لمسافة لامتناهية.

"أحبك مارك!" ومن دون أن تعرف السبب، وجدت الدموع في عينيها. أرادته أن يسمعها، أرادت أن تسمع نفسها. "أحبك!"

"ماذا؟"

ثم انقطع الاتصال.

طلبت بسرعة موظفة الخطوط الدولية، وسألتها عن رقم روما، لكنها احتاجت إلى خمس وعشرين دقيقة إضافية لتتمكن من معاودة الاتصال. أجابت عاملة الهاتف في فندق هاسلر "مرحباً"، وطلبت منها ديانا التكلم مع السيد



دوراس. جرى تحويل الخط إلى غرفته. لا جواب. إنها العاشرة صباحاً في روما. "نحن آسفون. لقد خرج السيد دوراس".

استلقت في سريرها في الظلام، وفكّرت في سهرتها مع بين.

# 7

مشى مارك إدوار دوراس في الفيا فينيتو في روما، وهو يلقي نظرات سريعة على المحلات ويتأمل بإعجاب أحياناً فتاة جميلة مارّة في الجوار. إنه يوم مشمس جميل، وكانت النساء يرتدين قمصاناً قطنية من دون أكمام، وتنانير بيضاء ملتصقة بأجسامهن، وصنادل تكشف عن أظافر مرتبة مطلية باللون الأحمر. ابتسم لنفسه فيما مشى، وهو يضع الحقيبة تحت ذراعه. إنها سخيفة فعلاً، هذه الإقامة القصيرة في إيطاليا. لكن في النهاية، لمَ لا؟ وقد وعد... وعد. يتساءل أحياناً كيف يستطيع أن يعد بهذه السهولة. لكنه فعل.

توقف لبرهة، في شكله الأرستقراطي وبذلته الرمادية الأنيقة، منتظراً عبور الطريق وسط زحمة السير التي تتحرك بجلبة صاخبة في كل الاتجاهات مما يجعل المشاة يركضون بسرعة. ابتسم حين شاهد امرأة عجوز تلوّح بمظلة ثم تقوم بحركة فاحشة. مرحباً سيدتي. انحنى لها قليلاً من الجهة المقابلة للشارع، وبادلته هي الحركة نفسها. ضحك، وألقى نظرة سريعة على ساعته ثم أسرع إلى طاولة في مقهى. تحت مظلة مخططة بألوان ساطعة، نجح في الاختباء من الشمس والاستمرار في تأمل الطاقة والسعادة الكبيرة اللتين تميزان روما. روما مدينة سحرية. يبدو أن الوعد الذي قطعه يستحق العناء. لبرهة، وإنما فقط لبرهة واحدة، خطرت في باله المحادثة العقيمة مع ديانا. استحال عليه سماعها، وكان مرتاحاً. ثمة أوقات لا يستطيع ببساطة التعاطي معها، أو التواصل معها، ولا يستطيع تخيل الألم في تلك العينين أو سماع الوحدة في صوتها. عرف أن هذا موجود لديها، لكنه يصل أحياناً إلى درجة تفوق قدرة احتماله. يستطيع تحمل الأمر في سان فرانسيسكو، في سياق روتينه



الاعتيادي، ولكن ليس حين يكون في خضم أزمة مهنية، أو حين يكون في المنـــزل في فرنسا، أو... هنا في روما. هزّ رأسه ببطء، كما لو أنه يريد إبعاد ذكرى صوتها، ووجد نفسه يحدق طويلاً في الشارع. لا يستطيع التفكير في ديانا الآن. لا يستطيع. لا. ليس الآن. كان تفكيره بعيداً عنها آلاف الأميال فيما محّصت عيناه عبر الحشود: شقراء جميلة، سمراء طويلة، رجلان رومانيان يشبهان بعضهما كثيراً ببذلات الكتان الخفيفة والشعر الداكن الكثيف، امرأة طويلة فلورنسية الطلة، كما لو أنها خارجة من لوحة من عصر النهضة، ثم رآها. كانت تمشي بسرور في الشارع مع ابتسامتها التي لا مثيل لها، فيما بدت ساقاها الطويلتان جداً ترقصان على الرصيف، وداعبت تنورة زرقاء ساطعة فخذيها. ارتدت قميصاً من الحرير البنفسجي الفاتح، وانتعلت صندلاً خفيفاً، واعتمرت قبعة عملاقة من القش، كادت تغطي عينيها. كادت. لكن ليس تماماً. ما من شيء يستطيع تغطية هاتين العينين، أو حبّتي الياقوت اللتين تتغيران على ما يبدو وفق مزاجها. فهما تتحولان من لمعان النار المتقدة إلى غموض قعر البحر الأزرق. وانسدل الشعر الكستنائي الغني على كتفيها.

"إذاً، حبيبي". توقفت على مسافة إنشات منه فقط، وكشفت الشفتان الممتلئتان عن ابتسامة موجهة إلى عينيه وحده. "أنا آسفة لأنني تأخرت. توقفت لتأمل تلك الأساور السخيفة مجدداً. وقف لإلقاء التحية عليها، واختفى فجأة التحفظ البارد الذي يطغى على مارك إدوار دوراس. اتخذ فجأة وجه الصبي، وجه الرجل الواقع كثيراً في الغرام. اسمها شانتال مارتين، وكانت عارضة لدى ديور. أفضل عارضة عندهم طوال ستة أعوام ونصف العام.

"هل اشتريت الأساور؟" داعبت عيناه عنقها، وفيما هزّت رأسها، رقص الشعر الكستنائي خلف القبعة التي اشتراها لها هذا الصباح. إنها تافهة وإنما رائعة. وكذلك هي صاحبتها. "حسناً؟"

ضحكت عيناها لعينيه. هزّت رأسها مجدداً. "لا، مجدداً لم أشترها". وبطريقة غير متوقعة، وضعت علبة صغيرة في حرجه. "اشتريت لك هذا

عوضاً عن ذلك". جلست وانتظرته لكي يفتح الهدية.

"أنت تفسدينني أيتها الفتاة الشقية".

"وأنت لا تفسدني؟" من دون أن ينتظر جوابها، أومأ إلى النادل. "صودا... كامباري...." اقترب النادل فوراً، وهو مسرور، وطلبت هي كامباري وصودا. "وأنت؟"

"تدعينني لتناول المشروب أيضاً؟" لم تنتظره يوماً ليحسم هو المسائل. تحب شانتال أن تدير استعراضها بنفسها.

"أوه، اخرس. ماذا تشرب؟"

"شراب اسكتلندي". طلبه بالطريقة التي يحبها، وراقب عينيها لبرهة طويلة فيما جلسا تحت المظلة الكبيرة. بدأت حشود وقت الغداء تتدفق بتنوع حولهما.

"هل ستبقين دوماً مستقلة هكذا، حبي؟"

"دوماً. والآن افتح هديتك".

"أنتِ مستحيلة". لكن هذا هو بالضبط ما سحره دوماً فيها. كانت مستحيلة. وهو أحب ذلك. مثل فرس برية، تركض بحرية في سهول كامارغ. لقد ذهبا إلى هناك ذات مرة، أرض رعاة البقر الفرنسيين والأحصنة البيضاء البرية الجميلة. لطالما اعتبرها بهذه الطريقة بعد تلك الرحلة. إنها امرأة غير مروّضة، بعيدة المنال قليلاً، لكنها له نوعاً ما. نوعاً ما. يفضل إعتبار أنها له. وهي في الواقع له منذ خمسة أعوام.

إنها في التاسعة والعشرين الآن. كانت في الرابعة والعشرين حين التقيا. كان ذلك في أول صيف رفضت فيه ديانا الانضمام إليه في فرنسا. شعر بغرابة قضاء فصل الصيف من دونها. كان صعباً أن يشرح الموضوع أمام عائلته، وأصرّ على أنها تشعر بالتوعك بحيث لا تستطيع السفر تلك السنة. لم يصدق أحد ذلك، لكنهم قالوا ذلك فقط في غيابه متسائلين ما إذا تركت مارك



إدوار أو لديها عشيق في الولايات المتحدة. لم يفهموا أبداً الحقيقة؛ إنها تكرههم، إنها تشعر بعدم الارتياح معهم، إنها تريد البقاء في المنزل، لوحدها، للرسم، لأنها تكره مشاركة مارك إدوار معهم، وتكره طريقة تصرفه حين يكون معهم، وتكره أكثر مشاهدة بيلار كيف أصبحت مثلهم. كانت صدمة بالنسبة إلى مارك إدوار حين رفضت الذهاب معه، صدمة جعلته يتساءل ماذا يعني الآن ألاّ تقضي فصول الصيف مع عائلته في فرنسا. قرر أن يرسل لها شيئاً جميلاً، مع رسالة يطلب فيها منها أن تغير رأيها. تذكر الجمال القوي لابنة الثمانية عشر ربيعاً التي جلست أمام مكتبه في ذلك اليوم قبل زمن بعيد، وذهب إلى ديور.

شاهد المجموعة كلّها، ودوّن الملاحظات، وراقب العارضات، وتمعّن في الثياب بعناية، محاولاً تحديد التصاميم التي تلائم أسلوبها، لكنّ انتباهه شرد باستمرار عن التصاميم وانتقل إلى العارضات، ولاسيما إلى فتاة مذهلة ورائعة. كانت محيّرة وتحركت بطريقة تحدثت فيها فقط إليه. كانت عبقرية في ما تفعله، تتمايل، تستدير وتلتفت– له وحده على ما يبدو– وجلس هو منقطع الأنفاس على كرسيه. في نهاية العرض، طلب رؤيتها، وهو يشعر بالانزعاج لبرهة، ولكن ليس أكثر. وحين جاءت لملاقاته في فستان ضيق من الجرسيه الأسود، تمايل شعرها البني على رأسها الجميل، وتناوبت تلك العينان الزرقاوان المميزتان بين الخدش والمداعبة، بحيث أراد الإمساك بها ومراقبتها وهي تذوب بين يديه. كان رجلاً عقلانياً، رجلاً صاحب قوة وسيطرة، ولم يشعر أبداً هكذا من قبل. شعر بالخوف والافتتان، وبدت شانتال مدركة تماماً للقوة التي تملكها. سيطرت على قوتها بلباقة، وإنما بدافع هائل.

وبدل أن يشتري فستاناً لديانا، اشترى مارك لشانتال كأساً، ثم آخر، وآخر. انتهيا بشرب الشراب في مشرب فندق جورج الخامس، ثم سمع نفسه يسألها ما إذا كانت تسمح له باستئجار غرفة، الأمر الذي فاجأه هو أيضاً. لكنها قهقهت، ولمست وجهه برفق بيد طويلة وناعمة.

"أوه، لا حبي، ليس بعد".

إذاً متى. أراد أن يصرخ بهذه الكلمات لكنه لم يفعل. غازلها بدل ذلك، وداعبها، وأمطرها بالهدايا إلى أن استسلمت له أخيراً، برزانة وخجل، تماماً مثلما سحرت قلبه وروحه ولحمه تحت تأثير لمستها. أمضيا عطلة نهاية أسبوع في شقة استعارها من صديقه، في ضواحي جادة فوش، داخل غرفة نوم رومنسية جداً، وشرفة تطلّ على أشجار متمايلة برفق.

سيتذكر طوال عمره كل صوت، ورائحة، ولحظة من عطلة نهاية الأسبوع تلك. عرف حينها أنه لن يشبع أبداً من الآنسة شانتال مارتين. لقد لفت نفسها مثل الخيط تحت جلده، ولن يشعر أبداً بالارتياح مجدداً من دونها. فتنته وسحرته، وجعلته أسير رغبة لم يشعر بها أبداً من قبل. شانتال محيّرة، غريبة، فاتنة. استمر الأمر لخمس سنوات. في باريس، وأثينا، وروما. حين يكون في أوروبا، يصطحبها معه، ويعرّف عنها في الفنادق، والمطاعم، والمحلات على أنها السيدة دوراس. لقد اعتادا على ذلك على مرّ السنوات. أصبح هذا جزءاً من حياته الآن، ومن حياتها. جزء يعيه تماماً شريكه جيم سوليفان، لكنّ زوجته لا تعيه أبداً لحسن الحظ. لن تعرف ديانا أبداً. ما من داعٍ لإخبارها. فهذا لم يحرمها من أي شيء، قال لنفسه. لديها سان فرانسيسكو وعالمها الصغير. لديه هو شانتال وعالم أكبر بكثير. لديه كل ما يريده. طالما أن لديه شانتال. صلّى أن يستمر ذلك طوال حياته. لكن هذا الوعد لم تقطعه له شانتال أبداً.

"إذاً، حبي، هديتك، هديتك، افتحها!" رقصت عيناها وخفق قلبه. فتح العلبة. إنها ساعة الغوص التي أعجبته هذا الصباح، وقال إنه يحب اقتناءها لرحلاتهما إلى الشاطئ وإقامته في الكاب أنتيب.

"يا الله! أنتِ مجنونة، شانتال!" كانت باهظة جداً، لكنها لوّحت له بيدها علامة اعتراض. تستطيع شراءها الآن بعد أن تركت ديور. لقد تقاعدت قبل ثلاثة أعوام، وافتتحت وكالتها الخاصة لعرض الأزياء. لن تسمح له بأن



يحبسها داخل شقة في باريس ولا تفعل أي شيء سوى الاعتناء بشعرها وأظافرها وانتظاره. ترفض أن تعتمد على أي كان، ولا حتى عليه. أزعجه ذلك أحياناً، وأخافه أيضاً. إنها لا تحتاج إليه، لكنها تحبه، وهذا أمر هو واثق منه على الأقل. فمهما فعلت حين يكون هو في الولايات المتحدة، تبقى تحبه. إنه واثق من ذلك. والوقت الرائع الذي يمضيانه معاً يؤكد له ذلك.

"هل أعجبتك؟" رقصت عيناها بسرور فوق كأس الكامباري.

"أعشقها". أخفض صوته، "لكنني أحبك أكثر".

"حقاً، سيدي؟" رفعت حاجبها وشعر هو بالرغبة نحوها.

"هل تحتاجين إلى إثبات؟"

"ربما. ما الذي يخطر في بالك؟" راقبته بنظرة رديئة من تحت قبعتها.

"كنت أنوي دعوتك لتناول الغداء في مكان ما في الريف، لكن ربما....".

التقت ابتسامته بابتسامتها.

"خدمة الغرف، حبيبي؟"

"فكرة ممتازة". لوّح للنادل، ودفع الفاتورة بسرعة.

وقفت بسرور، وجعلت جسمها يتمايل على جسمه لبرهة وجيزة، ثم بدأت تشقّ طريقها بين الطاولات المكتظة، وتلقي عليه نظرة خاطفة بين الحين والآخر. بالكاد استطاع الانتظار حتى الوصول إلى المنـــزل. أراد إعادتها إلى الفندق، والإمساك بيدها، لكنها مشت وفق وتيرتها هي، بأسلوبها هي، وهي تعرف تماماً أنها تأخذ مارك إدوار دوراس إلى حيث تريده. خلال لحظات معدودة، ستكون تماماً حيث يريدها. بين ذراعيه في السرير.

..........................................................................

..........................................................................

..........................................................

..........

..........

..........

نظر إليها جيداً، وبحثت عيناها عن عينيه. "أحبك أنا أيضاً، شانتال. كثيراً ربما. لكنني أحبك". هذا اعتراف مهم من رجل مثل مارك إدوار دوراس. ما من أحد يعرفه يمكن أن يصدق ذلك. على الأقل ديانا.

ابتسمت شانتال، واستلقت، وأغمضت عينيها لبرهة، فيما ظهر القلق في عينيه. "هل أنت على ما يرام؟"

"طبعاً".

"لكنكِ تكذبين عليّ. أعرف هذا. أخبريني بصدق. هل أنت على ما يرام شانتال؟" ظهر القلق فجأة على وجهه. ابتسمت.

"أنا بخير".

"هل تناولت الأنسولين كما يجب اليوم؟" أصبح قلقه الآن أبوياً، ونسي الشغف الذي طغى عليه قبل لحظة.

"نعم، تناولته. توقف عن القلق. هل تريد أن تجرب ساعتك الجديدة في المغطس؟"

"الآن؟"

لمَ لا؟" ابتسمت له بسرور، وشعر لبرهة بسلام كلي. "أو هل تفكر في شيء آخر؟"

"أفكر دوماً في شيء آخر. لكنك الآن متعبة".

"لا أتعب أبداً معك، حبي". وهو أيضاً لا يتعب أبداً معها. اختفت السنوات الفاصلة بينهما فيما................ مجدداً.

كانت الساعة الثالثة من بعد الظهر حين استلقيا بهدوء جنباً إلى جنب مجدداً. "حسناً، لقد أنجزنا برنامج بعد الظهر". ابتسمت له بمكر، وأجابها هو



بابتسامة.

"لديك مشاريع أخرى؟"

"أبداً".

"هل تحبين إجراء المزيد من التسوق؟" كان يحب تدليلها، وإفسادها، والتواجد معها، وتأملها بإعجاب، واستيعابها. عطرها، حركاتها، كل نفس فيها يولد فيه الإثارة. وهي تعرف ذلك.

"أستطيع ربما العودة إلى المتاجر".

"جيد"، فالرحلة إلى روما كانت لأجلها على كل حال. سيعمل بكدّ كبير هذا الصيف، وستكون أثينا مضجرة بالنسبة إليها. وهو يعرف كم تحب روما. ولذا، يحرص دوماً على إحضارها إلى هنا. لمجرد إرضاءها. بالإضافة إلى ذلك، سيضطر لتركها في عطلة نهاية الأسبوع.

"ما الخطب؟" كانت تراقبه عن كثب.

"لا شيء. لماذا؟"

"بدوت قلقاً لبرهة".

"لست قلقاً". لكن من الأفضل التعايش مع المسألة. "وإنما فقط غير سعيد. سأضطر لتركك ليومين".

"أوه؟" أصبحت عيناها جليديتين مثل ثلج الشتاء.

"عليّ التوقف في الأنتيب لزيارة أمي وبيلار قبل أن نذهب إلى اليونان".

جلست في السرير، ونظرت إليه بانزعاج. "وماذا تنوي أن تفعل بي؟"

"لا تجعلي الأمر يبدو هكذا، حبيبتي. لا خيار لديّ. تعرفين ذلك".

"ألا تظن أن بيلار كبيرة بما فيه الكفاية لتحمل صدمة معرفة حقيقتي؟ أو هل ما زلت تجدني غير لبقة؟ لم أعد العارضة التي تعمل لدى ديور، وأنت تعرف ذلك. أدير أكبر وكالة لعرض الأزياء في باريس". لكنها تعرف هي أيضاً أن هذا غير مهم في عالمه.

"ليست هذه المسألة. كما أنني لا أظن أنها كبيرة كفاية". كان عنيداً جداً عندما يتعلق الأمر بيبلار. وهذا يزعج شانتال كثيراً.

"وأمك؟"

"هذا مستحيل".

"أفهم". أنزلت ساقيها الطويلتين على جانب السرير، وعبرت الغرفة، ممسكة بسيجارة في طريقها، والتفتت إليه بغضب حين وصلت إلى النافذة في الجهة المقابلة. "أصبحت أملّ قليلاً من التواجد مطمورة في أماكن بعيدة فيما أنت تزور عائلتك، مارك إدوار".

"لا أظن أن سان تروبيز مكان بعيد". بدأ يشعر بالانزعاج، ولم تظهر نبرته أي شيء من الشغف الذي ساد في الساعات السابقة.

"إلى أين تريدني أن أذهب هذه المرة".

"أفكر ربما في سان ريمو".

"كم هذا جميل. حسناً، لن أذهب".

"تفضلين البقاء هنا؟"

"لا".

"هل علينا مناقشة هذا الأمر مجدداً شانتال؟ أصبح الأمر متعباً جداً. والأسوأ من ذلك، أنني لا أفهم. لماذا نشأت هذه المسألة فجأة بيننا، فيما كنت تجدين الأمر مقبولاً تماماً حين كنت تقضين الوقت في الريفييرا من دوني؟"

"تريد أن تعرف لماذا؟" اتقدت عيناها فجأة بالغضب. "لأنني أصبحت في الثلاثين تقريباً، وما زلت ألعب الألعاب نفسها التي كنت ألعبها معك قبل خمس سنوات. وقد تعبت قليلاً من ذلك. نحن نلعب لعبة "السيد والسيدة دوراس" في نصف أرجاء العالم تقريباً، لكن في الأماكن المهمة- مثل باريس، وسان فرانسيسكو، والأنتيب- عليّ الاختباء، والابتعاد، والاختفاء. حسناً، لقد سئمت من ذلك. تريد تدبيراً استثنائياً. تتوقع مني أن أبقى في باريس وأحبس أنفاسي



نصف السنة، ثم أنفذ أوامرك. لن أفعل هذا بعد الآن، مارك إدوار. على الأقل ليس لوقت طويل". توقفت، وحدّق فيها مذهولاً. لم يجرؤ على سؤالها ما إذا كانت جدية. عرف أنها كذلك في لحظة مرعبة.

"ماذا تتوقعين مني أن أفعل حيال ذلك؟"

"لا أعرف بعد. لكنني أفكر كثيراً في الموضوع في الآونة الأخيرة. يملك الأميركيون تعبيراً ممتازاً، حسبما أظن: *إلعن أو اهرب*".

"لا أجد هذا مسلياً".

"لا أجد سان ريمو مسلية".

يا الله! هذا عديم الجدوى. أخرج تنهيدة صغيرة، ومرر يده في شعره. "شانتال، لا أستطيع أن آخذك معي إلى الأنتيب".

"لا تريد أن تأخذني معك إلى الأنتيب. ثمة فرق في ذلك".

والأكثر من ذلك أنها أضافت سان ريمو إلى لائحة الشكاوى لديها. لم يفته ذلك الجزء من المعلومات أيضاً. لم ترغب أبداً من قبل في الذهاب إلى الولايات المتحدة.

"هل أستطيع أن أعرف ما السبب وراء كل ذلك؟ لا يمكن أن يكون اليوم هو عيد ميلادك الثلاثين؟ إنه بعد أربعة أشهر".

توقفت لبرهة، وأدارت له ظهرها، فيما نظرت بصمت خارج النافذة، ثم التفتت إليه ببطء. "طلب مني شخص آخر الزواج".

وقفا ساكنين. حدّق فيها مارك إدوار مرعوباً.

# 8

"ديانا؟" رنّ الهاتف قبل أن تنهض من السرير. إنه بين.

"نعم".

بدت نائمة، وابتسم. "أنا آسف. هل أيقظتك؟"

"نوعاً ما".

"يا له من جواب دبلوماسي! أتصل بك لأزعجك أكثر قليلاً. أتصوّر أنني سأهزم عاجلاً أم آجلاً مقاومتك وستوقعين عقداً مع المعرض لمجرد التخلص من إزعاجي. ما رأيك في تناول الغداء؟"

"الآن؟" ما تزال نصف نائمة، والتفتت نحو الساعة متسائلة كم تأخرت في النوم. لكنّ بين ضحك مجدداً.

"لا، ليس في الساعة الثامنة صباحاً. ما رأيك في الساعة الثانية عشرة أو الواحدة؟ في سوساليتو؟"

"ماذا يوجد هناك؟"

"نور الشمس. أمر لا ننعم به دوماً في تلك الجهة من الجسر. هل قبلتِ؟"

"نوعاً ما". ضحكت على الهاتف. ما الذي يفعله ليتصل بها في تمام الساعة الثامنة صباحاً؟ ولماذا الغداء بهذه السرعة؟ لقد تناولا العشاء في الليلة الفائتة، والغداء في الاستوديو الخاص بها في اليوم الذي قبله. بدأت تتساءل ما إذا كانت قد عثرت على صديق جديد، على وكيل محتمل لأعمالها، أو على شيء آخر. تساءلت ما إذا كانت رؤيته بهذه السرعة أمراً حكيماً.

"نعم، هكذا".



"ما هو الهكذا؟" شعرت بالارتباك.

"تتساءلين ما إذا كان جيداً تناول الغداء معي. نعم، إنه كذلك".

"أنت مستحيل".

"إذن سنتناول الغداء في المدينة".

"لا، يبدو سوساليتو جيداً". قبلت بالفكرة من دون التفكير أكثر، ووجدت نفسها تبتسم للسقف فيما تحدثت معه عبر الهاتف.

"أنا سلعة سهلة في هذه الساعة من اليوم. لا توجد بعد أية دفاعات، أية قهوة".

"جيد. إذاً ما رأيكِ في التوقيع مع المعرض قبل تناول القهوة غداً؟"

"قد أعلّق المفاوضات معك، بين". كانت تضحك، وشعرت أنه من الرائع فعلاً استهلال اليوم بالضحك. لم تفعل ذلك منذ سنوات.

"لا تعلّقي المفاوضات قبل تناول الغداء. هل تريدين أن أمرّ بك قرابة الظهر؟"

"هذا جيد". ما هو الجيد؟ لماذا ستتناول الغداء مع هذا الرجل؟ لكنه يعجبها. وبدا الغداء في سوساليتو ممتعاً.

"إرتدي سروال الجينــز".

"حسناً، أراك عند الظهر".

توقف أمام منــزلها في تمام الساعة 12:02. كان يرتدي كنــزة بسيطة وسروال جينــز، وحين صعدت إلى السيارة، رأت أن هناك سلة على المقعد مغطاة بفوطة بيضاء وحمراء. خرج عنق زجاجة شراب فرنسي من جانب السلة. فتح لها بين الباب، ووضع السلة على المقعد الخلفي.

"صباح الخير، سيدتي". ابتسم لها ابتسامة عريضة فيما جلست قربه. "رأيت أنه يمكننا تناول الغداء في الهواء الطلق بدل ذلك. هل هذا ممكن؟"

"جداً". أو هل هو كذلك؟ هل يجدر بها تناول الغداء في الهواء الطلق مع هذا الرجل؟ قال لها عقل السيدة دوراس إن الجواب هو لا، فيما أراد قلب ديانا قضاء بعد ظهر تحت أشعة الشمس. لكنها تستطيع طبعاً فعل أشياء أخرى، ولديها المصطبة أمام الاستديو إذا أرادت الشمس فعلاً.

ألقى بين نظرة سريعة عليها فيما أدار السيارة، وشاهد العبوس الخفيف بين حاجبيها. "هل لدينا مشكلة؟"

"لا". قالت بنعومة فيما تقدمت السيارة. وجدت نفسها تتساءل ما إذا رأتهما مارغريت.

أخبرها قصصاً عن بعض الفنانين المتعاقدين مع المعرض فيما عبرا عظمة جسر البوابة الذهبية. ثم ساد الصمت للحظة. كانا ينظران إلى المشهد الخارجي.

"جميل، أليس كذلك؟" سألها. وأومأت هي برأسها مبتسمة. "هل أستطيع أن أسألك سؤالاً غريباً؟"

بدت متفاجئة للحظة. "ولمَ لا؟"

"كيف تعيشين أنتِ وزوجك هنا، وليس في فرنسا؟ حسبما أعرف أن الفرنسيين لا يعيشون إجمالاً بعيداً عن بلدهم. إلا في الشدة".

ضحكت. ما قاله صحيح فعلاً. "لديه الكثير من العمل هنا. وعلى كل حال إنه ليس بعيداً. فهو يسافر معظم الوقت".

"هذا موحش لك". كان هذا جواباً وليس سؤالاً.

"اعتدت على الأمر".

لم يكن واثقاً من أنه يصدقها. "ماذا تفعلين حين تكونين لوحدك؟"

تحدثا مع بعضهما في نوبة ضحك: "الرسم".

"هذا ما اعتقدته".

"ما الذي جعلكِ تأتين إلى كارمل؟" بدا غامضاً في أسئلته. لكنّ الإجابات



سهلة عليها كلها لغاية الآن.

"كيم. أصرّت على أنني بحاجة إلى الخروج".

"هل كانت محقة؟" ألقى نظرة سريعة عليها فيما أخذ منعطفاً يؤدي إلى المحمية العسكرية في الجانب الآخر من الجسر. "هل كنتِ بحاجة إلى الخروج؟"

"أفترض هذا. نسيت كم أن كارمل جميلة. لم أذهب إلى هناك منذ أعوام. هل تذهب في كل عطلة نهاية أسبوع؟" أرادت أن تعيد إليه السؤال. لم تشأ فعلاً التحدث معه عن مارك.

"أذهب كلما استطعت. لكن ليس بالمقدار الذي أرغب فيه".

لاحظت حينها أنهما سلكا طريقاً ريفية ضيقة، وتجاوزا عدداً من المستودعات والأبنية العسكرية. "بين، ما هذا؟" نظرت من حولها بفضول. لقد وصلا ربما إلى مكان معدّ لتصوير فيلم سينمائي يصف السنوات بعد الحرب. كانت الثكنات على جانبـــي الطريق منهارة، ونمت الأزهار البرية والأعشاب الضارة على الطريق.

"إنها ثكنة عسكرية قديمة من الحرب الأخيرة. ما زالوا متمسكين بها لسبب ما، رغم أنها فارغة الآن. ثمة شاطئ جميل هنا في آخر الطريق. آتي إلى هنا أحياناً، لمجرد التفكير". نظر إليها بابتسامة، وأدركت هي مرة جديدة كم هو مريح التواجد معه. لديه كل صفات الصديق الجيد. غاصا في صمت سهل فيما أكمل بقية الطريق.

"هذا خرافي، أليس كذلك؟ إنه جميل جداً ولا يوجد أحد هنا". كانت سيارته السيارة الوحيدة حين توقفا مباشرة قبل الشاطئ. لم تشاهد أية سيارة أخرى منذ أن انعطف عن الطريق الرئيسية.

"لا يوجد أحد أبداً. ولم أخبر أحداً بهذا المكان. أحب أن آتي إليه لوحدي".

سألته، "هل تفعل ذلك غالباً؟ مثل المشي على الشاطئ في كارمل لوحدك؟" أومأ برأسه، وتمدد للإمساك بالسلة الموضوعة على المقعد الخلفي. كان ينظر إليها عن كثب.

"لم أظن أبداً أنني سأراك مجدداً بعد تلك الليلة على الشاطئ".

"ولا أنا. كان غريباً المشي والتحدث معك عن الفنّ. شعرت وكأننا نعرف بعضنا منذ سنوات".

"وأنا أيضاً، لكنني ظننت أن السبب وراء ذلك هو شبهك الكبير بلوحة وايث". ابتسمت، وأخفضت عينيها. "لم أكن واثقاً مما يجدر بـــي قوله في اليوم التالي حين رأيتك في مكتبي. لم أعرف ما إذا كان يجدر بـــي الاعتراف أم لا بأننا التقينا قبلاً".

"ما الذي جعلك تتخذ قرارك بعدم البوح؟" نظرت إلى عينيه مع ابتسامة صغيرة جداً.

"الخاتم في يدك اليسرى. ظننت أن الأمر قد يزعجك إذا فعلت".

هذا يشبهه كثيراً، أدركت ديانا، حاد الملاحظة ومليّ التفكير. شاهدته يعبس قليلاً ويتراجع في مقعده.

سألها، "هل يزعجك الأمر إذا عرف الناس أننا نتناول الغداء معاً؟"

"لا أرى سبباً لذلك". لكن حقيقة أخرى ظهرت في وجهها، ولاحظ هو ذلك.

"ماذا سيقول زوجك، ديانا؟"

كانت كلماته ناعمة جداً، وأرادت أن تقول له إنها لا تكترث البتة، لكنها تكترث. المشكلة في ذلك أنها تكترث. كثيراً.

"لا أعرف. لم يخطر في بالي هذا السؤال. لا أتناول الغداء مع الرجال غالباً".

"ماذا عن أصحاب المعارض الذين يريدون أن يعرضوا أعمالكِ؟" ابتسم



لها بين. لم يتحركا من السيارة.

"لا، خصوصاً مع أصحاب المعارض. لم أتناول الغداء معهم أبداً".

"لماذا؟"

أخذت نفساً عميقاً، ونظرت مباشرة في عينيه. "زوجي لا يوافق على عملي. يظن أنها هواية جميلة، مضيعة للوقت، لكنّ "الفنانين هيبيين ومجانين برأيه".

"حسناً، ينطبق ذلك حتماً على غوغين ومونية". فكّر لبرهة. حين تحدث إليها، شعرت وكأنّ عينيه تحترقان في روحها. "ألا يؤلمك هذا؟ ألا يجبرك على إنكار جزء أساسي من ذاتك؟"

"ليس تماماً. ما زلت أرسم". لكنهما عرفا أن إنكارها هو كذبة. لقد أجبرت على التخلي عن شيء تريده بقوة. "أفترض أن الزواج نوع من التبادل"، تابعت قائلة. "يتخلى كل واحد عن شيء ما". لكن ما الذي تخلى عنه مارك؟ ما الذي حرم نفسه منه؟ بدت كئيبة وحزينة، ونظر بين بعيداً.

"ربما هذا هو الخطأ الذي ارتكبته حين تزوجت. نسيت أمر التنازل".

"هل كنت متطلباً جداً؟" راقبته ديانا بدهشة.

"ربما كنت كذلك. كان هذا قبل زمن بعيد، ويصعب التأكد من الجواب. أردتها أن تكون ما ظننت أنها عليه...". اختفى صوته.

"وما كان ذلك؟"

"أوه"- نظر إليها مع ابتسامة حزينة- "مؤمنة، صادقة، مرضية، تحبني. الأمور العادية". حينها ضحكا، وأمسك هو بسلة الغداء، وساعد ديانا على الخروج من السيارة. أحضر معه شرشفاً أيضاً، وبسطه بعناية على الرمل.

"يا الله! هل أعددت أنت هذا الغداء؟" نظرت إلى الطعام الذي كان يخرجه من السلة. هناك سلطة السرطان، وباتيه، وخبز فرنسي، وعلبة صغيرة من الحلويات، والمزيد من الشراب الفرنسي. هناك أيضاً سلة صغيرة مليئة

بالفاكهة والكثير من الكرز. تمددت للإمساك بحبة مع عنقودها، ووضعتها على أذنها اليمنى.

"تبدين رائعة في الكرز ديانا، لكن هل جرّبتِ العنب؟" أعطاها عنقوداً صغيراً. ضحكت، وعلّقته فوق أذنها اليسرى. "تبدين وكأنكِ خارجة من بستان مليء بــ.... إنه أشبه بعيد الغابة".

انحنت إلى الخلف، ونظرت إلى السماء مع ابتسامة عريضة. شعرت أنها شابة جداً وسعيدة جداً. من الجيد التواجد معه.

"هل أنتِ جاهزة لتناول الطعام؟" نظر إليها وهو يمسك بطبق مليء بسلطة السرطان في يده. بدت جميلة بشكل مذهل، وهي متكئة بارتياح على الشرشف فيما الفاكهة تعبر شعرها الداكن. حين رأت ابتسامته، تذكرت أمر العنب والكرز، فأبعدت الفاكهة عن أذنيها، وجلست على مرفق واحد.

"إذا أردت الحقيقة، أنا نهمة جداً".

"جيد. أنا أحب النساء اللواتي يملكن شهية جيدة".

"وماذا أيضاً؟ ما الذي تحبه أيضاً؟" لم يكن هذا سؤالاً جيداً، لكنها لا تهتم. أرادت أن تكون صديقته. أرادت أن تعرف عنه أكثر.

"أوه حسناً... أحب النساء اللواتي يرقصن... النساء اللواتي يطبخن... النساء اللواتي يستطعن القراءة والكتابة! النساء اللواتي يرسمن... النساء اللواتي يملكن عيوناً خضراء". توقف، وحدّق فيها مجدداً. "وأنت؟" كان صوته بالكاد مسموعاً.

"أي نوع من النساء أحب؟" ضحكت له.

"أوه، اخرسي. لدينا هنا شيء لتناوله". أعطاها رغيف الخبز الفرنسي والباتيه، ففتحت الرغيف، ودهنته بالباتيه اللذيذ بطريقة مرتبة.

كان بعد ظهر مثالياً. الشمس عالية في السماء، وثمة هواء خفيف، فيما مياه البحر ترتطم بلطف على الشاطئ. وبين الحين والآخر، يحلق طائر



فوقهما. وقفت الأبنية المهجورة خلفهما من دون أية حياة. إنه عالم خاص بهما.

"تعرف"- ألقت نظرة سريعة حولها ثم نظرت إليه- "أتمنى أحياناً أن أرسم أشياء مثل هذه".

"ولمَ لا تفعلين؟"

"تعني مثل لوحة وايث؟" ابتسمت له. "ليس هذا أسلوبي. يفعل كل واحد منا شيئاً مختلفاً، مختلفاً جداً". أومأ برأسه وانتظرها لتقول المزيد. "بين هل ترسم؟"

هزّ رأسه بابتسامة حزينة. "ليس تماماً. حاولت التجربة. لكن أظن أن حصتي في الحياة هي بيع الفن وليس صنعه. لكنني صنعت تحفة فنية". بدا حالماً مجدداً فيما حدّق في الخليج. داعب هواء الصيف شعره.

"ما كان ذلك؟"

"شيّدت منــزلاً، منــزلاً صغيراً، لكنه جميل جداً. شيّدته بنفسي مع صديق لي".

"كم هذا رائع". كانت متأثرة. "أين؟"

"في نيو إنغلند. كنت أعيش في نيويورك حينها. كان بمثابة مفاجأة لزوجتي".

"هل أحبته؟"

هزّ رأسه، والتفت للنظر إلى الخليج مجدداً. "لا. لم ترَه أبداً. تركت قبل ثلاثة أيام من الموعد الذي حددته لاصطحابها لكي تراه للمرة الأولى". جلست ديانا صامتة لبرهة، وهي مذهولة. لقد عرفا خيبات الأمل في حياتهما.

"ماذا فعلت به؟"

"بعته. احتفظت به لفترة، لكنه لم يعد ممتعاً. كان دوماً يؤذيني قليلاً. ثم انتقلت إلى هنا. واشتريت المنــزل في كارمل". نظر إلى ديانا، بعينين ناعمتين

وحزينتين. "لكنني مسرور لأنني استطعت فعل ذلك. لا أذكر أنني شعرت يوماً بشعور مماثل للشعور الذي أحسست به يوم انتهيت من ذلك المنــزل. يا له من شعور! كان إنجازاً حقيقياً".

ابتسمت بنعومة، وهي تصغي إليه. قالت بعد برهة: "أعرف، شعرت هكذا حين أنجبت بيلار. رغم أنها لم تكن صبياً".

"هل يهمّ ذلك فعلاً؟" بدا منــزعجاً.

"كان مهماً يومها. كان يعني الكثير بالنسبة إلى مارك أن أنجب صبياً. لكنني لا أظن أنه ما زال يهتم لذلك. فهو يعشقها".

قال بين: "أظن أنني أفضل إنجاب بنت بدل الصبي".

بدت ديانا متفاجئة. "لماذا؟"

"يسهل حبها. لست بحاجة إلى الاهتمام بالصورة وكل تلك التفاهة التي لا تعني أي شيء. يمكنك حبها بكل بساطة". بدا وكأنه نادم على عدم إنجابه أي ولد، ووجدت نفسها تتساءل ما إذا كان يفكر في الزواج ثانية.

"لا، لن أفعل". لم يكن ينظر إليها حين قال ذلك.

"لن ماذا؟" بدت مرتبكة. لديه طريقة في الإجابة عن الأسئلة التي لم تطرحها. إلا في رأسها.

"أتزوج ثانية".

"أنت مجنون. لماذا؟" ما زالت مذهولة لأنه عرف بماذا كانت تفكر.

"لا جدوى. لديّ ما أحتاج إليه. وأنا الآن مشغول جداً في المعارض. لن يكون هذا عادلاً إلا مع شخص مهتم في هذا المجال بقدري أنا. كنت مهتماً أقل في عملي قبل عشرة أعوام. لكنني الآن غارق فيه".

"لكنك تريد أولاداً، أليس كذلك؟" فهمت هذا تماماً.

"أريد أيضاً منــزلاً خارج فيينا. لكنني أستطيع العيش من دون هذا. وماذا عنك؟"



"لديّ ابنة هل تقصد أنني أريد المزيد من الأولاد؟" لم تفهم.

"لا، أو ربما هذا أيضاً، لكن هل تظنين أنكِ قد تتزوجين مجدداً يوماً ما؟" نظر إليها بصراحة بعينيه الخضراوين العميقتين.

"لكنني متزوجة".

"هل أنتِ سعيدة، ديانا؟"

كان السؤال مؤلماً وصريحاً. بدأت تقول نعم، ثم توقفت. "أحياناً. أقبل بما حصلت عليه".

"لماذا؟"

"لأننا نملك أنا وهو ماضياً خلفنا". وجدت أنها لا تريد لفظ اسم مارك أمام بين. "لا يمكنك استبدال ذلك، أو إنكاره، أو الهروب منه. لدينا ماضٍ".

"ماضٍ جيد؟"

"أحياناً. فهمت ذات مرة قواعد اللعبة". كانت صادقة بشكل فظ، حتى مع نفسها.

"وما هي؟" كان صوته ناعماً جداً، مما جعلها ترغب في الاقتراب منه، وعدم التحدث عن مارك. لكن بين صديقها الآن. وليس لديها الحق في أكثر من ذلك. فقط صداقته. ولا بأس إذا كانا يتحدثان عن مارك. "ما هي تلك القواعد؟"

تنهدت، ثم ارتعشت. "الكثير من **يجب ألا**. يجب ألا تتحدى رغبات الزوج، يجب ألا تطرح الكثير من الأسئلة، يجب ألا تعيش حياة خاصة بك، على الأقل كرسام... لكنه كان جيداً جداً معي في السابق. تركني والدي تائهة، ومفلسة، وخائفة حين مات. أنقذني مارك من ذلك. لا أظن أنني أردت كل ما أعطاني إياه، لكنه فعل. أعطاني وسائل الراحة ومنــزلاً، وعائلة واستقراراً، وأنجبنا أخيراً بيلار". لم تذكر الحب.

"هل كان يستحق كل ذلك؟ وهل ما زال كذلك الآن؟"

حاولت الابتسام، "أظن ذلك. لقد علقت. أحب ما حصلت عليه".

"هل تحبينه؟"

اختفت الابتسامة ببطء. أومأت برأسها.

"أنا آسف ديانا. لم يكن يجدر بـي طرح السؤال".

"ولمَ لا؟ نحن صديقان".

"نعم". ابتسم لها مجدداً. "نحن كذلك. هل ترغبين في التنـزه على الشاطئ؟" كان واقفاً على قدميه، ويده ممدودة لمساعدتها على الوقوف. تلامست يداهما لفترة وجيزة قبل أن يلتفت ويخطو بسرعة نحو الشاطئ، داعياً إياها للحاق به. مشت ببطء، مفكرة في ما قالاه. كل شيء كان واضحاً على الأقل، وهي تحب مارك. لن تواجه مشكلات على الأقل مع بين. خشيت الأمر للحظة أو لحظتين. ثمة شيء فيه يعجبها كثيراً.

أعطاها أصدافاً، ومشى في الماء حتى ركبتيه، علماً أنه خلع صندله قبل ساعات عدة. بدا مثل صبـي طويل وسعيد يلعب في الماء، وابتسمت هي فيما كانت تراقبه.

"هل تريدين التسابق؟" نظر إليها بمكر فيما عاد للوقوف قربها، قبلت ديانا التحدي مسرورة. لو تستطيع بيلار رؤية أمها الآن، تتسابق مع رجل على الشاطئ، كما لو أنهما ولدان. لكنها شعرت وكأنها فتاة صغيرة، تركض فوق الرمل الرطب، مقطوعة الأنفاس وشعرها متطاير في الهواء. توقفت أخيراً وهي تضحك وتلهث، وهزّت رأسها فيما مرّ أمامها.

"استسلمت؟" صرخ لها من بعيد. حين أومأت برأسها، استدار على الشاطئ، وعاد مسرعاً إلى حيث كانت تقف على الرمل. كشفت الشمس عن خصلات حمراء في شعرها الداكن. سمح لنفسه بالجلوس قربها، وهكذا جلسا معاً، ينظران إلى البحر، ويحبسان أنفاسهما. بعد برهة، نظرت إليه، وهي تعرف ماذا سترى: سترى تلك العينين بلون البحر وهما تنتظرانها.



"ديانا....". انتظر وقتاً طويلاً جداً، وهو ينظر إليها، ثم انحنى ببطء نحوها، هامساً الكلمات في دكنة شعرها. "أوه، ديانا، أنا أحبك...".

وكما لو أنه لم يستطع كبح نفسه، شعر بذراعيه تطوّقانها، وفمه يقترب بلطف من فمها، لكنّ ذراعيها أسرعتا للالتفاف حوله، وكان فمها تواقاً بقدر فمه. جلسا هناك لوقت طويل، يمسكان ببعضهما البعض، ويلمسان وجهي بعضهما، ويحدّقان في عيني بعضهما، من دون أية كلمات إضافية عدا عن تلك التي لفظها في البداية. لا يحتاجان إلى الكلمات. لديهما بعضهما في عالم توقف فيه الزمن. كان بين من ابتعد في النهاية، ولم يقل أي شيء، وإنما وقف، بهدوء وبطء، ومدّ يده ليساعدها. مشيا، يداً بيد، على الشاطئ.

لم يتحدثا مجدداً حتى وصلا إلى السيارة. جلس بين هناك لفترة، وبدا منـزعجاً.

"يجدر بـي أن أقول إنني آسف، ديانا، لكنني لست كذلك".

"ولا أنا". بدت وكأنها مصدومة. "لكنني لا أفهم".

"ربما لا يجدر بنا. يمكننا البقاء صديقين". نظر إليها حينها مع محاولة للابتسام، لكنه لم يجد أية ابتسامة في عينيها، وإنما فقط بريق شيء تائه.

"لا أشعر بالخيانة. على الأقل ليس من قبلك". أرادته أن يعرف ذلك.

"من قبلك أنت؟"

"ربما. أظن أنني لا أفهم".

"لست مضطرة لذلك. كنت واضحة جداً بشأن حياتك حين تحدثنا عنها قبلاً. ما من شيء يجدر بك فهمه أو شرحه". كان صوته رقيقاً جداً. "يمكننا النسيان. أنا واثق من أننا سنفعل".

لكنها لا تريد ذلك، وهذا أكثر ما أدهشها. لا تريد أن تنسى على الإطلاق.

"هل كنت تقصد ما قلته؟" وكانت تقصد بذلك كلمة "أحبك"، لكنها لاحظت

أنه فهم. "أنا أشعر بهذا أيضاً. هذا جنون حقيقي".

"ليس كذلك!" ضحك عالياً هذه المرّة، وقبّل وجنتها. "قد يكون حتى جنوناً كبيراً. لكن مهما كان شعورنا، لن أدمر حياتك. لديك ما تحتاجين إليه، ولست بحاجة إليّ لإغراق سفينتك الآن. أظن أنكِ احتجت إلى الثمانية عشر عاماً الماضية للقبول بتلك الحياة". هذا صحيح، وهي تعرف ذلك. "أعدكِ، ديانا. لن أؤذيكِ".

"لكن ماذا سنفعل؟" شعرت كأنها طفلة، تائهة بين ذراعيه.

"لا شيء. سنكون ولدين كبيرين. وصديقين جيدين. هل يبدو هذا ملائماً لك؟"

"أفترض ذلك". لكن ثمة ارتياح في صوتها هي أيضاً، إضافة إلى الندم. لم تشأ خداع مارك. يهمها كثيراً أن تكون مخلصة.

أدار السيارة، وعادا ببطء إلى المنــزل، وتفوها بالقليل خلال طريق العودة. إنه يوم لن تنساه بسرعة. بدا أن دهراً بكامله مرّ قبل أن يتوقفا أمام منــزلها.

"هل ستأتي لتناول الغداء في الاستوديو عندي بين الحين والآخر؟" بدت يائسة جداً مما جعل ألمه أكبر، لكنه ابتسم.

"في أي وقت. سأتصل بك قريباً".

أومأت برأسها وخرجت من السيارة. سمعته يبتعد قبل أن تتاح لها فرصة النظر مجدداً إلى الخلف.

صعدت السلالم ببطء للوصول إلى غرفتها، واستلقت على السرير. ألقت بعدها نظرة سريعة على الهاتف، وشاهدت رسالة من مارك. استلمت مارغريت الاتصال بعد الظهر. ارتعدت حين قرأت الرسالة: الرجاء الاتصال بالسيد دوراس. لا تريد الاتصال الآن. لا تريد سماعه. ليس الآن. لكنها عرفت أنها مجبرة. عليها إجبار نفسها للعودة إلى حياتها والابتعاد عن حلم الشاطئ.



احتاجت إلى نصف ساعة لإجبار نفسها على إجراء الاتصال. وأخيراً، طلبت الاتصال بروما من مكتب الاتصالات الدولية، وطلبت غرفة مارك في فندق هاسلر.

هذه المرة كان موجوداً.

"مارك؟ هذه أنا".

"نعم. مرحباً". بدا غريباً وبارداً.

"ديانا". ظنت لبرهة أنه لم يعرف من تكون. ثم أدركت الوقت. إنها الساعة الثانية فجراً في روما. كان نائماً بلا شك.

"نعم، نعم، أعرف. كنت نائماً".

"أنا آسفة. انقطع الاتصال في آخر مرة تكلمنا فيها، وتركت مارغريت رسالة. ظننت أن الأمر مهم ربما". لكنها شعرت فجأة بالغرابة معه. لم تشعر أنه كان نائماً.

"صح. أين كنتِ؟" يا الله، لماذا يبدو بارداً هكذا؟ لماذا الآن؟ تحتاج إلى سبب للتشبث به، إلى سبب لعدم الوقوع في غرام بين، إلى سبب للبقاء وفية.

"كنت أتسوق خارجاً". تكره الكذب، لكن ماذا ستقول له؟ كنت أُقبّل بين تومبسون على الشاطئ؟ "هل كل شيء على ما يرام في روما؟"

"نعم. اسمعي"- بدا متردداً لبرهة- "سأتصل بك مجدداً".

"متى؟" أرادت أن تعرف. تحتاج إلى سماعه، تحتاج إلى إبقاء صوته في رأسها. سيخفف ذلك بلا شك ألم ما لا تستطيع الحصول عليه. "متى ستتصل بي؟"

"غداً. في عطلة نهاية الأسبوع. سأتصل. لا تقلقي. اتفقنا؟"

"نعم، حسناً". لكنها تفاجأت بالسرعة في نبرته. "أحبك". كانت الكلمة التماساً تجريبياً. يبدو أنه لم يسمعها.

"وأنا أيضاً. وداعاً". ثم، ومن دون أن يقول المزيد، أقفل السماعة. جلست

ديانا تحدق في الهاتف.

تلك الليلة، تناولت ديانا الطعام لوحدها في الاستوديو، ثم وقفت لنصف ساعة على المصطبة الصغيرة، وهي تشاهد الشمس تغيب في الخليج. كان باستطاعتها رؤية ذلك مع بين، لو لم ترسله بعيداً. لماذا فعلت هذا؟ حتى تشعر بالعفّة حين يتصل بها مارك من الجهة الأخرى في العالم؟ شعرت بالدموع تنهمر على وجنتيها. وحين سمعت جرس الباب، قفزت في مكانها. قررت ألا تجيب، ثم تساءلت ما إذا كانت هذه كيم جاءت لترى كيف حالها. تستطيع كيم أن ترى الأنوار في الاستوديو، وتعرف أين تختفي. مسحت الدموع عن وجنتيها بكمّ قميصها، وركضت حافية القدمين على السلالم. لم تفكر حتى في أن تسأل من الطارق، وإنما فتحت الباب ببساطة، وبدت مثل فتاة صغيرة متعبة، في سروال الجينــز والقدمين الحافيتين، وشعرها الذي يغطي عينيها. نظرت إلى الأعلى وهي تتوقع رؤية كيم، لكنها وقفت بدل ذلك متفاجئة حين رأت من الطارق. إنه بين.

"هل هذا وقت سيىء؟" سألها. هزّت رأسها. "هل نستطيع الكلام؟" بدا منــزعجاً مثلما شعرت هي، وأسرع إلى الدخول حين أومأت إيجاباً.

"تعال إلى الاستوديو. كنتُ هناك".

"تعملين؟" فتّش في عينيها، وهزّت هي رأسها.

"أفكّر".

"وأنا أيضاً".

أغلقت الباب بهدوء خلفه. لحقها على السلالم، وأشارت إليه للجلوس على كرسيها المفضل. "قهوة أم شراب فرنسي؟"

"لا هذا ولا ذاك. شكراً". بدا فجأة عصبياً جداً، كما لو أنه تساءل عن سبب مجيئه. ثم جلس على الكرسي، وأغمض عينيه، ومرر يده في شعره.



"هذا جنون، لم يكن يجدر بـــي المجيء".

"أنا مسرورة لأنك فعلت".

"في هذه الحالة"- فتح عينيه وابتسم لها بتردد- "وأنا أيضاً، ديانا. أعرف أن هذا مجنون... لكنني أحبك. وأشعر أنني مثل ولد طائش. لا يجدر بـــي التواجد هنا. ليس لديّ أي شيء ذكي لقوله، سوى ما قلته لك اليوم على الشاطئ". تحول صوته إلى همس، وأخفض عينيه. "أنا أحبك".

بقيت الغرفة ساكنة لبرهة طويلة فيما راقبته هي، وامتلأت عيناها بالدموع. سمع تنهيدتها. "أنا أيضاً أحبك".

"هل تعرفين ما الذي جئت لقوله لك هنا؟" سألها. "إنني سأقبل بأي شيء. لحظة، سهرة، صيف. لن أقف في طريقك بعد ذلك. سأختفي. لكنني لا أستطيع تحمل رؤية خسارتنا لما يمكننا الحصول عليه". نظر إليها حينها. كان وجهها رطباً نتيجة الدموع التي انهمرت ببطء على قميصها الملطخ بالطلاء، لكنها كانت تبتسم له وتمدّ له يدها. أخذ يدها بقوة بيده، وشدّها نحوه. "ألا يبدو هذا جنوناً بالنسبة إليك؟"

"نعم. جداً. وفي نهاية الصيف؟"

"نفترق".

"وماذا لو لم نستطع؟"

"علينا ذلك. سأفعل لأنني أعرف أن هذا سيكون لراحة بالك. ماذا عنك؟"

"أفترض أنني أستطيع ذلك أيضاً". التفت ذراعاها حوله. "لا أهتم لما سيحصل حينها. أنا أحبك".

كان يبتسم ابتسامة عريضة فيما أمسكها بالقرب منه. هذا ما أراد سماعه منها. شعر فجأة بالحرية، والإثارة، والحيوية.

"هل تأتين معي إلى المنـــزل، ديانا؟ بيتي فوضوي، لكنني أريد مشاركته معك، أريد أن أريك ثرواتي. أريد أن أريك الأشياء التي أهتم بها، وأعطيك

حياتي، وأريك معارضي وكيفية العمل فيها. أريد أن أمشي على الشاطئ في كارمل معك. أريد... أوه، ديانا، حبيبتي، حبيبتي، أنا أحبك!"

باتا يضحكان الآن فيما حملها بين ذراعيه، وأنزلها على السلالم. شعرت ديانا لبرهة بالامتنان لأن مارغريت في إجازة، لكنها لم تجرؤ على التفكير أكثر من ذلك. لحظة واحدة فقط لم تفكر خلالها في مارك. إنها ملك بين الآن. ملك بين لفصل الصيف.



# 9

"صباح الخير". سمعت صوت بين بنعومة في أذنها. فتحت عيناً واحدة. كانت الغرفة غير مألوفة. إنها تحدق في حائط أصفر شاحب. لقد فتح أحدهم الستائر فوق النوافذ الكبيرة المطلة على الخليج، ودخلت أشعة الشمس إلى الغرفة. رأت أشجاراً خارج نافذته، واستطاعت سماع زقزقة العصافير. إنه يوم صيفي حار ورائع يوحي بشهر سبتمبر أكثر مما يوحي بشهر يونيو.

جالت ديانا بعينيها على الجدار الأصفر الشاحب، ولاحظت بسرعة وجود لوحة مائية لشاطئ، ولوحة باستيل أصغر حجماً، ولوحة أخرى زيتية. كان العمل الفني دقيقاً جداً ومشمساً، مثل بين نفسه. أسندت نفسها على مرفق واحد متثائبة، وتمددت وابتسمت. كان ينظر إليها بوجه حب جديد.

"أنا أنتظرك منذ ساعة. ظننت أنك لن تنهضي أبداً!" بدا فجأة أشبه بولد صغير أكثر من عاشق، وضحكت هي.

"أظن أنني كنت متعبة قليلاً". ابتسمت مجدداً، وانزلقت تحت الشراشف وهي تضع يداً واحدة على فخذه. كانت ليلة طويلة ولذيذة بين ذراعيه، ولم يخلد إلى النوم حتى بزوغ الفجر.

"هل هذا تذمر؟"

"أووه". مررت شفتيها فوق ساقه ثم توقفت عند وركه، وقبلت البشرة البيضاء الطرية الشاحبة حيث كان وريد صغير ينبض بقوة. "صباح الخير حبي". ابتسمت للحياة التي رأتها تنبض، وسحبها بين برفق بين ذراعيه.

"هل أخبرتك هذا الصباح كم أحبك؟" كان ينظر بحنان إلى عينيها، ورأت

شيئاً في وجهه حلمت به ورسمته ولكن من دون أن تشاهده أبداً. إنه نوع من الشغف، نوع من الحب غير المقيّد. إنه شيء تاقت إليه منذ زمن طويل، وتوقفت عن الاعتقاد بأنه موجود. "أحبك، ديانا... أحبك...". ذابت كلماته على شفتيها فيما قبّلها للمرة الأولى هذا الصباح، وترك جسمه ينـــزلق ببطء فوق جسمها. عارضت قليلاً وإنما مع ضحك وتلوٍّ فيما شدّها بالقرب منه. "هل لديك اعتراض؟" بدا مسروراً ومتفاجئاً. لكنه لم يهتم على ما يبدو لأي شيء قالته.

"لم أنظف أسناني! أو أمشط شعري... أو...". اختفت كلماتها نتيجة قبلاته، فيما ضحكت هي ومررت يديها في شعره غير الممشط. "بين... أريد أن..."

"لا. لا تريدين. أحبك هكذا". بدا واثقاً من نفسه.

"لكنني..."

"هس..."

"بين!" لكنها نسيت هذه المرة مسألة أسنانها وشعرها. كانت سعيدة جداً حيث هي، وسط بحر من السعادة فيما بدا جسمه وكأنه يدخل روحها.

"هل تشعرين بالنعاس حبيبتي؟" كان صوته أشبه بالهمس حين تكلما أخيراً. لقد مضت ساعتان تقريباً، وكانت ملتفة بسعادة بين ذراعيه، وساقها مشبوكة بين ساقيه.

"مممم.. بين؟"

"نعم". كان صوته ناعماً في الصباح الصيفي الدافئ.

"أحبك". كان صوتها أشبه بصوت الطفلة.

"أحبك أنا أيضاً. والآن اخلدي إلى النوم".

هكذا فعلت، لمدة ساعتين إضافيتين. حين فتحت عينيها، كان يقف أمام السرير وهو يرتدي ثيابه ويحمل صينية. استيقظت متفاجئة. كان يرتدي بذلة



رسمية زرقاء مخططة. "ماذا تفعل؟" جلست مرتبكة في السرير، ومررت يداً عبر شعرها. شعرت فجأة أنها عارية وشعثة، فيما فاحت من السرير رائحة حلوة....... "كم نمت؟"

"ليس طويلاً جداً. كنت أود فعل ذلك أيضاً لكن لديّ غداء عمل في المعرض. ألغيت واحداً البارحة وإذا ألغيت هذا أيضاً، ستتركني سالي. لكنني لن أتأخر طويلاً". وضع الصينية على ركبتيها فيما اتكأت هي على الوسائد في السرير الكبير المزدوج. "أتمنى أن يعجبك هذا". كان هناك كرواسان، وفاكهة، وقهوة بالحليب، وبيضة مسلوقة بعناية. "لم أكن واثقاً مما تحبين تناوله عند الفطور". بدا صغيراً جداً مجدداً فيما ابتسم.

نظرت ديانا إلى الفطور مذهولة ثم نظرت إليه. ما الذي تستطيع قوله؟ لقد ظهر في حياتها على شاطئ في كارمل، وهو الآن يعدّ لها البيض المسلوق والكرواسان للفطور، ويعتذر لأنه لا يعرف ما الذي تحبه. لقد... .... ... أخبرها أنه يحبها، وأخبرته هي الشيء نفسه. لم تشعر حتى بالذنب لأنها استيقظت في سريره وليس في سريرها؛ السرير الذي تشاركته مع مارك طوال ثمانية عشر عاماً. لم تكترث لمارك هذا الصباح. شعرت بالسعادة، والشباب، والحب وكل ما تريده الآن هو ما لديها مع بين. نظرت إليه مع ابتسامة منتشية وتنهيدة فيما أمسكت بقطعة كرواسان.

"أحذرك سيدي أنه إذا دللتني، سأصبح لا أطاق في أقل من أسبوع".

"لا، لن تصبحي هكذا". قالها بثقة ودعابة. بدا فجأة ناضجاً جداً مجدداً.

"بلى، سأصبح". أغلقت عينيها قليلاً فيما تناولت الكرواسان. "سأتوقع الكرواسان كل صباح، والبيض المسلوق، والقهوة بالحليب...". فتحت عينيها مجدداً. كانتا لامعتين جداً ومليئتين بالمكر. "سأتوقع منك أيضاً أن تبقى في المنـــزل بعيداً عن المكتب كل يوم، لنتمكن من ... ...".

"لا، لن تفعلي".

"أوه، لا؟ ولماذا؟"

"لأن غداً هو دورك أنت في إعداد الفطور لي. هذه ديمقراطية ديانا. نحن نعيش هنا معاً، فنتبادل الأدوار. ندلل بعضنا البعض. نحضر البيض المسلوق لبعضنا البعض". انحنى لتقبيلها مرة أخيرة. "وأنا أحب البيض مقلياً".

"سأدوّن ذلك". ابتسمت له.

وقف. "سأذكرك".

"حسناً". تابعت تناول فطورها، وهي سعيدة جداً ومرتاحة كثيراً. شعرت وكأنهما يعيشان معاً منذ أشهر، إن لم يكن منذ سنوات. لم تستغرب أبداً أن تراه يبتسم لمفاتنها الظاهرة فيما ارتشفت هي القليل من القهوة بالحليب من كوب كبير باللون الأصفر الساطع. كان كل شيء بينهما مريحاً، وسهلاً، وحقيقياً. إنه بعيد جداً عن الرسمية والطقوس في منـــزلها. ووجدت أنها تحب أسلوبه أكثر. الكوب الأصفر بين يديها يوحي بالصلابة. إنه قوي، على عكس كوب الليموج الدقيق المطبع بالأزهار الزرقاء من والدة مارك.

"ماذا ستفعلين اليوم؟"

"أظن أنني سأستحم قبل كل شيء". فركت أنفها، فضحكا.

"أحبك هكذا".

"أنت مقرف". لكنها طوّقته بذراعيها، وقبّلها هو مجدداً. وحين ابتعد عنها، برم عينيه بندم.

"يا الله، قد أضطر إلى إلغاء هذا الغداء في النهاية".

"يمكنك الذهاب لاحقاً. أو"– أرادت سؤاله ما إذا كان سيلتقيان هذه الليلة، لكنها رأت الجواب في عينيه.

"لا أو ديانا. سأنتهي من المعرض في تمام الخامسة. أظن أننا نستطيع الذهاب إلى مكان هادئ لتناول العشاء. ما رأيك في مارين؟"

"أحب ذلك". اتكأت مجدداً على الوسائد مع ابتسامة عريضة، لكنها



لاحظت طيف قلق في عينيه. "هل من خطب؟"

"ليس بالنسبة إليّ. لكن، كنت أتساءل عن رأيك في الخروج. لا أريد أن أسبب لك أية أوضاع صعبة". توجب عليه تذكير نفسه بأن لديها حياة أخرى. لن تكون له أبداً بالكامل. إنه يستعيرها الآن. مثّل تحفة فنية من معرض أجنبي، وليس شيئاً يمكنه امتلاكه والاحتفاظ به على جدار معرضه. سيجعلها ذلك أكثر نفاسة في الوقت الذي يتشاركانه. "ألن يسبب لكِ ذلك أية مشكلة إذا خرجنا معاً؟" نظر إليها بصراحة كبيرة، بعينيه الكبيرتين، الحنونتين، والواسعتين.

"لا ضرورة في ذلك. يعتمد كل شيء على ما نفعله، وإلى أين نذهب، وكيف نتصرف. أظن أن كل شيء سيكون على ما يرام". أومأ برأسه ولم يقل أي شيء، ومدّت هي يدها. أخذ يدها بصمت، وجلس مجدداً على السرير.

"لا أريد أن أفعل أي شيء قد يؤذيكِ لاحقاً".

"لن تفعل. والآن، توقف عن القلق. سيكون كل شيء على ما يرام".

"لكنني جاد في ذلك ديانا. سأكره نفسي إذا عانيت من ذلك لاحقاً".

"ألا تظن أن كلاًّ منا سيعاني؟"

بدا متفاجئاً. "ماذا تقصدين؟"

"أقصد أن هذا سيكون أجمل صيف في حياتي، وأتمنى أن يكون كذلك بالنسبة إليك. وحين ينتهي، حين يعود كل منا إلى حياته، ألا تظن أننا سنعاني؟"

أومأ برأسه، ونظر إلى اليد الرقيقة التي يمسكها بقوة بين يديه. "هل أنت نادمة على ما قررناه؟"

أرجعت ديانا رأسها إلى الخلف، وضحكت ضحكة قوية قبل أن تقبّله بحنان على وجنته. "ولا للحظة واحدة". وأصبحت جادة مجدداً. "لكنني أظن أننا نكون مجنونين إذا توقعنا عدم المعاناة لاحقاً. إذا كان الأمر يستحق ذلك، إذا كان جميلاً، إذا كنا نهتم فعلاً.... إذاً فليكن ذلك. علينا القبول بهذا".

"أنا أقبل. من جهتي. لكن".

"لكن ماذا؟ لا تريدني أن أؤذيك؟ لا تريدني أن أشعر بالعلاقة؟ أو أحبك؟ لا تكن مجنوناً بين. الأمر يستحق ذلك".

"أفهم هذا. أوافقك. لكنني أريد التكتم أيضاً. لا أريد أن أسبب لك المشاكل مع مارك". ارتعدت تقريباً عند سماع اسمه. انحنى بين صوبها مجدداً، وقبّلها بسرعة، ثم وقف. "أظن أننا تحدثنا كفاية في صباح واحد". كره التفكير في ما سيحصل في نهاية الصيف، لكن صعب عليه التصديق أن هذا الوقت سيأتي. لقد بدأت لحظاتهما معاً للتو. "أين ستكونين في تمام الخامسة؟" نظر إليها من فوق كتفه وهو يقف عند الباب. "هنا؟"

هزّت رأسها. "عليّ الذهاب إلى المنــزل".

"هل أمرٌ لاصطحابك من هناك؟" بدا متردداً لبرهة.

"سألاقيك هنا".

أومأ برأسه، وابتسم، وذهب. سمعت السيارة الألمانية الصغيرة تبتعد بعد برهة، فيما مشت هي حول الغرفة، ثم جلست عارية على حافة السرير، وشبكت ساقيها. كانت تبتسم لنفسها. أرادت الغناء. شعرت بالسعادة، وكانت مغرمة. يا له من رجل رائع. كم هو رقيق، وحنون، وحكيم. كما أنه يسليها. يحب الضحك، ويحب إخبار النكات والقصص المضحكة اللامتناهية. أمضى ساعات طويلة في الليلة الفائتة وهو يخبرها قصصاً عن شبابه، وأظهر لها ألبومات من صور طفولته، إضافة إلى صور أهله وشقيقته وأصدقائه، علماً أن العديد منهم هم من الفنانين، والممثلين، والمؤلفين المشهورين. لا تزال الألبومات منتشرة على الأرضية.

يملك منــزلاً صغيراً مريحاً، مختلفاً جداً عن المنــزل في كارمل. فالمنــزل في كارمل أكبر، ويكتسي بالألوان الرملية نفسها الموجودة على الشاطئ، مع ظلال البيج والأبيض والرمادي، والأخشاب الغبارية اللون،



والأقمشة البيضاء الناعمة. أما منــزل المدينة فكان كجوهرة صغيرة على قمة تلغراف هيل مليئاً باللوحات والكتب. ثمة أريكتان عميقتان من الجلد الأحمر في غرفة الجلوس المزينة بكتب أنيقة، يتحدث معظمها عن الفنّ. كما أن لون جدران غرفة الجلوس بيج، وهي مزينة بلوحتين. أما الأرضية فكانت من الخشب المعتق، فيما السجادة شرقية ولكنها ليست فخمة بقدر السجادات التي أحضرها مارك معه من إيران قبل أعوام. لم يكن منــزل بين الصغير نموذجاً جمالياً، لكنه دافئ، ومحبب، ومكان بدا واضحاً أنه يحبه، ويمضي فيه أمسياته مع الفنانين أو مع أصدقائه. ثمة موقد يستعمل غالباً مع سياج نحاسي وجده في فرنسا، وكمنجة كبيرة واقفة في إحدى الزوايا. إنه يملك بيانو صغيراً وغيتاراً، مع مكتب إنكليزي قديم وجميل وتمثال نصفي برونزي. هناك نوع من الفوضى المحببة، نوع من التلف الأنيق. هناك بعض الأشياء النفيسة، لكنّ معظمها نفيس بالنسبة إليه هو فقط وللأشخاص الذين يحبهم. غرفة الجلوس تشبه بين كثيراً، تماماً مثل غرفة النوم الصفراء الصغيرة التي تطل شرقاً على الخليج، وكانت ساطعة بقدر شمس الصباح. إنها تطل على مصطبة صغيرة مليئة بالنباتات المزهرة، مع كرسيين مريحين من قماش القنّب. بالإضافة إلى ذلك، هناك مطبخ، وغرفة إضافية يجمع فيها بين عمله؛ بعض اللوحات الفنية النادرة، العديد من الملفات، ومكتب آخر. تتيح له الغرفة الإضافية العمل في المنــزل، وهي- تماماً مثل سيارته- مفيدة وإنما غير مترفة. فيما نظرت ديانا حولها، أدركت مجدداً أنه مزيج غريب من الراحة والأناقة، وبدا سعيداً دوماً لجمعه الأمرين بطريقة خاصة وفريدة به. ارتدت ديانا ثوب الحمام الأزرق والأسود خاصته، وجالت قليلاً على المصطبة. جلست على إحدى الكرسيين. كانتا قبلاً باللون الأخضر الساطع لكنّ لونهما خبا الآن نتيجة أشعة الشمس، وتحول إلى الأصفر الشاحب. مددت ساقيها لبرهة، وأدارت وجهها إلى الشمس وهي تفكر به، متسائلة أين يكون؛ هل وصل إلى المعرض؟ هل يتناول الغداء؟ يوقع الشيكات مع سالي؟ يتحدث إلى غوستاف؟ أحبت الطريقة التي يعيش فيها

حياته، وما يفعله، وكيف يتعامل مع الأشخاص حوله؛ وكيف يتعامل معها. وجدت أنها تحب حتى فكرة تناوب الأدوار في إعداد الفطور؛ ديمقراطية، كما أسماها. إنها طريقة ممتعة للعيش. جعلت ثوب الحمام يسقط قليلاً، وابتسمت حين شعرت بدفء الشمس على جسمها. ستعود بعد قليل إلى المنـزل، إلى الاستوديو، لترسم. ولكن ليس الآن. إنها سعيدة جداً في الجلوس تحت أشعة الشمس مثل الهرّة، تفكر في بين.

"وداعاً سيدي... وداعاً سيدة دوراس". انحنى البواب في فندق هاسلر باحترام أمام شانتال ومارك فيما خرجا من الفندق، وأعطاه مارك بقشيشاً أكثر من كبير. ثمة سيارة في انتظارهما خارج الفندق. تم وضع حقائبهما في الصندوق، وانتظر السائق لاصطحابهما إلى المطار.

كانت شانتال هادئة على نحو غريب فيما توجها إلى المطار. وأخيراً، أبعد مارك نظره عن النافذة، وسمح لنفسه بالنظر إلى عينيها.

"هل أنت واثقة من أنك تريدين فعل ذلك؟"

"طبعاً".

لكنّ هذا أقلقه. لم تكن يوماً بمثل هذا العناد قبلاً. أصرّت على أنها لن تختبئ في سان ريمو أو في بلدة أخرى في الريفييرا. أرادت العودة إلى باريس وانتظاره هناك، فيما يزور هو عائلته في الكاب أنتيب. لتتمكن من قضاء عطلة نهاية أسبوع مع عشيقها، الرجل الذي طلبها للزواج؟ لم يغب عن بال مارك هذا الخطر. شعر بموجة من الغيرة القاتلة.

"ما الذي تخططين لفعله طوال نهاية الأسبوع؟" ثمة انفعال واضح في صوته، لكنها أعادت إليه النظرة الصارمة نفسها فيما عبرت السيارة بين زحمة السير.

"سأذهب إلى المكتب. لا أستطيع إلقاء كل شيء على ماري آنج. يكفي



أنه حين نسافر، عليّ ترك كل شيء بين يديها. طالما أنني أملك الوقت، يجدر بـــي الذهاب إلى المكتب ومعرفة ما يحصل هناك".

"أنا متأثر بتفانيك في عملك. هذا جديد، أليس كذلك؟" نادراً ما يكون ساخراً هكذا مع شانتال.

لكنّ نبرتها كانت لئيمة مثل نبرته. "لا. ليس كذلك. أنت لست معي دوماً لمعرفة ما يحصل. ما الذي تظن أنني أفعله؟"

"لا تظني أنني لم أنتبه إلى خبرك الصغير البارحة، شانتال".

"قلت إن شخصاً طلب الزواج مني. لم أقل إنني وافقت".

"كم هذا مريح. لكن عليّ الافتراض أنه لم يطلبك للزواج على أساس وجبتي غداء وحفلة شاي. أفترض أنكما تعرفان بعضكما جيداً".

لم تجب شانتال. اكتفت بالنظر إلى خارج النافذة، فيما اشتعل مارك إدوار غضباً سراً. اللعنة، ماذا تتوقع منه؟ لا يستطيع أن يكون معها لوقت أطول مما يفعل حالياً، ولا يستطيع أن يقترح عليها الزواج. لديه ديانا.

لكن صوت شانتال كان هادئاً بطريقة غريبة حين أجابته. "لا تقلق بشأن ذلك".

"شكراً". تنهد، وارتخت كتفاه فيما أخذ يدها. "أحبك، أرجوك حاولي أن تفهميني".

"أحاول. أكثر مما تظن".

"أعرف أن هذا صعب عليك. وهو صعب عليّ أيضاً. لكن لا تقيمي منافسة بينك وبين بيلار وأمي. هذا ليس عادلاً. أحتاج إلى رؤيتهما أيضاً".

"ربما، أنا أيضاً". ثمة شيء حزين جداً في صوتها لكنه لم يعرف ماذا يقول. لو كان رجلاً أقل عقلانية، لقرر ربما التخلي عن كل المنطق واصطحابها معه، لكنه لا يستطيع ذلك.

"حبيبتي، أنا آسف". وضع ذراعه برفق حول كتفيها، وشدّها إليه، ولم

تكن هناك أية مقاومة. "سأحاول إبعاد هذه الفكرة، حسناً؟" أومأت برأسها ولم تقل أي شيء، لكنّ دمعة وقفت على طرف أهدابها، وشعر هو بشيء يتمزق في قلبه. "سأغيب لبضعة أيام فقط. سأعود ليلة الأحد، ويمكننا تناول العشاء معاً في مطعم ماكسيم، قبل أن نغادر إلى أثينا".

"متى سنغادر؟"

"الاثنين أو الثلاثاء".

أومأت برأسها مجدداً. ضمّها بالقرب منه طوال الطريق إلى المطار.

أدخلت ديانا مفتاحها في الباب، وتوقفت لبرهة، للاستماع إلى مارغريت. لا يوجد أحد في المنــزل. لا تزال مارغريت في إجازة. هل يمكن ذلك؟ ألم تمرّ أسابيع؟ أو أشهر أو حتى سنوات؟ هل ذهبت مع بين فقط في الليلة الفائتة لممارسة الحب معه للمرة الأولى؟ هل مضت ثماني عشرة ساعة فقط على تركها المنــزل؟ خفق قلبها بقوة فيما أغلقت الباب خلفها. كان الجو هادئاً جداً في منــزله، حين استحمت، وارتدت ثيابها. شاهدت العصفورين الصغيرين يلعبان على المصطبة، واستمعت إلى إحدى الأغاني فيما رتّبت السرير. أمسكت بخوخة من سلة فاكهة كبيرة موجودة في المطبخ قبل أن تغادر، وهي تشعر وكأنها عاشت هناك منذ أعوام، وكأن منــزل بين منــزلها بقدر ما هو منــزله. الآن، فجأة، أصبحت هنا مجدداً. في منــزل مارك، في منــزل السيد والسيدة دوراس. ألقت نظرة خاطفة على صورة لهما في إطار فضي، تم التقاطها خلال أول صيف أمضياه معاً في الكاب أنتيب. هل هذه هي؟ واقفة بطريقة غريبة مع كأس من الشراب الفرنسي الأبيض في يدها، فيما مارك يثرثر مع أمه تحت قبعتها القشية العملاقة. كم تشعر بالغرابة لمجرد النظر إليها، كم تشعر بالغرابة في هذه الغرفة. وقفت عند مدخل غرفة الجلوس المغطاة بالحرير الأخضر الشاحب وسجادة الأوبوسون، ورأت أن مجرد النظر إليها يجعلها تشعر بالبرد. لكن هذا منــزلها. هذا هو المكان الذي تنتمي إليه، وليس ذلك المنــزل الصغير على الهضبة حيث أمضت الليلة مع رجل غريب.



ما الذي تفعله؟

خلعت الصندل من قدميها، ومشت حافية في الغرفة الخضراء الباردة، وجلست بعناية على الأريكة. ما الذي فعلته؟ لقد خدعت مارك للمرة الأولى منذ ثمانية عشر عاماً، وبدا كل شيء طبيعياً وعادياً جداً. في ليلة كاملة، شعرت وكأنها لم تعرف مارك أبداً، كما لو أنها متزوجة من بين. أمسكت بصورة صغيرة لبيلار موضوعة في إطار فضي آخر، ولاحظت أن يدها ترتعد. بيلار في ملابس التنس. تم التقاط هذه الصورة لها في جنوب فرنسا. حدّقت ديانا فيها وهي شاردة الذهن. لم تسمع حتى الرنين المستمر لجرس الباب. مضت دقيقتان أو ثلاث دقائق قبل أن تدرك أن شخصاً ما يقف عند الباب. قفزت في مكانها، مذهولة، ووضعت صورة بيلار. تسابقت أفكارها فيما أسرعت إلى الباب. من هذا؟ من يدري؟ وماذا لو كان بين؟ لم تشعر أنها مستعدة لرؤيته الآن. ما فعلاه كان خطأ. عليها أن تقول له، عليها أن تتوقف، الآن قبل أن يفوت الأوان، قبل أن تنقسم حياتها... قبل....

"من الطارق؟"

أعلمها صوت أن ثمة طرداً لها. فتحت الباب، وشاهدت الرجل أمامها. "لكنني لم أطلب...". ثم عرفت. إنها أزهار من بين. أرادت للحظة أن ترجعها، تعيدها إليه، تدّعي أن الليلة السابقة لم تحصل ولن تحصل مجدداً. لكنها أمسكت الباقة بدل ذلك بين ذراعيها وأخذتها إلى الداخل، حيث رفعت البطاقة، وأمسكتها للحظة قبل أن تقرأ ما هو مكتوب عليها:

أسرعي إلى المنــزل، حبيبتي. سألاقيك في تمام الخامسة.

أحبك،

بين

أحبك، بين. جالت عيناها فوق الكلمات وامتلأتا بالدموع. أحبك، بين. لقد فات الأوان. إنها تحبه أيضاً.

ركضت مسرعة إلى غرفتها، ووضبت حقيبة صغيرة. ثم ذهبت إلى الاستوديو. هذا كل ما ستأخذه. لوحة واحدة أو اثنتان قيد الإعداد، بعض الطلاء، ستكتفي بذلك. لا يجدر بها البقاء لأكثر من بضعة أيام. هذا كل شيء.

تركت رقماً لمارغريت، وشرحت لها أنها ذهبت لزيارة صديقة. في تمام الخامسة والنصف، عادت إلى منــزله. ركنت سيارة الجاكوار على بعد مبنى واحد، ومشت بتردد نحو الباب. ما الذي تفعله؟ لكنه سمعها على الدرجات الأمامية. وقبل أن ترنّ الجرس، فتح لها الباب مع انحناءة وابتسامة، ومدّ لها ذراعه.

"ادخلي. أنا أنتظرك منذ ساعات". أغلق الباب بهدوء خلفها. وقفت هناك لبرهة، محاولة حبس الدموع بقوة في عينيها.

"ديانا؟ هل أنت بخير حبيبتي؟" ثمة قلق في صوته، لكنها أومأت برأسها. وضع ذراعيه حولها بهدوء. "هل أنتِ خائفة؟"

فتحت عينيها، وأومأت برأسها مترددة.

لكن بين ابتسم، وأمسكها قربه، وهمس في شعرها: "وأنا أيضاً".



# 10

"حسناً، أيتها الصغيرة، انهضي. إنه دورك". ضربها بين برفق على مؤخرتها، وتأوهت ديانا.

"لا، ليس دوري. لقد أعددت الفطور البارحة". ابتسمت في الوسادة، وأخفت وجهها.

"هل تعرفين أنني أحبك، حتى لو كنتِ كاذبة؟ لقد حضرت الفطور البارحة وفي اليومين اللذين سبقاه وفي الأربعة أيام التي سبقت ذلك أيضاً. في الواقع، أظن أنكِ تدينين لي بثلاثة أيام متتالية".

"هذه كذبة!" كانت تضحك بصوتٍ عالٍ.

"إنها كذلك. قلت لك. هذه ديمقراطية!" كان يضحك هو أيضاً محاولاً برم الجسم العاري الذي يحبه ليتمكن من رؤية وجهها.

"لا أحب الديمقراطية!"

"صعب. أريد القهوة، والتوست الفرنسي، والبيض".

"وماذا لو لم أحضّر ذلك؟"

"إذاً، تنامين الليلة على المصطبة".

"عرفت ذلك. كان يجدر بــي إحضار مارغريت".

"نحن الثلاثة؟ يبدو ذلك رائعاً. هل تجيد الطهو؟"

"أفضل مني".

"جيد. سنحضرها اليوم". برمها في السرير مع ابتسامة رضى. "في غضون ذلك، انهضي وأطعميني".

"أنت رجل فاسد".

"وأحب ذلك".

"ستصبح سميناً". جلست على حافة السرير وهي تنظر إلى جسمه البعيد كل البعد عن البدانة. "بالإضافة إلى ذلك، ليس البيض جيداً لك، لأنه يحتوي على الكربوهيدرات، أو الكولسترول، أو الكروموزومات أو شيء ما، و...". أشار إلى المطبخ، مع عبوس ضاحك على وجهه، ونهضت ديانا. "أكرهك".

"أعرف".

ضحكت، واختفت في المطبخ. إنهما معاً منذ أسبوعين؛ لحظة، دهر. يتشاركان الطهو والواجبات. تأتي سيدة عجوز مضحكة مرتين أسبوعياً للتنظيف، لكنّ بين يحب إنجاز الأمور بنفسه، ووجدت ديانا أنها تستمتع بمشاركة هذه الأمور معه. ذهبا معاً للتسوق، وحضّرا وجبات العشاء، ونظفا النحاسيات، وانتزعا العشب الضار من بين أزهار المصطبة. راقبته وهو يتمعّن في كتالوجات المزادات الوشيكة، وشاهدها وهي ترسم، أو تعمل في لوحات الباستيل أو اللوحات الزيتية. كان أول شخص تسمح له برؤية عملها قيد الإنجاز. قرأا الكتب، وشاهدا التلفزيون، وذهبا في نزهات. مشيا على الشاطئ ذات مرة في منتصف الليل، وذهبا مرتين لقضاء الليل في منـزله في كارمل. ذهبت لحضور افتتاح آخر في معرضه، وزيارة فنان جديد، مدعية أنها زوجته. بدا وكأنّ أي شيء لم يحصل قبلاً، ولن يحصل أي شيء لاحقاً. إنهما يملكان فقط الوقت والحياة اللذين يتشاركانهما.

وضعت ديانا الصينية التي عليها فطوره والصحيفة. "هل تعرف شيئاً؟ تعجبني. حقاً".

"تبدين متفاجئة. هل كنت تخشين أن تتلفك الديمقراطية؟"

"ربما". جلست مع رجفة صغيرة وسعيدة. "لم أهتم بنفسي أو بأي شخص آخر، بطريقة عملية، منذ زمن بعيد. أنا مسؤولة عن الجميع، لكنني لا أظن



أنني حضّرت الفطور منذ سنوات. أو فعلت أياً من الأشياء التي فعلناها معاً".

"لا أحب أن أكون معتمداً على الأشخاص الآخرين، مثل الخدم. أعيش مبدئياً حياة بسيطة جداً".

ابتسمت لنفسها، وتذكرت اللوحات الثلاث الباهظة الثمن التي اشتراها في اليوم السابق في لوس أنجلوس، لكنها عرفت أن ما يقوله صحيح فعلاً. الترف ليس أسلوبه. لقد شاهد الكثير منه حين كان طفلاً، في منـزل أجداده ومن ثم في منـزل والده. إنه أكثر سعادة في المنـزل الصغير على الهضبة في سان فرانسيسكو والمنـزل المتواضع في كارمل.

انحنى فوقها لتقبيل طرف أنفها، ثم اتكأ مجدداً على الوسائد فيما لا يزال الفطور الذي حضرته موجوداً على الصينية. "أحبك، ديانا". كان يبتسم ابتسامة ماكرة. "والآن، متى ستوقعين مع المعرض؟"

"هل عدت إلى هذا مجدداً؟ هذا كل ما في الأمر. تريدني أن أوقع مع المعرض. عرفت ذلك! عرفت ذلك!" ضحكت فيما أبعد هو الوسادة التي رمتها على رأسها. "هذه هي الأشياء التي يقوم بها بعض الأشخاص لدفع الفنانين الجدد إلى التوقيع!"

"حسناً. وهل نجح ذلك؟"

"طبعاً لا. عليك أن تفعل أفضل من ذلك".

"أفضل؟" نظر إليها نظرة شاملة، ووضع صينية الفطور جانباً. "ما الذي تقصدينه بالضبط بكلمة أفضل؟ لماذا...". أغلق فمه فوق فمها، ولمس جسدها بيديه. "أفضل...؟" أصبحا يضحكان الآن. مضت نصف ساعة قبل أن يبتعدا عن بعضهما، ويلتقطا أنفاسهما. "حسناً، هل كان هذا أفضل؟" سألها بين.

"بكثير".

"جيد". نظر إليها بسعادة من حيث كان يستلقي على السرير. "والآن، هل توقعين؟"

"حسناً...". وضعت رأسها على صدره، ونظرت إليه مع تثاؤب صغير. "ربما إذا كررت ذلك مجدداً..."

"ديانا!" برم جسمه، وغطى جسمها بجسمه، وأمسك حنجرتها بيديه. "أريدك أن توقعي معي!" كان صوته عالياً.

ابتسمت بعذوبة. "حسناً".

"ماذا؟" جلس مع نظرة ذهول على وجهه.

"قلت حسناً. حسناً".

"هل تقصدين ذلك؟"

"نعم. هل ما زلت تريدني؟ في المعرض، أقصد". ابتسمت، ونظرت إليه متسائلة. قد يكون ذلك مجرد لعبة ربما.

لكنه كان ينظر إليها وكأنها مجنونة. "طبعاً، ما زلت أريدك أيتها السخيفة! أنتِ أفضل فنانة جديدة وقعت عليها يداي منذ خمسة عشر عاماً!"

أدارت جسمها مجدداً، ونظرت إليه بابتسامة صغيرة. "وعلى من وقعت يداك خلال الخمسة عشر عاماً الماضية؟"

"تعرفين ما الذي أقصده. أقصد مثل غوستاف".

ضحكا على الفكرة. "هل أنتِ جادة ديانا؟ هل ستوقعين؟" أومأت برأسها. "لستِ مضطرة لذلك. تعرفين هذا. أحبك حتى لو لم تعرضي عملك أبداً".

"أعرف. لكنني شاهدتك تعمل طوال أسابيع، ولا أستطيع تحمل ذلك. أريد أن أكون جزءاً من هذا أنا أيضاً. أريد معرضي الخاص".

ضحك. "معرضكِ؟ إيه؟ لا تريدين فنانين آخرين؟ حسناً. فهمت ذلك. متى؟"

"متى يناسبك".

"سأراجع جدول المواعيد مع سالي. ربما خلال أسابيع قليلة". تناول فطوره مع ابتسامة عريضة. بدا وكأنها أنجبت له للتو ابنه.



"هل يجدر بـــي تحضير شيء آخر لك؟" شاهدته وهو يلتهم التوست الفرنسي البارد كالثلج.

"كل ما عليك فعله هو إحضار لوحاتك لي حتى أتمكن من عرضها. من الآن وصاعداً، أنا من سيحضر لك الفطور. كل يوم. لا... خمسة أيام في الأسبوع. أنت تهتمين بعطلة نهاية الأسبوع. ما رأيك في هذا؟"

"رائع. عرفت أن هناك فوائد للاستسلام". رفعت الشراشف مجدداً حتى ذقنها. "بين؟ هل تظن أنني أفعل الشيء الصحيح؟"

عرف ماذا تقصد. كانت الشكوك بادية على ملامح وجهها. لكنه لن يدعها تتراجع. "اخرسي. إذا بدأت هذا، سنفتتح المعرض في الأسبوع المقبل. أنتِ جيدة كفاية. أنتِ مذهلة. أنتِ رائعة. بحق الله، ديانا، أنتِ أفضل فنانة جديدة في المدينة، وربما في لوس أنجلوس أيضاً. اخرسي ودعيني أتولى المعرض. حسناً؟"

"حسناً".

كانت هادئة، تفكر في مارك. كيف ستخبره أنها قررت أخيراً عرض أعمالها؟ أو هل يجدر به أن يعرف؟ لقد طلب منها قبل أعوام عدة أن تطرد أحلام الفنّ بعيداً، لأن السيدة دوراس لا يمكن أن تكون نوعاً من "الرسامين الهيبيين". اللعنة، لكنها ليست كذلك، وأي حق يملكه لكي...

"بماذا تفكرين؟" لا يزال بين يراقبها.

"لا شيء مهم". ابتسمت. "كنت أفكر فقط في المعرض".

"هل أنتِ واثقة؟ بدا لي وكأنك كنت على وشك الهزيمة".

تنهدت، ونظرت إليه مجدداً. "شعرت وكأنني هكذا. كنت أحاول التفكير في... في ما سأقوله لمارك".

"هل أنتِ مضطرة لذلك؟" بدا بين فجأة متوتراً.

"ربما يجدر بـــي ذلك. أفترض أنك تعتبر هذا جنوناً الآن، لكنني لا أريد

أن أكون غير صادقة معه. ليس أكثر مما أنا مضطرة".

"يبدو هذا جنوناً، لكنني أفهم ماذا تقصدين. لن يكون مسروراً بشأن المعرض، أليس كذلك؟"

"لا، لن يكون مسروراً. لكن أظن أنّ عليّ إخباره".

"وإذا قال لا؟" بدا بين متألماً، وأخفضت ديانا عينيها.

"لن يفعل"

لكنّهما عرفا أنه سيفعل.

دخل مارك بهدوء إلى الشقة. إنها ثاني عطلة نهاية أسبوع يقضيها من دون شانتال. لكنّ عطلاته في جنوب فرنسا مع عائلته مقدسة. لطالما فهمت ذلك قبلاً. لماذا تسبب له المشاكل الآن؟ بالكاد تحدثت إليه يوم الجمعة حين غادر. وضع حقيبته في الردهة ونظر حوله. ليست في المنـــزل. لكنّ الساعة تجاوزت التاسعة ليلاً. أين هي؟ خارجاً؟ مع من؟ أصدر تنهيدة طويلة ومتعبة فيما جلس على الأريكة. ألقى نظرة سريعة حوله. لم تترك له أية ملاحظة. نظر إلى ساعته مجدداً، وأمسك هذه المرة بالهاتف. إنه الظهر في سان فرانسيسكو، وهذا وقت جيد لإبلاغ ديانا عن بيلار. اتصل بالرقم مباشرة، وانتظر حتى يرنّ الهاتف. لم يتحدث إليها منذ أسبوع. كان مشغولاً جداً ليتصل بها، وفي المرة الوحيدة التي فعل فيها ذلك، أخبرته مارغريت أنها ليست في المنـــزل.

"مرحباً؟" أجابت ديانا على الهاتف وهي تلهث بعد أن صعدت سلالم الاستوديو. لقد أوصلها بين للتو. وعدته بأن تأتي إلى المنـــزل، وتختار خمساً وعشرين لوحة من لوحاتها المفضلة. سيبقيها ذلك مشغولة لأيام. "نعم؟" لم تلتقط أنفاسها بعد ولم تلاحظ حتى في البداية أنه اتصال من مكان بعيد.

"ديانا؟"



"مارك!" حدّقت في الهاتف مذهولة، كما لو أنه شبح من الماضي.

"لا حاجة لأن تكوني متفاجئة هكذا. لم يمضِ وقت طويل على آخر اتصال بيننا".

"لا، لا، أنا آسفة... كنت... كنت أفكر فقط في شيء آخر".

"هل من خطب ما؟"

"لا، طبعاً لا. كيف حال بيلار؟" بدت غامضة له كما لو أنها لا تعرف ما يجب قوله. "هل شاهدتها مؤخراً؟"

"اليوم. لقد عدت للتو من الأنتيب. إنها بخير. ترسل لك حبها". إنها كذبة، لكنه يقولها غالباً. "وترسل لك أمي حبها أيضاً".

ابتسمت ديانا عند سماعها الجملة الأخيرة. "هل بيلار بخير؟" فجأة، ذكّرها التحدث إلى مارك مجدداً بواجباتها. مع بين، تفكر فقط فيه وفيها. تفكر في لوحاتها وفي معرضه، في لياليهما معاً، في أوقاتهما الجيدة. كانت امرأة مجدداً، فتاة. أعاد إليها صوت مارك دورها كأم.

"نعم، بيلار بخير".

"لم تشترِ الدراجة النارية، أليس كذلك؟"

كان هناك صمت طويل. طويل جداً.

"ديانا..."

"مارك، هل فعلت ذلك؟" ارتفع صوت ديانا. "اللعنة، لقد فعلتها. أعرف ذلك".

"ليست فعلاً دراجة نارية ديانا. إنها أشبه، أشبه...". بحث عن الكلمات، لكنه كان متعباً، وأين هي شانتال؟ إنها العاشرة إلا ربعاً. "فعلاً، لا حاجة لأن تقلقي بشأن ذلك. ستكون بخير. شاهدتها وهي تقودها. إنها حذرة جداً. لن تسمح لها أمي بالركوب عليها إذا لم تكن حذرة".

"لا تراها أمك وهي تقودها بعيداً عن المنـــزل. لا تملك سيطرة عليها

أكثر مما أملك أنا، أو أنت. مارك، لقد قلت لك علناً....". بدأت الدموع تخز عينيها. لقد خسرت أمامهما مجدداً. إنها تخسر دوماً. وهذه المرة، إنه أمر خطير، أمر قد..."اللعنة، مارك، لماذا لا تصغي إليّ ولو لمرة؟"

"اهدئي. ستكون بخير. ما هي أخبارك؟"

ما من شيء تستطيع فعله. وهي تعرف ذلك. لقد أغلق موضوع بيلار والدراجة النارية. "ليس كثيراً". كان صوت ديانا مثل الجليد.

"اتصلت مرة. كنت في الخارج".

"بدأت الرسم في استوديو".

"ألا يمكنك العمل في المنـــزل؟" بدا مارك منـــزعجاً ومرتبكاً.

أغلقت ديانا عينيها. "وجدت مكاناً حيث يسهل عليّ العمل". بدأ قلبها يخفق بسرعة فيما فكّرت في بين. ماذا لو استطاع مارك قراءة أفكارها؟ ماذا لو عرف؟ ماذا لو رآهما أحد معاً؟ ماذا لو...

"مع سفرنا نحن الاثنان، لا أفهم لماذا لا ترسمين في المنـــزل. وما هذا الجنون المفاجئ في عملك؟"

"أي جنون؟ أنا أرسم كالمعتاد".

"ديانا، أنا لا أفهم فعلاً". لكنّ النبرة التي لفظ بها كلماته كانت فجأة مثل الصفعة على وجهها.

"أنا أحب عملي". كانت تتحداه، وأدركت ذلك.

"لا أظن فعلاً أنك مضطرة لتسميته عملاً" تنهد في الهاتف، ونظر إلى ساعته.

"أسميه عملاً لأنه كذلك. سأقيم معرضاً للوحاتي الشهر المقبل". امتلأ صوتها بالتحدي، وشعرت أن قلبها يخفق أسرع وأسرع. لم يجب.

ثم. "ماذا؟"

"أقيم معرضاً للوحاتي".



"فهمت". كانت هناك نبرة سرور مزعجة في صوته، وكرهته للحظة. "نحن نعيش صيفاً غجرياً، أليس كذلك؟ حسناً، قد يفيدك ذلك ربما".

"ربما". *اللعين... لا يفهم أبداً!*

"هل من الضروري أن تثبتي وجهة نظرك من خلال إقامة معرض؟ لماذا لا توفرين ذلك؟ يمكنك العمل في استوديو آخر، وتوقفي عند هذا الحد".

*شكراً بابا*. "المعرض مهم لي".

"إذاً، يمكنه الانتظار. سنناقش الأمر حين أعود".

"مارك..." *أنا مغرمة برجل آخر...* "سأقيم المعرض".

"حسناً. فلينتظر حتى الخريف".

"لماذا؟ حتى تقنعني بالعكس حين تعود إلى المنـــزل؟"

"لن أفعل هذا. سنتحدث عن الأمر حينها".

"لن أنتظر. لقد انتظرت طويلاً".

"تعرفين حبيبتي أنك أصبحت كبيرة جداً على نوبات الغضب، وصغيرة جداً على سن اليأس. أظن أنك غير منطقية البتة".

أرادت ضربه، لكنها في تلك اللحظة أرادت الضحك أيضاً. إنها محادثة سخيفة، وأدركت أنها تتصرف مثل بيلار إلى حدٍّ بعيد. ضحكت وهزّت رأسها. "أنت محق ربما. أقول لك شيئاً: أنت تربح قضيتك في أثينا، وأنا أفعل ما يحلو لي في فني، وأراك في الخريف".

"هل هذه طريقتك لتقولي لي أن أهتم بشؤوني فقط؟"

"ربما". فجأة أصبحت أكثر شجاعة مما كانت طوال أعوام. "يجدر بنا ربما أن نفعل الآن ما نحتاج إليه". *يا الله، ماذا تفعلين؟ أنت تقولين له...* حبست أنفاسها.

"حسناً، على كل حال، عليك الاستماع إلى زوجك، ويحتاج زوجك إلى الخلود إلى السرير، فلماذا لا تسترخين لبرهة؟ سنتحدث مجدداً خلال أيام قليلة.

اتفقنا؟ في غضون ذلك، لا معرض فني. مفهوم؟ مفهوم؟"

أرادت طحن أسنانها. ليست طفلة، وهو دوماً على حاله. حصلت بيلار على الدراجة النارية. لم تحصل ديانا على المعرض الفني، وسنناقش ذلك "حين أملك الوقت". طريقته، دوماً، طريقته. ولكن ليس بعد اليوم. "أفهم، مارك، لكنني لا أوافق".

"لا تملكين خياراً".

ليست عادته أن يكون واضحاً هكذا. أدركت ديانا أنه متعب جداً بلا شك.

"جيد". وقفت بصمت في الاستوديو، منتظرة، متسائلة ما سيقوله.

قال: "تصبحين على خير".

وذهب. ليلة سعيدة. هذه المرة لم تزعج نفسها في إخباره بأنها تحبه. "لا معرض فني". رنّت الكلمات في رأسها. لا معرض فني. تنهّدت بقوة، وغاصت في كرسيها. ماذا لو تحدته؟ ماذا لو أقامت المعرض على أية حال؟ هل تستطيع فعل هذا به؟ بنفسها؟ هل هي شجاعة كفاية للمضي قدماً وفعل ما تريده؟ لمَ لا؟ إنه بعيد. ولديها بين. لكن هذا ليس من أجل بين. إنه من أجلها. نظرت حول الغرفة لبرهة طويلة، وهي تدرك أن حياتها تواجه هذه الجدران، مخفية على لوحات لم يرها أحد قبلاً ولن يراها أحد إلا إذا فعلت ما أدركت أنه يجدر بها فعله الآن. لا يستطيع مارك منعها، ولا يستطيع بين إجبارها. عليها فعل ذلك الآن. عليها. من أجل نفسها.

فيما أقفل مارك سماعة الهاتف، نظر إلى ساعته مجدداً. إنها الساعة العاشرة تقريباً، والاتصال بديانا لم ينجح في تهدئة أعصابه. اللعنة! لقد أخبرها عن الدراجة النارية، ولم يكن يقصد ذلك. ومعرضها الفني اللعين. لماذا لا تتخلى بحق الله عن تلك التفاهة؟ وأين هي شانتال الآن؟ بدأت الغيرة تتغلغل في أعماقه مجدداً فيما سكب لنفسه كأساً من الشراب الاسكتلندي. حين سمع الجرس، توجه إلى الباب، وفتحه قليلاً. السيد مونتييه. تقول شانتال إنه رجل



لطيف، وتهتم به ابنة وخادمة. كان محامياً في السابق، لكنه أصبح الآن في الثمانين. لديه نقطة ضعف تجاه شانتال. أرسل لها الأزهار ذات مرة.

"نعم؟" نظر إليه مارك متعجباً، ومتسائلاً ما إذا كان الرجل المسنّ مريضاً. لمَ يأتِ إلى منـزلهما في هذه الساعة. "هل من خطب ما؟"

"أنا...لا. أنا... آسف. أردت سؤالك الشيء نفسه. كيف حال الآنسة؟"

"بخير، شكراً، لكنني ألاحظ أنها تأخرت اليوم قليلاً في العودة إلى المنـزل". ابتسم للرجل المسنّ الذي يرتدي سترة السموكينغ السوداء وسروالاً خاطته له ابنته من دون شك. "هل تودّ الدخول؟" تراجع مارك إلى الخلف، وأراد الإمساك مجدداً بكأس الشراب الاسكتلندي، لكنّ الرجل هزّ رأسه.

"لا، لا...". نظر بحزن إلى مارك. إنه يفهم وضعه جيداً. الرجل الذي يسافر دوماً، ولا يكون موجوداً هنا أبداً. لقد عاش هو بهذه الطريقة أيضاً. توفيت زوجته، وعرف الأمر في وقت متأخر. "ليست متأخرة، سيدي. أخذوها إلى المستشفى الليلة الماضية". حدّق في مارك فيما بدت الصدمة على وجهه.

"شانتال؟ يا الله؟ أين؟"

"المستشفى الأميركي، سيدي. كانت في نوع من الصدمة، حسبما قال سائق سيارة الإسعاف".

"أوه، يا الله!" ألقى مارك نظرة سريعة على الرجل المسنّ وهو مرعوب، ثم ركض إلى الداخل لإحضار سترته عن الكرسي. عاد على الفور وأغلق باب الشقة بقوة، فيما وقف الرجل المسنّ جانباً. "عليّ الذهاب". أو، يا الله... أوه، شانتال... أوه، لا... لم تخرج إذاً مع رجل آخر. نزل بسرعة على السلالم، وكان قلبه يخفق بقوة، وركض مارك إلى الشارع، وأوقف سيارة أجرة.

# 11

توقف التاكسي أمام بولفار فيكتور هوغو 92 في نوللي في الضواحي الهادئة لباريس. وضع مارك بعض الفرنكات الفرنسية في يد السائق ودخل بسرعة. لقد انتهى وقت الزيارات، لكنه توجّه إلى مكتب الاستعلامات وسأل عن الآنسة شانتال مارتين. الغرفة 401، دخلت بغيبوبة بسبب داء السكري، ووضعها الحالي مرضٍ. تستطيع العودة إلى المنزل خلال يومين. حدّق مارك في الممرضة مرعوباً. ومن دون أن يناقش المسألة أكثر، أخذ المصعد إلى الطابق الرابع. ثمة ممرضة تجلس في مكتبها كانت تراقبه فيما خرج من المصعد.

"نعم، سيدي؟"

"الآنسة مارتين". حاول أن يبدو متسلطاً، لكنه شعر فجأة بالخوف. كيف حصل ذلك ولماذا؟ شعر بموجة مفاجئة من الذنب لأنه ذهب إلى الأنتيب. "عليّ رؤيتها".

هزّت الممرضة رأسها. "غداً".

"هل هي نائمة؟"

"يمكنك رؤيتها غداً".

"أرجوك. أنا- جئت من...". كان على وشك القول جنوب فرنسا، ثم خطرت له فكرة أفضل. فتح محفظته. "من سان فرانسيسكو، في الولايات المتحدة. ركبت في أول طائرة بعد أن سمعت الخبر". كان هناك صمت طويل.

"حسناً. دقيقتان. ثم تذهب. هل أنت... والدها؟" هزّ مارك رأسه. إنها الصفعة الأخيرة.



أخذته الممرضة إلى غرفة غير بعيدة. في الداخل، ثمة ضوء خافت. تركت الممرضة مارك إدوار عند الباب. تردد لبرهة على العتبة قبل أن يدخل بهدوء.

"شانتال؟" كان صوته مثل الهمس في الغرفة المظلمة. إنها تستلقي في سريرها، وتبدو شاحبة جداً، وصغيرة جداً. ثمة أنبوب مغروز في الوريد في ذراعها، ومتصل بقنينة ضخمة. "حبيبتي....". اقترب منها، متسائلاً ما الذي فعله. لقد تبنى هذه الفتاة وأعطاها فقط نصف حياته. عليه أن يخبئها عن والدته، وابنته، وزوجته، وحتى أحياناً عن نفسه. ما هو الحق الذي يملكه ليفعل ذلك بها؟ كانت عيناه لامعتين جداً فيما وقف إلى جانبها، وأخذ يدها برفق. "حبيبتي، ماذا حصل؟" أخبرته الحاسة السادسة أن غيبوبة داء السكري لم تكن مصادفة. تعاني شانتال من داء السكري الذي لا يغفل أحداً. لكن طالما أنها تأخذ الأنسولين، وتتناول الطعام جيداً، وتنام كفاية، ولا تحمل، تبقى على ما يرام.

أغلقت عينيها، وانهمرت الدموع عبر أهدابها. "أعتذر. أنا آسفة جداً...". ثم وبعد برهة: "توقفت عن تناول الأنسولين".

"عمداً؟" فيما راقب إيماءة رأسها، شعر وكأنّ أحداً صفعه على قلبه. "أوه، يا الله، شانتال، حبيبتي... كيف أمكنك ذلك؟" راقبها برعب مفاجئ. ماذا لو ماتت؟ ماذا لو...؟ لا يستطيع تحمل خسارتها، لا يستطيع التحمل. فجأة، أدرك مدى فداحة ذلك. أمسك بيدها الطليقة وضغط عليها بقوة. "لا تحاولي أبداً، لا تحاولي أبداً فعل ذلك مجدداً". ارتفع صوته بيأس. "هل تسمعينني؟" أومأت برأسها. ثم بدأت الدموع تنهمر على وجهه أيضاً. جلس إلى جانبها. "أموت من دونك. ألا تعرفين ذلك؟"

لم يكن هناك جواب في عينيها. لا، لا تعرف ذلك. لكن هذا صحيح. هو نفسه يدرك ذلك للمرة الأولى. الآن هناك امرأتان. ديانا وشانتال. إنه يدين بحياته لكلتيهما، وهو رجل واحد. لا يستطيع تحمل نفسه إذا أخرج ديانا من

حياته. ولا يستطيع العيش من دون شانتال. صدمه حمل ذلك بقوة. رآها تراقبه. كان شاحب اللون. "أحبك، شانتال، أرجوك، أرجوك، لا تفعلي مثل هذا الشيء مجدداً. عديني!" ضغط بقوة على اليد الرقيقة.

"أعدك". كان ذلك همساً في الكهرباء المفاجئة للغرفة. كبت البكاء الذي ارتفع في صدره، وضمها مارك إدوار برفق بين ذراعيه.

في نهاية اليوم، اختارت ديانا إحدى عشرة لوحة. سيكون من الصعب اختيار البقية. وضعت الإحدى عشرة لوحة على جانب واحد، وعادت مجدداً إلى البهو الرئيسي للمنــزل. لا تزال تفكر في حديثها مع مارك. تساءلت ما إذا كانت قد تحدثه بشأن العرض لو لم يسمح لبيلار بشراء الدراجة النارية. غريب فعلاً كيف تجري الأمور. كان زواجهما مليئاً بالانتقامات. صعدت على السلالم إلى غرفة نومها، وفتحت الخزانة. ما الذي تحتاج إليه؟ ثوب استحمام، بعض سراويل الجينــز، تنورة من القماش السويدي بلون خمري سيحبها بين بكل تأكيد. ماذا تفعل هنا، في غرفة نوم مارك تخطط لحياتها مع رجل آخر؟ هل بدأت مرحلة سن اليأس أم عادت إلى الطفولة، مثلما اقترح هو، أو أصبحت مجنونة؟ رنّ الهاتف فيما حدّقت في خزانتها، متسائلة. لم تعد تشعر بالذنب، إلا عندما تتحدث إلى مارك. أمّا في بقية الوقت، فتشعر وكأنها تنتمي إلى بين. رنّ الهاتف مجدداً ومجدداً. لا تريد التحدث إلى أحد. شعرت وكأنها تركت المنــزل. لكنها رفعت السماعة على مضض.

"مرحباً؟"

"هل آتي لاصطحابك؟ هل أنتِ مستعدة لكي تأتي إلى المنــزل؟" إنه بين. والساعة فقط الرابعة والنصف.

"في هذا الوقت؟" ابتسمت وهي تتحدث على الهاتف.

"تريدين بعض الوقت الإضافي للعمل؟" كما لو أن عملها مهم، كما لو أن له شأناً، كما لو أنه يفهم.

لكنها هزّت رأسها. "لا. لقد انتهيت. اخترت إحدى عشرة لوحة اليوم.



للمعرض".

كان صوته قوياً، وابتسم. "أنا فخور جداً بك لدرجة بالكاد أستطيع الانتظار. أخبرت سالي اليوم بشأن المعرض. سنحضّر إعلاناً جميلاً".

*أوه، لا، ليس أعلاناً. ماذا عن كيم؟* شعرت وكأنها تبحث عن الهواء لتتنشّقه حين تحدثت مجدداً. "هل يجدر بك تحضير إعلان؟"

"دعيني أمسك بزمام عملي، وأنت تمسكين بزمام عملك. بالمناسبة، أريد أن أمسك...". كان صوته ناعماً جداً على الهاتف، وتورّدت ديانا خجلاً.

"توقف!"

"لماذا؟"

"لأنك في مكتبك وأنا هنا".

"حسناً، إذا كان هذا ما يمنعك، دعينا نخرج نحن الاثنان من هذين المكانين. سأمرّ لاصطحابك في غضون عشر دقائق. هل أنتِ جاهزة؟"

"طبعاً". لا تستطيع الانتظار حتى تخرج من المنــزل. فكل لحظة تقضيها فيه تزعجها.

"هل ترغبين في الذهاب إلى كارمل؟"

"أودّ ذلك". ثم، "ماذا عن خادمتك؟"

"السيدة ميكام؟ إنها في إجازة". من المزعج الاختباء هكذا، لكنه عرف أن ديانا لا تملك أي خيار آخر. ما زالت غير حرّة. "على أية حال، لا تهتمي أبداً للسيدة ميكام. سأمرّ لاصطحابكِ في غضون عشر دقائق. وبالمناسبة، ديانا"، توقف قليلاً، فيما انتظرت هي، متسائلة عما سيقوله. بدا رزيناً جداً. ثم انخفض صوته مجدداً، واستطاعت تقريباً أن ترى ابتسامته.

"أحبك".

ابتسمت بسعادة، وأغلقت عينيها. "وأنا أيضاً".

كانت عطلة نهاية الأسبوع في كارمل رائعة. تلتها عطلة الرابع من

يوليو. أمضيا ثلاثة أيام وهما يتجولان على الشاطئ، يستلقيان تحت الشمس، يبحثان عن الأصداف، ويجمعان الأخشاب الطافية، وتحديا مرة أو مرتين المحيط البارد حيث سبحا بسرعة.

كانت تبتسم لنفسها فيما استلقى قربها على البطانية، مرتعداً من برد البحر. كانت تمتص أشعة الشمس، وتحسّن اسمرارها العسلي الجميل.

"لماذا تبتسمين، أيتها الجميلة النائمة؟" كان جسمه بارداً ورطباً قرب جسمها، وشعرت ببشرته اللذيذة فيما استدارت، ومررت أصابعها على ذراعه.

"كنت أفكر أن كل هذا أشبه بشهر عسل. أو زواج جيد جداً".

"لا أعرف. لم أعش أياً من التجربتين".

"ألم تذهب في شهر عسل؟"

"ليس تماماً. أمضيناه في نيويورك. كانت ممثلة ومرتبطة بشيء ما في برودواي، فأمضينا ليلة واحدة في البلازا في نيويورك. وحين انتهت المسرحية، ذهبنا إلى نيو إنغلند".

"هل استمرت المسرحية طويلاً؟"

نظرت إليه بإعجاب مع عينيها الكبيرتين الخضراوين والبريئتين. ابتسم بين.

"ثلاثة أيام". ضحكا كلاهما، واتكأ بين على جانبه ليتمكن من النظر إلى ديانا. "هل كنتِ سعيدة مع مارك قبل أن أظهر أنا؟"

"كنت أظن أنني سعيدة. أحياناً. كنت أشعر أحياناً بوحدة قاتلة. ليس لدينا علاقة مثل هذه. لسنا صديقين فعلياً. نحب بعضنا البعض، لكن... هذا مختلف جداً". تذكرت آخر حديث بينهما حين طلب منها ألا تعرض أعمالها. لا يزال صوت السلطة. "لا يحترمني مثلما تفعل أنت؛ عملي، وقتي، أفكاري. لكنه يحتاج إليّ. إنه يهتم. إنه يحبني بطريقته هو".

"وأنتِ تحبينه؟" فتشت عيناه في وجهها. لم تجب على الفور.



"ظننت أننا لن نتحدث عن مثل هذه الأمور. هذا صيفنا". ثمة عتب في صوتها.

"لكنها أيضاً حياتنا. ثمة أشياء أحتاج إلى معرفتها". كان جاداً بطريقة غريبة.

"تعرف كل شيء، بين".

"ماذا تقولين؟"

"إنه زوجي".

"إنك لن تتركينه؟"

"لا أعرف. هل يجدر بك سؤالي عن هذا الآن؟" كشفت عيناها عن حزن خريفي. "ألا يمكننا الاستمتاع بما يمكننا الحصول عليه، وثم..."

"ثم ماذا؟"

"لا أعرف بعد، بين".

"وعدتكِ ألاّ أسأل. لكنني أجد هذا صعباً أكثر فأكثر".

"وأنا أيضاً، صدقني. يذهب تفكيري إلى نهاية الصيف، وأطرح على نفسي أسئلة لا أستطيع الإجابة عنها. أتمنى أن تحصل أعجوبة من الله، شيء يأخذ الإجابة خارج أيدينا".

"وأنا أيضاً". ابتسم لها، ثم انحنى فوقها لتقبيل شفتيها مجدداً ومجدداً. "وأنا أيضاً".

# 12

بعدما عادا في وقت متأخر من ليل الأحد من عطلة نهاية أسبوع أخرى في كارمل، ابتسم بين لنفسه عندما سمع صوت ديانا يناديه من الغرفة الأخرى.

"ماذا؟ هل تحتاجين إلى بعض المساعدة؟" كل ما سمعه كان صراخاً وقهقهة. لقد مرّ عليها وهي في تلك الغرفة قرابة الساعة. نزل عن السرير، وذهب لرؤية ما يجري. وحين فتح باب الغرفة الأخرى، التي غالباً ما يعمل هو فيها، وجدها تكافح للإمساك بكومة كبيرة من اللوحات التي بدأت تنـزلق عن جبل من العلب الموضوعة على الحائط.

"ساعدني! إنه انهيار". نظرت إليه، مع فرشاة رسم صغيرة بين أسنانها، ومدّت ذراعيها في محاولة لمنع كومة اللوحات من السقوط على الأرض. "جئت لأوقع بعض اللوحات التي لاحظت أنني نسيت توقيعها، و...". أزاحت اللوحات جانباً فيما رفعها هو من ذراعيها. وفيما لا تزال يداه مليئتين بكومة من اللوحات، انحنى لتقبيل طرف أنفها.

"انزعي فرشاة الرسم من فمك".

"ماذا؟" نظرت إليه بسرور شارد. لا تزال تفكر في اللوحتين اللتين يجدر بها توقيعهما.

"قلت-"، وضع اللوحات جانباً بعناية، وأمسك بفرشاة الرسم بيده- "اخرجي هذا الشيء من فمك".

"لماذا؟ بهذه الطريقة، تبقى يداي خاليتين للبحث عن...". لكنه أخفى





صوتها فوراً بقبلة.

"لهذا السبب، أيتها الغبية. والآن، هل تأتين إلى السرير؟" شدّها بالقرب منه، واتكأت عليه بابتسامة.

"خلال دقيقة. هل أستطيع إنهاء هذا؟"

"لا أرى مانعاً لذلك". جلس على الكرسي القديم المريح أمام مكتبه، وراقبها وهي تبحث في كدسة اللوحات مجدداً للعثور على اللوحات غير الموقعة. "هل أنتِ متحمسة بقدري، سيدتي، بشأن المعرض؟" إنه بعد أربعة أيام فقط. الخميس. سيطلقها أخيراً في عالم الفنّ. كان يجدر بها عرض أعمالها منذ أعوام. نظر إليها بسرور وفخر، فيما أقحمت طرف الفرشاة في شعرها لتحرير يديها مرة جديدة. ظهرت ابتسامة كبيرة على وجهها. ولم تقتصر فقط على فمها، وإنما رقصت أيضاً في عينيها.

"متحمسة؟ هل تمزح؟ أكاد أجنّ. لم أنم منذ أيام".

شك في صحة أقوالها. ففي كل ليلة يخلدان فيها إلى السرير، ينظر بنعاس إلى عينيها بعد ساعات طويلة من ممارسة الحب، وآخر ما يتذكره دوماً هو تلك الابتسامة. وفجأة، تكون مستيقظة تماماً في الصباح. تقفز وتحضر له الفطور، ثم تختفي في الغرفة الأخرى حيث وضعت كل أعمالها. لقد أحضرت له ثرواتها، للاحتفاظ بها حتى المعرض. لم تشأ إيصالها إلى المعرض إلا قبل يوم واحد من موعد الافتتاح.

وقّعت الآن على آخر لوحة، والتفتت إليه مع ابتسامة عريضة. "لا أعرف ما إذا كنتُ سأصبر حتى ليلة الخميس".

"ستفعلين". ابتسم فيما راقبها. يا لها من امرأة جميلة. بدت حتى أكثر جمالاً في الآونة الأخيرة، مع وجه جميل ومشرق وناعم، ونار متقدة في عينيها. ثمة نعومة ونار فيها في الوقت نفسه، مثل الشعلة المخمليّة. وثمة شيء سحري في وقتهما معاً، مثل شيء لم يعرفه أبداً من قبل. تفتح المنـزل

الصغير في كارمل بحضورها، إذ ملأت الغرف بالأزهار، وأحضرت قطعاً كبيرة من الخشب الطافي للاتكاء عليها، فيما وضعا أقدامهما قرب النار المشتعلة للشعور بالدفء. ملأت أحلامه، وذراعيه، وأيامه. لم يعد يستطيع تخيل حياته من دونها.

"بماذا تفكر؟" أحنت رأسها إلى جهة واحدة، وانحنت فوق كومة لوحاتها.

"بكم أحبكِ".

"أوه". ابتسمت، ولمعت عيناها، فيما نظرت في عينيه. "أفكر في هذا كثيراً".

"بكم أحبك؟" ابتسم، وفعلت هي الشيء نفسه.

"نعم. وبكم أحبك أنا أيضاً. ماذا فعلت قبل أن تأتي إليّ؟"

"عشت جيداً، ولم تحضّري فطورك أبداً".

"يبدو ذلك مريعاً". مشت نحوه، وشدّها إلى حضنه.

"هذا لأنك متحمسة للمعرض ولا يمكنك النوم. إنتظري شهراً آخر، أو اثنين...". توقف بألم. أراد أن يقول "سنة"، لكنهما لا يملكان سنة. فقط خمسة أو ستة أسابيع. "ستتعبين من إعداد الفطور. سترين".

أرادت أن ترى. أرادت أن ترى طوال الحياة، وليس لشهر واحد فقط. "لن أتعب أبداً من ذلك". دفنت وجهها في صدره، وهي تشعر بالدفء والأمان كما لو أنها طفلة. أصبحت بشرتهما سمراء نتيجة عطلة نهاية الأسبوع في كارمل. "هل تعرف بماذا أفكر؟"

"ماذا؟" أغلق عينيه، وشمّ رائحة شعرها العطرة.

"بأننا محظوظان جداً. ما الذي نريده أكثر؟"

المستقبل، لكنه لم يقل ذلك. فتح عينيه، ونظر إليها فيما جلست في حضنه. "ألا ترغبين أبداً في طفل آخر؟"

"في عمري؟" بدت مذهولة. "يا الله، بيلار أصبحت في السادسة عشرة



تقريباً".

"وما علاقة ذلك؟ وماذا تقصدين في عمرك؟ تنجب الكثير من النساء أطفالهنّ في عمر الثلاثين".

"لكنني في السابعة والثلاثين. هذا جنون".

هزّ رأسه. بدت ديانا مصدومة نوعاً ما. "ليس هذا عمراً كبيراً بالنسبة إلى الرجل، فلماذا يكون كبيراً بالنسبة إلى المرأة؟"

"هذا مختلف جداً، حبيبي. وأنت تعرف ذلك".

"لا أعرف. أودّ أن ننجب طفلاً لنا، أو حتى اثنين. ولا أظن أنكِ كبيرة جداً".

*طفل؟ الآن؟* نظرت إليه بذهول، لكنه كان جاداً تماماً. ما زالت ذراعاه حولها.

"هل تعني ذلك فعلاً؟"

"نعم". راقب عينيها لبرهة طويلة ولم يكن واثقاً مما رآه. ارتباك، ذهول، وكذلك ألم وحزن. "أولا يفترض بك إنجاب المزيد من الأولاد ديانا؟" لم يسألها أبداً. ما من سبب لذلك. هزّت رأسها.

"لا، ما من سبب يمنعني، لكن... لا أظن أنني أستطيع فعل ذلك مجدداً. كانت بيلار هدية بعد الصبيين. لا أظن أنني أريد فعل ذلك مجدداً".

"هل يعرفون لماذا حصلت تلك الأمور؟"

" قالوا. مجرد صدفة، مأساتان كبيرتان. إن احتمال حصول ذلك مرتين في عائلة واحدة ضئيل جداً.... لكنه حصل".

"إذن، لن يحصل مجدداً". بدا عازماً جداً، وابتعدت ديانا عنه.

"هل تحاول إقناعي بإنجاب طفل؟" كانت عيناها كبيرتين، ووجهها ساكناً جداً.

"لا أعرف. ربما. يبدو الأمر هكذا، أليس كذلك؟" ابتسم وهزّ رأسه. ثم

نظر إلى الأعلى. "هل تظنين أنني أفعل هذا؟"

أومأت برأسها، وبدت فجأة جدية جداً. "لا تفعل".

"لمَ لا؟"

"أنا كبيرة جداً". *ولديّ ابنة. وزوج.*

"هذا هو السبب الوحيد الذي لن أقبل به أبداً! هذا هراء!" بدا غاضباً هذه المرة، وتساءل عن السبب. ما علاقة إنجاب طفل بكونها كبيرة جداً؟

"بلى، أنا كبيرة. أكاد أقارب الأربعين. وحتى هذا جنون. بكلامك هذا تشعرني أنني طفلة مجدداً. أتصرف وكأن عمري سبعة عشر عاماً وليس سبعة وثلاثين عاماً".

"وأين الخطأ في ذلك؟" بحث في عينيها، واستسلمت.

"لا شيء أبداً. أودّ ذلك".

"جيد. إذاً تعالي إلى السرير". حملها بين ذراعيه، ونقلها إلى الغرفة المجاورة، ووضعها على سريره الكبير والمريح. كان اللحاف مجعداً نتيجة استلقائهما حين عادا من كارمل، وكان هناك ضوء واحد خافت في الغرفة. بدت الألوان الناعمة دافئة وأنيقة، فيما أضفت باقة الأزهار التي قطفتها بعد ظهر يوم الجمعة من المصطبة جواً ريفياً. لقد فعلت شيئاً مميزاً في منـزله، أعطته نكهة لطالما تاق إليها، منذ سنوات. لم يعرف أبداً ما الذي ينقصه، لكنه بعد أن أصبح يملكها الآن، يدرك الحقيقة جيداً. كان ينقصه ديانا، مع عينيها الخضراوين وشعرها الأسود المكدس على رأسها، وساقيها العاريتين الممددتين على سريره، أو جلوسها متشابكة الساقين مع لوحاتها على مكتبه، محاطة بالأزهار. ديانا، مع كومة لوحاتها وفراشيها العالقة في كل فناجين القهوة، والقمصان التي استعارتها منه ولطختها بالألوان، وحركات الاهتمام اللامتناهية؛ ربطات العنق التي نظفتها، والبذلات التي رتبتها، والهدايا الصغيرة التي اشترتها، والكتب التي أحضرتها له لأنها تعرف أنه يحبها،



والضحك والمزاح والعينين الناعمتين اللتين تفهمان دوماً. لقد غيّرت حياته مثل الحلم. ولم يشأ الاستيقاظ أبداً. لم يشأ الاستيقاظ دون أن تكون ديانا إلى جانبه.

"بين؟" كان صوتها خافتاً جداً قربه في الظلام.

"ماذا، حبي؟"

"ماذا لو انتقدتني الصحافة؟" بدت مثل طفلة خائفة، وأراد هو الضحك، لكنه لم يفعل. عرف كم أنّ خوفها كبير.

"لن يحصل". وضع ذراعيه حولها مجدداً، تحت اللحاف. إنه هدية من زوجة فنان إلى أمه، قبل أعوام عدة، في نيويورك. "أعدك، ستكون مقالات النقد رائعة".

"وكيف تعرف؟"

"أعرف لأنكِ جيدة جداً جداً". قبّل عنقها، وارتجف عند الإحساس بلحمها العاري على ساقيه. "ولأنني أحبك كثيراً".

"أنت سخيف".

"عفواً؟" نظر إليها مع ابتسامة عريضة. "أقول لك إنني أحبك، وتظنين أنتِ أنني سخيف. اسمعي، أنتِ..." شدّها أكثر باتجاهه، وغطى فمها بفمه، فيما اختفيا معاً تحت اللحاف.

استيقظت في الساعة السادسة من صباح اليوم التالي، واختفت فوراً في الغرفة المجاورة. تذكرت لوحة يجب ألا تكون موضوعة هنا. ثم فكّرت في لوحة أخرى غير موضوعة ربما في الإطار الصحيح. وبعد القهوة، تذكرت وجود لوحتين أخريين من دون توقيع، واستمر الأمر على هذه الحال لأربعة أيام. كانت تشعر بعصبية كبيرة قبل المعرض. وطوال ذلك، كان بين يبتسم، ويحب، ويداعب. اصطحبها إلى العشاء، وأخذها لمشاهدة فيلم في السينما، وجعلها تنضم إليه على الشاطئ. أجبرها على الذهاب للسباحة، وجعلها تبقى

مستيقظة حتى وقت متأخر من الليل لممارسة الحب. ويوم الخميس، اصطحبها لتناول الغداء.

"لا أريد سماع ذلك". أمسك بيدها.

"لكن، بين. ماذا لو..."

"لا. ولا حتى كلمة واحدة عن المعرض حتى الغد".

"لكن...."

"لا!" وضع إصبعه على شفتيها، وأبعدته جانباً بدافع القلق. لكنه ضحك. "كيف الشراب الفرنسي؟"

"أي شراب فرنسي؟" نظرت حولها، شاردة الذهن، وأشار هو إلى كأسها.

"الشراب الفرنسي الذي لا تشربينه. كيف هو؟"

"لا أعرف. وأردت أن أسألك..."

وضع إصبعيه في أذنيه، وبدأت تضحك عليه. "بين! توقف!"

"ماذا؟" ابتسم لها بسعادة عبر الطاولة. كانت تضحك.

"اسمعني! أردت أن أسألك شيئاً عن الليلة!"

بدأ يهمهم برفق، فيما لا يزال يضع إصبعيه في أذنيه. لم تستطع ديانا التوقف عن الضحك. "أنتِ مريعة، وأنا أكرهكِ!"

"لا، لا تكرهني. لا يمكنك إبعاد يديك عني، وتريد جرّي بعيداً حتى تتمكن من مهاجمتي. صح؟"

"في الواقع، بما أنك ذكرت المسألة الآن...". ابتسمت، وارتشفت القليل من شرابها الفرنسي، وتمازحا طوال الغداء. أخذ إجازة طوال بعد الظهر. كانت اللوحات كلها مُعلّقة بطريقة مثالية لمعرض ديانا. كانت سالي تسيطر على الوضع في المعرض، ورأى أنها فكرة جيدة البقاء مع ديانا، قبل أن تغير رأيها أو يجن جنونها. وهو يخبئ لها مفاجأة بعد الظهر. نظر إلى ساعته فيما



عادا إلى السيارة بعد الغداء.

"ديانا، هل تمانعين إذا توقفت عند ساكس؟"

"الآن؟" بدت متفاجئة. "لا، لا بأس".

"لن أحتاج إلى وقت طويل". ركن السيارة أمام المتجر مع ابتسامة شاردة. "تريدين الدخول؟"

"لا، سأنتظر".

"واثقة؟" لم يجبرها، لكنه عرف أنها لا تريد أن تبقى وحيدة اليوم، ولا حتى لوقت قصير. "حسناً، سآتي". كان إقناعها سهلاً، ودخل بسعادة خلفها إلى المتجر. "ما الذي تريده؟"

"اختيار فستان". قالها بثقة كبيرة في النفس ولا مبالاة تامة.

"فستان؟"

"لسالي. قالت إنها لا تملك الوقت. لذا، قلت لها إنني سأحضره لها وآخذه إلى المعرض الليلة في الوقت المناسب حتى تبدّل ملابسها. بالمناسبة، ماذا سترتدين؟" كانت مشغولة جداً في توقيعاتها وأطرها بحيث كان متأكداً أنها لم تفكر قط في الموضوع.

"لا أعرف. فكّرت في أن أرتدي فستاني الأسود". لقد أحضرت معها فستانين أو ثلاثة فساتين سهرة من المنــزل. إنها مُعلّقة في خزانته، مع سراويل الجينــز، وقمصانها الملطخة بالطلاء، وبعض سراويل الغاباردين، ومجموعة من كنــزات الكاشمير. أحب طريقة تعليق ثيابها مع ثيابه.

"لماذا لا ترتدين الفستان الأخضر؟"

"رسمي جداً". كانت شاردة جداً حين أجابته. "اسمع، هل تعرف من هم النقاد الذين سيأتون؟" أسرعت عيناها بالنظر إلى عينيه.

"لا أظنه رسمياً جداً". بدا مسروراً.

"هل سمعت ما سألتك عنه؟" كان اليأس يتغلغل في صوتها.

"لا. الآن، ماذا عن الفستان الأخضر؟"

"انسَ أمر الفستان الأخضر، أردت سؤالك..."

قبّلها بقوة على فمها، وتركها منقطعة النفس فيما توجها في المصعد إلى الطابق الثاني. "بين!" لكن ما من أحد حولهما ليرى ما فعله. "هل تصغي إلي؟"

"لا". ألقى التحية على البائعة. أحضرت الفستان. "رائع". ابتسم لها مجدداً ونظر إلى ديانا. "ما رأيك؟"

"هم؟" كانت غامضة جداً، لكنّ انتباهها تركز فجأة على الفستان. إنه من الصوف الأزرق البنفسجي مع ياقة عالية، وكمين طويلين، وظهر عارٍ. وله معطف متناسق معه. "إنه جميل، أليس كذلك؟ هل هذا فستان سالي؟" تقدمت خطوة إلى الأمام للمس الصوف الرقيق. القماش فرنسي والتصميم فرنسي ولا شك في أنه يكلف ثروة. "إنه رائع". تبادلت البائعة النظرات المبتسمة مع بين. "يجدر بـي ربما ارتداء الفستان الأخضر في النهاية".

"لا أظن ذلك. لماذا لا ترتدين هذا؟" نظر إليها ببراءة أربكت ديانا تماماً.

"أرتدي فستان سالي؟ لا تكن سخيفاً".

"يمكنك إعارتها فستانك الأخضر".

"حبيبي، أحبك، لكنني أظن أنك مجنون فعلاً". ابتسمت للبائعة، وبدأت تمشي بعيداً، لكنّ بين أمسك ذراعها برفق وهمس في أذنها.

"أظن أنك مجنونة أنت أيضاً. والآن، جربـي فستانك الجديد".

نظرت إليه بذهول. "هل تمزح؟" هزّ رأسه. "هل هذا لي؟"

أومأ برأسه مع ابتسامة رضى. "هل يعجبك؟"

"أنا... أوه، بين، لا أستطيع. إنه مذهل!" التفتت للنظر إليه مجدداً، واتسعت عيناها الخضراوان. إنه فاتن، وإنما باهظ جداً على الأرجح. وقد فعل بين ذلك من أجلها؟ الرجل الذي يقود سيارة ألمانية مجهولة، ويفضل تناول الباستا على الكافيار؟ الرجل الذي يفتخر بعدم توظيفه خادمة وإنما امرأة تأتي



للتنظيف فقط مرة أو مرتين أسبوعياً، فيما عاش جده وهو محاط بجيش من الخدم، وتقاعد والده في قصر قرب روما؟ هذا الرجل اشترى لها هذا الفستان؟ إنه شيء كانت قد ترددت في طلبه حتى من مارك. "يا الله!"

"اخرسي واذهبـي لتجربته. أريد أن أراه!"

هكذا فعلت، ورآه. إنه مثالي. القصة، الأسلوب، اللون. بدت أميرة، وهي متوجهة نحوه، والمعطف على ذراعها. أبرز اسمرارها اللون الأزرق الغني، وكان ظهرها العاري وكتفاها الجميلان رائعين في الفستان. "ماذا سترتدين معه؟"

"سأضع قرطين ماسيين للأذنين وأنتعل صندلاً من الحرير الأسود. وأرفع شعري إلى الأعلى".

"أوه، يا الله، لا أستطيع الانتظار". ابتسم بسرور كبير لدرجة أن البائعة ضحكت.

حين ارتدت الفستان تلك الليلة، كان يجلس على السرير. ابتسما لبعضهما، فيما كان يقفل لها سحاب الظهر. وضعت القرطين الماسيّين في أذنيها، ورفعت شعرها فوق رأسها. بدت رائعة، وانقطعت أنفاسه لبرهة. ثم، ومع ابتسامة، نزع برفق الأقراط الماسية.

"ماذا تفعل؟"

"أنزع هذه".

بدت محتارة. "لماذا؟ ألا تحبها؟" ربما لأنها هدية من مارك. "لا أملك أقراطاً أخرى هنا".

"لا تهتمي". فتش في جيبه، وأخرج كيساً صغيراً من الحرير الأزرق. فتحه، وأخرج منه لؤلؤتين كبيرتين وجميلتين جداً. ثمة ماسة صغيرة تحت كل لؤلؤة، وبدا القرطان قديمين جداً ونفيسين. "أريدك أن تضعي هذه".

"أوه، بين". نظرت ديانا إليهما بذهول، ثم رفعت عينيها إلى عينيه. "ماذا

فعلت؟" الفستان، القرطان، المعرض. إنه يعطيها الكثير. إنه يعطيها كل شيء...

"كان هذان القرطان لجدتي. أريدك أن تضعيهما، ديانا. إنها ليلة مميزة جداً". تلألأت الدموع في عينيها حين نظرت إليه مجدداً. "أريد أن تكون هذه الليلة أجمل ليلة في حياتك. إنها بداية حياتك في عالم الفنّ، ديانا. وأريد أن يعرف الجميع كم أنتِ جيدة". ثمة حب في عينيه أكثر من كل الذي شاهدته قبلاً، وارتعش قلبها، فيما وضعت ذراعيها حوله.

"أنت طيب جداً معي".

"نحن طيبان مع بعضنا البعض، وهذه هدية مميزة".

"لا أستطيع الاحتفاظ بالقرطين. لا تستطيع. إلاّ إذا بقيت مع بين. لكن بعد شهر واحد، ستضطر للعودة إلى مارك.

"نعم، يمكنك الاحتفاظ بالقرطين. أريدكِ أن تأخذيهما. مهما حصل".

فهم. إنه يفهم دوماً. وهذا ما يجعل الأمور أسوأ نوعاً ما. برزت الدموع، وانهمرت ببطء على وجنتيها. بدأ البكاء يهزّ كتفيها.

"حبيبتي، لا تبكي".

"أوه، بين... لا أستطيع تركك".

"لستِ مضطرة لذلك. ليس بعد. دعينا نستمتع الآن بما لدينا".

لم يكن فيلسوفاً هكذا منذ البداية، وتساءلت ما إذا قبل أخيراً بالنهاية المحتومة. "أحبك". كان صوتها مخنوقاً. تشبثت به، وأغلق هو عينيه.

"أنا أحبك أيضاً. ما رأيك في الذهاب إلى افتتاح معرضك؟"

أبعدها قليلاً للنظر إليها، وأومأت هي برأسها. أخذ برفق أحد القرطين ووضعه على أذنها. ثم توقف عند فمها لتقبيله، ووضع لها القرط الآخر. "تبدين فاتنة. وأنا فخور جداً لأن هذا الافتتاح هو لكِ".

"ما زلت أظن أنني سأستيقظ، ويكون كل هذا حلماً. سأستيقظ على



الشاطئ في كارمل، وأنا أشعر مثل ريب فان وينكل، فيما كيم تنتظرني في الفندق. لكن كلما شعرت بهذه الطريقة، أنظر حولي، وأراك، إنني في علم ولست في حلم". نظرت إليه بتعجب، وضحك هو.

ضحك مجدداً فيما وضع يده تحت فستانها. "وأودّ كثيراً أن أبرهن هذا لك، حبي، لكنني أخشى أننا لا نملك الوقت". أمسك بذراعها مع انحناءة بسيطة. "هل نخرج؟"

أخذت ذراعه. "طبعاً".

"هل أنتِ جاهزة؟" وصلا مباشرة أمام باب المعرض.

"أوه، يا الله، لا". تشبثت ذراعاها به، واتسعت عيناها، لكنه أمسكها بالقرب منه للحظة، ثم دفعها إلى الداخل. ثمة مصوّر فوتوغرافي في الانتظار، إضافة إلى عدد مهم من الضيوف. النقاد الفنيون موجودون هنا طبعاً، وشاهدت حتى كيم، وهي تطوّر علاقة حميمة مع أحد رجال الصحافة. جاءت سالي إليهما، وحدقت في الفستان الأزرق الجميل.

كانت السهرة كلها رائعة. باع المعرض سبعاً من لوحاتها. شعرت لبرهة أنها تحتفل مع أصدقاء قدامى. لم تشأ التخلي عن لوحاتها، لكنّ بين مازحها بشأن ذلك فيما عرّفها على المعجبين بعملها. كان بين رائعاً معها: كان دائماً قريباً، ولكن ليس كثيراً جداً، داعماً وإنما ليس بوضوح. كان بنجامين تومبسون الثالث، صاحب معرض مذهل. لم يعرف أحد بعلاقتهما. كان متكتماً مثلما كان في أول صباح مع كيم، ورأت ديانا أنه لا حاجة للخوف أبداً. في لحظة ما من ذلك اليوم، خافت مما قد يسمعه مارك. لا يعرف أحد من يأتي إلى هذه المعارض، أو من يرى، أو ماذا سيقولون. لكن لم يعرف أحد أي شيء تلك الليلة، ولا حتى كيم، التي أرسلت باقة كبيرة جداً من الأزهار إلى المنـزل. شعرت أنها مسؤولة شخصياً عن العلاقة بين ديانا وبين؛ من وجهة نظر محترفة طبعاً، من دون أن تعي وجود أية علاقة أخرى. لكنها تساءلت ما إذا أخبرت ديانا مارك بشأن المعرض. وأخبرت ديانا كيم لاحقاً في السهرة أنها فعلت.

"وماذا قال؟"

"لم يقل الكثير. لكنه لم يكن مسروراً".

"سيتخطى الأمر".

"أفترض ذلك". لكنّ ديانا لم تقل أي شيء إضافي حول الموضوع. لم تخبر كيم أن مارك منعها من إقامة المعرض وأنهى المكالمة معها في النهاية. قال لها إن هذا فظ وسوقيّ، لكن للمرة الأولى منذ زواجهما، تشبثت برأيها. الأمر مهم جداً لها حتى تستسلم هذه المرة. لم يستسلم لرغباتها بشأن بيلار والدراجة النارية. فلماذا يجدر بها التخلي عن فنّها؟

"بحق الله، لماذا أنتِ عابسة هكذا حبيبتي؟" تحدث بين بهدوء، كي لا يسمع أحد آخر، واستفاقت ديانا من أفكارها.

"لا شيء، أنا آسفة... أنا... لقد حصل الكثير..."

"يمكنك قول هذا مجدداً. لقد باعت سالي للتو اثنتين من لوحاتك". بدا سعيداً مثل الولد الصغير، وأرادت ديانا أن تضع ذراعيها حوله لتعانقه. لكنها اكتفت بملاطفته بعينيها. "هل أستطيع دعوتك إلى عشاء احتفالي؟"

"فقط إذا كان بيتزا". ابتسمت له وهي تعرف تفضيلاته.

"ليس هذه المرة سيدتي. الشيء الحقيقي".

"هامبرغر؟"

"اذهبي إلى الجحيم". من دون احتفال إضافي، وضع ذراعه حول كتفيها، وقبلها على وجنتها.

ليس هذا شيئاً ملائماً أن يفعله صاحب معرض ليلة النجاح الأول لفنان جديد، لكن فيما راقبتهما كيم وجدت نفسها تتساءل فجأة ما إذا كان يوجد شيء أكثر بينهما. همست ديانا شيئاً في أذن بين، وسمعته كيم يجيب عليها قائلاً بابتسامة لطيفة: "أنا سعيد لأنها أعجبتك". لمست ديانا القرطين في أذنيها، ومشت بعيداً بسعادة. وفيما راقبتها كيم، خطرت في بالها فكرة للمرة الأولى.



# 13

"حسناً، أنا مستعدة. أخبرني الحقيقة". جلست ديانا في السرير في غرفة النوم الصفراء، وأغلقت عينيها، وأطبقت يديها، ووضعت وسادة فوق رأسها.

"تبدين وكأنك تنتظرين الزلزال". نظر بين إليها وضحك. كان منحنياً فوق السرير، قربها، والجريدة في يده. "ماذا تريدين أن أقرأ لك، حبيبتي؟ البورصة؟ النكات؟ أوه، أعرف!"

"هلاّ قرأت لي ذلك، بحق السماء. لا أستطيع الانتظار دقيقة أخرى إضافية". أطبقت أسنانها، وضحك مجدداً وهو يبحث عن المقالات التي تحدثت عن معرضها. لكنه يعرف ماذا سيقرأ. إنه يعمل في هذا المجال منذ زمن طويل حتى يتفاجأ. إنه يعرف عادة ماذا يكتبون. وفيما ألقى نظرة سريعة على المقال، عرف أنه كان محقاً.

"حسناً، الآن؟ هل أنتِ مستعدة؟"

"بنجامين! اللعنة، اقرأ!" قالت ذلك فيما أسنانها مطبقة تماماً وبدت مذعورة فيما باشر في القراءة.

"... أسلوب مشرق ودقيق لا يظهر فقط سنوات من الدراسة والتفاني في العمل، وإنما أيضاً موهبة نادراً ما نراها...". كان صوته لامبالياً فيما اتسعت عيناها وأبعدت الوسادة عن رأسها.

"أنت لفقت ذلك!" أمسكت الجريدة. أبعدها عنها وتابع القراءة، إلى أن وصل أخيراً إلى نهاية المقال.

"لا أصدق ذلك". بدت وكأنها مصدومة. "لا يمكن ذلك".

"ولمَ لا؟ أنتِ جيدة. أخبرتكِ هذا. أعرف ذلك، وهم يعرفون ذلك، الأشخاص الذين اشتروا لوحاتك يعرفون ذلك. الجميع يعرفون ذلك إلا أنتِ طبعاً، أنتِ أيتها الكبيرة، والسخيفة، والمتواضعة...". مدد يده صوبها، وبدأ يداعبها.

"توقف! أنا مشهورة! لايمكنك دغدغتي الآن!" لكنها كانت تضحك بقوة لتوقفه. "توقف! أنا نجمة!"

"هاه؟ ومن الذي جعلك نجمة؟ من قال إنه عليك إقامة معرض؟ من توسّل إليك؟ من أراد عرض أعمالك ما إن رآها للمرة الأولى؟ هوه؟ قولي لي، قولي لي". أصبحا يضحكان معاً الآن، وحبست نفسها بين ذراعيه، فيما ثوب النوم الحريري الوردي وصل إلى خصرها. توقف لبرهة، ونظر إليها، مستلقية بين ذراعيه. لم تكن يوماً بهذا الجمال، وهذه الرقة، أراد الإمساك بها بهذه الطريقة إلى الأبد. أراد أن يوقف الزمن.

"ما المسألة، حبيبي؟" شاهدت النظرة في عينيه، وكانت تراقبه بحذر. "هل من خطب ما؟"

"على العكس. أنت جميلة ورائعة".

"وأنت أيضاً". مددت جسمها تحت جسمه، وابتسمت له بسعادة فيما وضعت فمها فوق فمه لمنحه قبلة طويلة. وفي أقل من دقيقة، أصبح ثوب النوم الوردي على الأرض. حلّ الظهر قبل أن ينهضا أخيراً من السرير. تثاءبت ديانا بنعاس فيما وقفت على أرض المصطبة، وهي لا تزال عارية، فيما شعرها منسدل على ظهرها مثل الشلال. راقبها من السرير، وأرادها أن تبقى هناك إلى الأبد.

"تعرفين، أظن أنك تدمرين مهنتي". أبقى عينيه عليها فيما التفتت إليه مجدداً. بدت ضعيفة جداً وصغيرة جداً. مظهرها يكذّب القساوة التي يعرف أنها موجودة داخلها. ثمة فولاذ فيها، وإلا لما كانت تحملت وحدة سنواتها مع مارك.



"لماذا أدمر مهنتك؟ ظننت أنني سأجعلك تجني ثروة بفضل لوحاتي الرائعة". نظرت بفخر فوق كتفها.

"ستفعلين ذلك إذا ذهبت إلى المكتب. من الجيد أنني أخبرت سالي ألا تتوقع قدومي اليوم. هل تعرفين أنني لم أفعل أبداً مثل هذا الشيء قبلاً في حياتي؟" لكنه لم يكن منــزعجاً من أسلوب عيشه الجديد فيما لفّ نفسه بمنشفة، ورمى لها ثوب نوم، ولحق بها إلى المصطبة حيث جلسا بارتياح على الكرسيين الخضراوين. "تجعلينني كسولاً، وسعيداً، وصلباً، وشاباً".

"وهذا بالضبط ما تفعله بي". انحنت صوبه وقبلته. "أشعر أن عمري واحد وعشرون عاماً، أو ربما اثنان وعشرون".

"جيد. إذاً، فلنتزوج وننجب اثني عشر ولداً".

ألقت نظرة خاطفة عليه مجدداً، وتساءلت لبرهة ما إذا كان جاداً. "سيعطينا ذلك حتماً بعض المشاكل للتفكير بها، أليس كذلك؟"حاولت إبقاء لهجتها سعيدة. لم تشأ التحدث معه في هذا الموضوع مجدداً. لا تستطيع. ليس هذا ملائماً. سألته بدل ذلك: "ماذا سنفعل في نهاية الأسبوع؟"

رفعت وجهها إلى الشمس، وأغمضت عينيها برضى. من الرائع التواجد معه، والعيش معه، والذهاب إلى كارمل والمكوث في المدينة، والاستيقاظ في الصباح والنوم ليلاً قربه. شعرت وكأنهما معاً منذ مئة عام، وليس فقط منذ سبعة أسابيع. هل مرّ كل هذا الوقت؟ من المذهل كم حصلت الأشياء بسرعة.

"هل تريدين الذهاب إلى كارمل، أو أنك سئمت ذلك؟"

"لن أسأم أبداً من هذا. إنه المكان الأكثر روعة وهدوءاً".

"أنا مسرور". تمدد، وأمسك بيدها. "هذا هو شعوري أيضاً. لكنني أفكر دوماً في أنكِ قد ترغبين ربما في شيء أكثر غرابة".

"مثل ماذا؟" أعجبتها الفكرة. أثينا؟ أجبرت عقلها على عدم التفكير في مارك.

"لا أعرف. يمكننا الذهاب إلى بيفرلي هيلز. لم أذهب إلى هناك منذ أسابيع". يمضي النهار هناك عادة ثم يعود وقت العشاء. "أو يمكننا الذهاب حتى إلى نيويورك". لم يكن بعيداً أبداً عن عمله؛ معارض أخرى، عارضين آخرين، مزادات، فنانين. بطريقته الخاصة، لم يكن شغفه في عمله مختلفاً كثيراً عن شغف مارك. الفرق بينهما هو أنه أدخلها في حياته وهذا شغف لديها هي أيضاً. "على كل حال، حبي، ماذا تريدين في نهاية الأسبوع هذه؟"

"قلت لك، كارمل". فتحت عينيها بابتسامة دافئة وسعيدة.

"إذاً، فلتكن كارمل".

"ويذكّرني ذلك...". أرجعت رأسها بعبوس. "هناك بعض الأشياء التي يجدر بـي إحضارها من المنـزل". لم تذهب إلى هناك منذ أيام. تساءلت بين الحين والآخر عن رأي مارغريت. شرحت لها أنها تعمل في استوديو صديقة لها ويسهل عليها النوم هناك معظم الوقت. لكنّ توقفاتها الصباحية لبعثرة سريرها بعد الليلة التي تكون مارغريت قد قضتها خارج المنـزل لن تخدع أحداً، ولاسيما المرأة التي عملت معها منذ أعوام. لكن ما الذي تستطيع قوله؟ أنا مغرمة برجلٍ آخر. كتمت سرها، وتجنبت المرأة ذات العينين الزرقاوين.

كانت الساعة الثانية من بعد الظهر حين أوصلها على مسافة مبنى واحد من منـزلها. أرادت التحقق من البريد وتوقيع بعض الشيكات. عليها دفع راتب مارغريت، وترك بعض المال لها لشراء الطعام، خصوصاً وأنها لم تعد تأكل أبداً في المنـزل. قلبها وبطنها يعيشان في مكان آخر. لم تعد حتى تعمل في الاستوديو الخاص بها. إنها تنجز كل رسمها في منـزل بين، بما في ذلك اللوحة التي تعمل عليها سراً، حين لا يكون في المنـزل.

دخلت ديانا إلى المنـزل، ونادت لمعرفة ما إذا كان يوجد أحد في المنـزل. لكنّ مارغريت لم تكن هنا. ولمَ يجدر بها أن تكون؟ فديانا ليست هنا أبداً، ولا يوجد الكثير لفعله. هناك الكومة الاعتيادية للفواتير والدعوات غير المهمة. لا توجد أية رسالة من بيلار، ولا شيء من مارك. لم يكتب لها.



اتصل. لم يكن هناك بريد منه أيضاً. حين يكون بعيداً، تأتي دومينيك إلى المنـزل ثلاث مرات أسبوعياً وتجمع بريده لإرساله بالطرود، مع الأوراق الرسمية.

صعدت ببطء إلى غرفتها، وهي تمسك البريد بيد والدرابزين في اليد الأخرى، وتوقفت عند أعلى السلالم. من المحزن العودة إلى هنا. كان هذا أشبه بالتخلي عن حلم، والتقدم في العمر مجدداً، والابتعاد عن الرجل الذي تحدث عن الزواج وإنجاب اثني عشر ولداً. ابتسمت لنفسها على الفكرة، وتنهدت حين سمعت الهاتف. قررت ألا تجيب، لكنها تساءلت ما إذا كان هذا بين، متوقفاً أمام كشك للهاتف أثناء انتظاره. بدا وكأن أحداً لم يعد يهمها، فقط هما الاثنان. لا تستطيع تخيل أحد سواه.

"نعم؟" كانت هناك ابتسامة في صوتها حين أجابت.

آلو". *الله، إنه مارك.* "آلو"

"مارك".

إنها تشتري الوقت.

"طبعاً. وأودّ أن تشرحي لي هذا الهراء بشأن المعرض. لقد اتصلت بـي دومينيك للتو".

"كم هذا رائع".

"أخبرتك رأيي. وما فعلته ينمّ عن ذوق سيىء جداً". بدا مصدوماً.

"على العكس، أستطيع أن أطمئنك أن كل شيء كشف عن ذوق رفيع".

"هذا قابل للنقاش ياعزيزتي. تعرفين تماماً أنني منعتك من إقامة هذا المعرض. والصحافة! بحق الله ديانا، يجعلك هذا تبدين مثل الهيبيين".

"على الأرجح لا". تصلّب ظهرها من الفكرة. "جعلتني المقالات أبدو وكأنني فنانة جدية. وهذا ما أنا عليه".

"ظننت أننا حللنا هذه المشكلة منذ زمن بعيد".

"ربما فعلت ذلك، لكنني أنا لم أفعل". اللعنة عليه. لا يفهم. لم يفهم أبداً.

"أفهم. على كل حال، أتمنى ألا تخططي لتذليل نفسك بمثل هذه الأحداث السخيفة كل يوم".

"تقريباً. أكون محظوظة إذا أقمت معرضاً كل خمس سنوات".

"في هذه الحال، أنا آسف لأنني فوتت هذا المعرض".

"لا، لم تفوّته". أصبحت غاضبة الآن ولا تريد لعب لعبته.

"عفواً؟"

"قلت إنك لست آسفاً لأنك لم تكن موجوداً. سئمت وقرفت من نفاقك. كيف تجرؤ على الاستخفاف بعملي؟"

"ديانا؟" كان مصدوماً.

"أنا آسفة، أنا..." *يا الله، ماذا يحصل؟* لا تستطيع كبت نفسها أكثر. شعرت وكأنه عليها إخراج كل شيء من داخلها. "لا أعرف مارك... أظن أنني متعبة".

"لا بد أنكِ كذلك. هل كان هذا وقتاً سيئاً للاتصال؟" امتلأ صوته بالسخرية والجليد. لم يعجبه موقفها على الإطلاق. كان يجدر بها الذهاب إلى الكاب أنتيب خلال الصيف.

"لا. كنت على وشك الذهاب إلى كارمل".

"مجدداً؟"

"نعم، مع كيم". *أوه، الله، ليس مجدداً.* تكره الكذب عليه. "ليس لديّ الكثير من الأمور لفعلها، أنت تعرف ذلك، حين تغيبان معاً". عرفت أن هذا سيسكته.

"حسناً، لن يطول الأمر كثيراً".

"لكم من الوقت؟" أغلقت عينيها وحبست أنفاسها. *اجعل الوقت طويلاً، أرجوك، لا ترجع إلى المنـزل...*

"شهر تقريباً".



أومأت ديانا رأسها بصمت. بقي لديها هي وبين شهر واحد فقط. هذا كل شيء.

اجتازا الطريق المألوفة المؤدية إلى كارمل بعد نصف ساعة. كانت ديانا هادئة على نحو غير اعتيادي أثناء الرحلة. ألقى بين نظرة سريعة عليها، هي الجميلة والمضطربة فيما الهواء يلفح شعرها.

"هل من خطب؟" سألها. هزّت رأسها. "أخبار سيئة في المنـزل؟"

"لا". وبعد تردد طويل، نظرت إلى المشهد الريفي الذي يجتازانه بسرعة، وتحدثت مجدداً. "لقد اتصل".

"وماذا حصل؟" *هل طلب منكِ الطلاق...؟*

"كالمعتاد. جعلني غاضبة. كان مستاء من المعرض. اتصلت به سكرتيرته خصيصاً لإخباره".

"وهل هذا مهم؟" سألها. هزّت كتفيها. "هل ما زلت تهتمين كثيراً إذا أغضبك؟"

التفتت إليه حينها. "إنه مثل والدي نوعاً ما. مارك كان الصورة السلطوية بالنسبة إليّ طوال سنوات".

"هل أنتِ خائفة منه؟"

"لم أفكر أبداً هكذا، لكنني ربما كذلك. ظننت أنني أحترمه. لكن... أوه، من يعلم..."

"ما هو أسوأ شيء قد يفعله لكِ؟"

"تركي؛ أو هذا ما كنت أظنه".

"ولم تعودي تشعرين هكذا؟"

هزّت رأسها. "لا". بطريقة غريبة، تمنّت دوماً أن يتركها. سيجعل ذلك كل شيء بسيطاً جداً، لكن هناك بيلار. لن تسامحها بيلار أبداً. عبست ديانا،

ولمس بين يدها.

"لا تقلقي كثيراً. سيكون كل شيء على ما يرام".

"أتمنى لو أعرف كيف، بين. لا أعرف ماذا أفعل". إنها تعرف. لكنها لا تريد فعل ذلك. خسارته أو ترك مارك. "و... لديّ واجب تجاه بيلار أيضاً".

"نعم، وواجب تجاه نفسك. أول واجب هو تجاه نفسك، وثاني واجب هو تجاه ابنتك. في النهاية، يعود الأمر إليك".

أومأت ديانا برأسها ولم تقل أي شيء لبرهة. بدت أقل انزعاجاً مما كانت في البداية. "هذا غريب. أنسى أنه موجود معظم الوقت. طوال ثمانية عشر عاماً، كان محور حياتي، وفجأة خلال شهر ونصف الشهر، أصبح وكأنه رحل ولم أعرفه أبداً. أشعر أنني إنسانة جديدة. لكنه موجود، بين. إنه يتصل، وهو حقيقي، ويتوقع مني أن أتحدث إليه، لكنني لا أستطيع نوعاً ما".

"إذاً، لا تتحدثي إليه في الوقت الحاضر".

*يا الله! إنه لا يفهم. يا الله! لا تدعه يصبح أنانياً. أرجوك، ليس بعد...*

لكنّ بين تابع قائلاً: "لماذا لا تسترخين وتستمتعين بحياتك الآن. يمكنك القلق لاحقاً بشأن ما سيحصل".

"وهذا ما ستفعله أنت، أليس كذلك؟" وضعت يدها على عنقه، وقبّلت وجنته. رأت القلق في وجهه، والخوف في عينيه، والرعب حين ظنّ أنها لا تنظر إليه. "أنت لا تقلق أبداً، أليس كذلك؟"

"أنا؟" هزّ رأسه، مع نظرة طمأنينة جعلتها تضحك.

"أنت تكذب. أنت قلق بقدري أنا. لذا، لا تقل لي المواعظ. كنت أظن أنك هادئ الأعصاب لدرجة أنه ما من شيء يؤثر فيك. حسناً، أنا أعرفك أفضل الآن".

"أوه، حقاً؟" نظر إليها، والضحكة في عينيه. لكنه كان خائفاً جداً مما سيحدث في الخريف. هذا الشيء الوحيد الذي لا يستطيع تحمل مواجهته.



"حسناً، قال إنه لن يعود قبل شهر".

"شهر؟"

أومأت ديانا بصمت، فيما تابعا طريقهما.

# 14

"هيا، أيتها الكسولة. انهضي. إنها الساعة العاشرة تقريباً". فتحت عيناً واحدة، وابتسمت له، ثم استدارت. ربّت على ظهرها، ثم انحنى فوقها لتقبيلها. "هيا، لديك موعد مع شارٍ محتمل اليوم. عليكِ أن تكوني في المعرض في تمام الحادية عشرة".

"وماذا عنك أنت؟" تحدثت إليه من أعماق وسادتها.

"أنا ذاهب الآن. حبيبتي، هلاّ نهضت؟"

"لا".

جلس مجدداً قربها. "ديانا، هل أنتِ على ما يرام؟" أصبحت مرهقة جداً في الأسبوعين الماضيين منذ المعرض.

"أنا بخير". لكنها لا تشعر بذلك. كان رأسها ثقيلاً وجسمها مترهلاً. من الأسهل عليها البقاء في السرير، والنوم طوال اليوم.

"لماذا أصبحت متعبة جداً هذه الأيام؟" كان ينظر إليها بقلق واضح.

"أظن أنه التقدم في العمر".

"ظاهرياً. أتمنى فقط ألا يكون النجاح ثقيلاً جداً عليك، لأنه يبدو أنك ستصبحين ناجحة جداً". ثرثر معها فيما فيما توجه إلى المطبخ. "هل تريدين التوست؟"

لم ترق الفكرة لها. هزّت رأسها، وأغمضت عينيها مجدداً، ودفنت رأسها في الوسادة. "لا، شكراً". لكنه عاد لاحقاً مع قهوة، وللمرة الأولى منذ سنوات، لم تعجبها القهوة أيضاً.



"ديانا؟ هل أنت فعلاً بخير؟"

"أنا بخير. فقط متعبة قليلاً". ومشمئزة من عودة مارك. لا بد أن هذه هي القضية. يؤلمها ذلك في الصميم، حين تفكر فيه وفي بيلار. من الغباء أن تسمح لهما بإفساد هذه الأسابيع الأخيرة مع بين، لكنها لا تستطيع الحؤول دون ذلك. "حقاً، حبيبي، أنا بخير. لا داعي للقلق". ابتسمت له بإشراق فيما ارتشفت القهوة، لكن حين تصاعد البخار الساخن أمام وجهها، كادت تتقيأ. أصبحت شاحبة جداً، ووضعت الفنجان جانباً.

"أنتِ مريضة!" هذا اتهام مليء بالخوف.

"لست كذلك. توقف! أنا بخير. أنا رائعة. أنا بصحة جيدة، وأنا أعشقك". مدّت ذراعيها صوبه مع ابتسامة مشرقة وأمسكها بالقرب منه. لا يريد أن يحصل أي شيء لها، وشعر فجأة بالذعر لفكرة خسارتها. يفكر في ذلك عشرة آلاف مرة في اليوم. قد تصبح مريضة، أو تتعرض لحادث، أو تغرق في المياه في كارمل. قد تموت في حريق... *قد تعود إلى مارك*.

"من هو هذا الشاري الذي سنلتقي به اليوم؟"

"اسمه جونو. إنه سويسري أو فرنسي. لست متأكداً".

فرنسي؟ ربما يعرف مارك. لكن قبل أن تتكلم، أعطاها بين الجواب.

"لا. لقد وصل إلى المدينة هذا الأسبوع، وأحب عملك حين دخل إلى المعرض. جميل وبسيط. اتفقنا؟"

"رائع، يا قارئ الأفكار".

"جيد. أراكِ إذاً هناك في تمام الحادية عشرة". نظر إليها مجدداً، مجبراً نفسه على الابتسام. لوّح لها فيما أغلق الباب. إنهما يعانيان، كلاهما يعاني، وهو يعرف ذلك. هي تعاني من الكوابيس وتبقى متشبثة به بشدة حين ينامان، والآن هذا الإرهاق والانزعاج. إنهما يعانيان من المخاوف نفسها، ويتساءلان عما ستحمله نهاية الصيف، ويخشيان الخسارة منذ الآن. لديهما أسبوعان

إضافيان. ربما ثلاثة أسابيع إذا تأخر مارك. سيحضر بيلار معه. لكن ماذا بعد ذلك؟ لا يملك أي منهما الأجوبة. ليس بعد. والعجيبة التي يريدانها لم تحصل بعد.

وصلت ديانا إلى المعرض في تمام الحادية عشرة، وهي ترتدي بذلة من الحرير البيج القشدي اللون مع قميص من الحرير القشدي. كان حذاؤها وحقيبتها بلون الفانيلا نفسها. وضعت قلادة أمها والقرطين اللذين أهداها إياهما مارك قبل المعرض. بدا الشاري المحتمل، السيد جونو، مذهولاً. قام بكل الحركات الملائمة، وقدّم كل العروض الجيدة. لم يشترِ لوحة واحدة، وإنما اشترى لوحتين من أفضل مجموعة لديها. تصافحا هي وبين بسرور بعدما غادر. بلغت قيمة الصفقة ثمانية آلاف دولار تقريباً، يعود نصفها تقريباً إلى بين. إنه يأخذ حصة الـــ40 في المئة الاعتيادية. هناك بعض المعارض التي تأخذ حصة قدرها 50 في المئة. لقد جنت اثني عشر ألف دولار تقريباً منذ إقامة المعرض.

"ماذا ستفعلين بكل هذا؟" راقبها بين بسرور. كانت تحدق بسعادة في الشيك.

"الاستقلالية"، قالت فجأة، متذكرة ما قاله مارك لها قبل أن يغادر. لهذا السبب ما زالت ترسم، حتى تكون مستقلة إذا اضطرت لذلك مجدداً. كان محقاً ربما. لا شك في أن هذا ليس السبب الوحيد، لكنّ الإحساس بأنها تملك الآن شيئاً خاصاً بها جعلها تشعر بأنها إنسانة جديدة.

"تريدين أن تثبتي استقلاليتك وتأخذينني إلى الغداء؟" كان بين ينظر إليها بإعجاب، ورغم أنها بدت أنيقة وجميلة، إلاّ أنه لاحظ في عينيها أنها ليست على ما يرام. "ما رأيك؟ غداء؟" كان يتوق بشدة للخروج معها، ليكون معها، لاصطحابها إلى المنـــزل، ليكون وحده معها، ليستمتع بكل دقيقة لا تزال أمامهما. يصبح ذلك هوساً. لكنها هزّت رأسها.



"أودّ ذلك. لكنني لا أستطيع. عليّ تناول الغداء مع كيم".

"اللعنة. حسناً. لن أطلب منك إلغاء موعدك. لكن حين أغادر اليوم بعد الخامسة، سيدتي، ستكونين لي".

"نعم، سيدي". نظرت إليه بسرور.

"هل هذا وعد؟"

"إنه وعد يسهل الالتزام به".

"إذاً، اتفقنا".

رافقها إلى باب المعرض، وطبع قبلة صغيرة على وجنتها، وراقبها فيما اجتازت الشارع للوصول إلى سيارة الجاكوار. يا لها من امرأة أنيقة. إنها ملكه. ابتسم لنفسه بفخر فيما عاد إلى الداخل.

"إذاً، كيف حال فنانتي المفضلة اليوم؟ ماري كاسات الجديدة؟" كشفت كيم عن ابتسامة عريضة فيما جلست ديانا على كرسيها. إنهما تلتقيان كالمعتاد في ترايدرز فيك. لم تأتِ ديانا إلى هنا منذ شهرين تقريباً.

"هل تصدقين أننا بعنا لوحتين إضافيتين هذا الصباح؟"

"أصدق ذلك. الحمد لله أن تومبسون عرف كيف يتصرف. لم أظن أبداً أنه سيأتي يوم وتعرضين فيه". لكنها عرفت أيضاً أن لهذا علاقة كبيرة بغياب مارك. لم تكن ديانا لتوافق أبداً على إقامة المعرض لو كان مارك موجوداً لأنه لو كان موجوداً لأفسد المعرض. "على كل حال، أنا مسرورة لأنك فعلت ذلك، وقد حان الوقت". أشارت كيم إلى النادل وطلبت شراباً رغم ضحك ديانا واحتجاجاتها. "لمَ لا؟ بالكاد رأينا بعضنا منذ كارمل. ولدينا الكثير لنحتفل به".

ضحكت ديانا لنفسها. أكثر مما تعرف كيم.

"إذاً، بالإضافة إلى أنكِ أصبحت فنانة مشهورة الآن، ما الجديد؟" فتشت عينا كيم في عينيها، لكنّ ديانا ابتسمت. "تبدين مثل الهرّة التي ابتلعت الكنار".

"لا أعرف السبب".

"اللعنة! أظن أنني أعرف السبب ربما". لقد رأت ذلك ليلة افتتاح معرض ديانا، لكنها في البداية لم تكن متأكدة. "حسناً، هل ستخبرينني أم أنني سأموت من الشوق؟"

"تقصدين أنني أملك الخيار؟"

"لا تبالي أبداً. هيا، ديانا، كوني لطيفة... أخبريني".

كانت كيم تلعب لكنّ ديانا أصبحت فجأة جدية. "يبدو وكأنك تعرفين. يا الله، أتمنى ألا يكون ذلك واضحاً جداً".

"ليس كذلك. بدأت فجأة أتساءل تلك الليلة. في الافتتاح. لكني لا أظن أن أحداً غيري عرف". التقت أعينهما في النهاية، وصمتت ديانا لبعض الوقت.

"إنه مميز جداً، كيم. وأنا أحبه. كثيراً".

تنهدت كيم ببطء، وانتظرت. "يبدو لي رجلاً لطيفاً جداً. هل هو جدي؟" سألت. أومأت ديانا برأسها، وارتشفت كيم الشراب.

"أودّ القول إنني لا أعرف. لكنني أعرف". امتلأت عيناها بالدموع. "عليّ العودة إلى مارك. يعرف بين ذلك أيضاً. لا أستطيع بدء كل شيء من جديد، كيم. لا أستطيع. أصبحت كبيرة جداً. أكاد أصبح في الأربعين، و..." تحول صوتها إلى همس تقريباً. "لديّ حياة مع مارك. لطالما أحببته. و... هناك بيلار...". لكنّ ديانا لم تستطع المتابعة. امتلأت عيناها بالدموع، وأرادت مسح أنفها.

أرادت كيم وضع ذراعيها حولها والتوصل إلى حل سحري. لكنهما عرفتا جيداً أنه لا يوجد أي حل.

"ألا توجد طريقة أخرى؟" هزّت ديانا رأسها. "وما هو رأي بين؟"

أخذت ديانا نفساً عميقاً. "مرعوب مثلي. لكنني لا أستطيع بدء كل شيء من جديد. لا أستطيع...". بدت يائسة جداً فيما همست لكيم. "لقد كبرت كثيراً".



"إذا كان هذا هو السبب الذي يمنعك، تعرفين جيداً أنك لست كذلك. تعيد النساء بناء حياتهن في الستين بعد موت أزواجهن. في السابعة والثلاثين، تكونين مجنونة إذا رفضت شيئاً ترغبين به فعلاً".

"لكن هذا ليس صحيحاً. وأنا كبيرة جداً. اللعنة، كيم. إنه يريد الأولاد، وأنا لديّ ابنة ناضجة تقريباً".

"السبب نفسه. ستذهب بيلار. إذا كنت تريدين المزيد من الأولاد، الآن هو الوقت المناسب".

"أنتِ مجنونة مثله". حاولت ديانا الابتسام، لكنّ الموضوع ليس سهلاً. شعرت وكأنّ الأسبوعين القادمين بدأا يختفيان أمام ناظريها.

"هل أنت سعيدة مع بين، ديانا؟"

"لم أكن يوماً أكثر سعادة في حياتي. ولا أستطيع فهم ذلك. عشت مع مارك عشرين عاماً تقريباً. نحن نعرف بعضنا، وفجأة... أوه، الله، كيم، بالكاد أستطيع تذكر شكل مارك وصوته. يبدو وكأن حياتي كلها كانت مع بين. شعرت في البداية بالذنب. ظننت أن ما أفعله مريع جداً. لكنني لا أشعر الآن بهذا السوء. أنا أحبه".

"وهل تظنين أنكِ قادرة على التخلي عن هذا؟" نظرت إليها كيم بحزن لأنها عرفت ماذا يجري مع صديقتها.

"لا أعرف. ربما نستطيع رؤية بعضنا البعض... كيم، لا أعرف".

ولا كيم تعرف أيضاً، لكنها شكت في أن بين تومبسون لن يقبل بمشاركتها مع شخص آخر لوقت طويل. لا يبدو مثل هذا النوع من الرجال.

"هل ستخبرين مارك؟"

هزّت ديانا رأسها. "أبداً. لن يفهم أبداً. سينفطر قلبه. سنرى ماذا يجري. يتوجب على بين الذهاب إلى نيويورك في سبتمبر لبضعة أسابيع. سيعطيني ذلك الوقت لمعرفة كيف ستجري الأمور".

"إذا كان باستطاعتي فعل أي شيء ديانا... إذا احتجت إلى الدعم أو المساعدة، أنا موجودة دوماً لأجلك، حبيبتي. أتمنى أن تدركي ذلك".

"أعرف".

تبادلت المرأتان ابتسامة، وتحدثتا في أمور أخرى، لكن بعد وقت طويل من مغادرة كيم، بقيت تفكر في وجه ديانا وما رأته.

بعدما تركت كيم، توجهت ديانا ببطء إلى المنـــزل. عليها التحقق من البريد ودفع الفواتير. لن تلتقي ببين قبل الخامسة. سيذهبان إلى مكان هادئ لتناول العشاء، ومن ثم يقومان بنـــزهة، أو يشاهدان فيلماً في السينما، أو يفعلان الأشياء التي يقوم بها الأشخاص الذين ليس لديهم أولاد أو ضغوط أو القليل القليل من الوقت. أرادت قضاء هذين الأسبوعين مثلما قضت الشهرين السابقين، ببساطة وهدوء معاً. هذا ما أراده بين أيضاً.

"السيدة دوراس؟" كانت مارغريت في انتظارها حين وضعت المفتاح في الباب. بدا عليها التوتر، لكنّ ديانا لم تفهم في البداية.

"مارغريت؟ هل أنتِ على ما يرام؟" رأت أن المرأة المتقدمة في العمر تبدو شاحبة. وحين وصلت إلى القاعة، أدركت أن الخادمة لا تزال تحدق فيها. "مارغريت؟ هل من خطب ما؟" كان صوتها أكثر إصراراً هذه المرة ونظرت طويلاً وبقوة إلى المرأة التي ترتدي البذلة الكحلية. هل عرفت بشأن بين؟ هل رأتهما معاً؟ "ما الأمر؟"

"هناك اتصالان..."، قالت مارغريت من دون أن تعرف ماذا تضيف. لم تكن واثقة تماماً. لا تملك الحق في إقلاق السيدة دوراس، لكنها تشعر بشيء ما.

"من السيد دوراس؟" وقفت ديانا منتصبة.

"من السيدة دوراس، والدته".

"ماذا قالت؟" ظهر العبوس على وجه ديانا الآن. "هل من خطب؟"



"لا أعرف. تحدثت إلى عاملة الهاتف في باريس. لكنها تريد أن تتصلي بها مجدداً. على الفور".

"في باريس؟ تقصدين الأنتيب". بالنسبة إلى مارغريت، الاثنان واحد، حسبما تعرف ديانا. لكنّ الخادمة هزّت رأسها بإصرار.

"لا. من باريس. تركوا رقماً". بحثت مارغريت عن الرسالة بين كومة الأوراق وسلّمتها إلى ديانا. إنها محقة. إنها باريس. إنه رقم المنـــزل في شارع فرانسوا الأول. ثمة خطب ما. قد تكون المرأة العجوز مريضة وتريد إرسال بيلار إلى المنـــزل باكراً. مارك! حصل شيء ما لمارك! خطرت آلاف الكوارث في بالها فيما صعدت السلالم بسرعة وصولاً إلى هاتف غرفة النوم. الساعة تجاوزت منتصف الليل في باريس. هل الوقت متأخر جداً؟ هل يجدر بها الانتظار حتى الصباح؟

أعطتها موظفة الهاتف الاتصال بسرعة، وسمعت فوراً رنين الهاتف الفرنسي في أذنيها. ظنت طوال أعوام عدة أن هذا الرنين أشبه بخط مشغول، لكنها اعتادت الآن عليه. "يحتاجون إلى دقيقة للإجابة. أنا آسفة".

"لا بأس". بدت عاملة الهاتف وكأنها من كاليفورنيا وغير مستعجلة، فابتسمت ديانا. ثم سمعت صوت حماتها في الهاتف.

"آلو؟ نعم؟"

"مامي؟" لم تخرج هذه الكلمة يوماً بسهولة من ديانا. بعد عشرين عاماً تقريباً، لا تزال تحاول مناداة حماتها باسم السيدة دوراس. "مامي؟" لم يكن الاتصال جيداً، لكن ديانا استطاعت السماع، ورفعت صوتها حتى يتم سماع صوتها. لم تكن السيدة دوراس نائمة ولا راضية. إنها ليست كذلك دائماً. "أنا ديانا. أنا آسفة جداً للاتصال في هذا الوقت المتأخر، لكنني ظننت أن..."

"ديانا، يجب أن تأتي فوراً". أوه، يا الله، ليس بالفرنسية مع هذا الاتصال السيىء. لكنّ المرأة العجوز تابعت التكلم بسرعة بالفرنسية، وبالكاد استطاعت

ديانا سماعها.

"انتظري. انتظري. لا أستطيع سماعك. لا أفهم. أرجوك، كرري ذلك بالانكليزية. هل من خطب؟"

"نعم". كانت الكلمة طويلة وحزينة، ثم جاء صمت طويل فيما انتظرت ديانا. ماذا حصل؟ إنه مارك. تعرف ذلك. "بيلار!... تعرضت لحادث... على الدراجة النارية"

شعرت ديانا أن قلبها يتوقف. "بيلار؟" كانت تصرخ في الهاتف الآن، ولم تسمع مارغريت تدخل إلى الغرفة. "بيلار؟" كان الاتصال يختفي وراحت تصرخ بصوت أعلى. "مامي؟ هل تستطيعين سماعي؟ ماذا حصل؟"

"رأسها... ساقاها..."

"أوه، يا الله، هل هي على ما يرام؟" بدأت الدموع تنهمر على وجهها، وحاولت عبثاً السيطرة على صوتها. "مامي؟ هل هي بخير؟"

"مشلولة. الساقان... ساقاها مشلولتان. ورأسها... لا نعرف".

"أين هي؟" كانت ديانا ترتجف.

"في المستشفى الأميركي". راحت المرأة العجوز تبكي.

"هل اتصلت بمارك؟"

"لا نستطيع العثور عليه. إنه في أثينا. تحاول شركته العثور عليه. يظنون أنه سيأتي غداً. أوه، أرجوك، ديانا... هل ستأتين؟"

"الليلة. حالاً". كانت كل ذراعها ترتجف فيما نظرت إلى ساعتها. إنها الرابعة وعشر دقائق. عرفت أن هناك طائرة في السابعة والنصف، لأن مارك يستقلها طوال الوقت. ومع الفارق في الوقت، ستكون في باريس في تمام الرابعة والنصف من اليوم التالي. "سأكون هناك... بعد الظهر... سأذهب مباشرة إلى المستشفى. من هو طبيبها؟" دوّنت اسمه بسرعة. "كيف أستطيع الوصول إليه؟" أعطتها السيدة دوراس رقم هاتف منـزله.



"أوه، ديانا، الفتاة المسكينة... أخبرت مارك أن الدراجة كبيرة جداً... لماذا لم يسمعني؟ قلت له..."

*وأنا أيضاً*. "مامي؟ هل يوجد أحد معها؟" هذا أول شيء خطر في بالها. طفلتها وحيدة في مستشفى في باريس.

"هناك الممرضات طبعاً". بدت حينها مثل السيدة دوراس التي تعرفها ديانا.

"لا أحد آخر؟" بدا الرعب في صوتها.

"الساعة تجاوزت منتصف الليل هنا".

"لا أريدها لوحدها".

"حسناً. سأرسل أنجلين فوراً، وأذهب أنا في الصباح". أنجلين، الخادمة الأكبر سناً على وجه الأرض. أنجلين. كيف يمكنها ذلك؟

"سأكون هناك بأسرع ما يمكنني. قولي لها إنني أحبها. إلى اللقاء مامي. أراكِ غداً".

يائسة، طلبت ديانا عاملة الهاتف. "الدكتور هوبير كيرشمان، أريد التحدث معه شخصياً. إنها حالة طارئة".

لكنّ الدكتور كيرشمان لم يكن يجيب على اتصالاته. ولم ينفع الاتصال بالمستشفى الأميركي كثيراً. رغم أن وضعها حرج، لا تزال الآنسة دوراس تنام مرتاحة، وهي واعية، وثمة احتمال أن تجرى لها عملية جراحية في الصباح. لا يزال الوقت باكراً جداً للتأكد من ذلك. تم نقلها من كان هذا المساء، ويستحسن أن تتصل السيدة بالطبيب في الصباح... أوه، اذهب إلى الجحيم. لا تستطيع بيلار تلقي الاتصالات الهاتفية، وما من شيء تستطيع ديانا فعله. سوى ركوب الطائرة.

جلست ساكنة للحظة، تحبس دموعها، تمسك رأسها بين يديها، إلى أن خرجت منها تنهيدة مفاجئة، شقت طريقها مباشرة من قلبها. "بيلار... أوه

صغيرتي. أوه، يا الله!". أصبحت البذلة الزرقاء محيطة بها حينها، وطوّقتها ذراعا مارغريت بقوة.

"هل الأمر سيىء جداً؟" كان صوتها بمثابة همس في الغرفة الصامتة.

"لا أعرف. قالوا إن ساقيها مشلولتان، وثمة مشكلة في رأسها. لكنني لم أستطع الحصول على أجوبة ذكية من أحد. سأستقل أول طائرة".

"سأوضب لكِ حقيبة".

أومأت ديانا برأسها، وحاولت لملمة أفكارها. عليها الاتصال ببين. ودومينيك. طلبت أصابع يدها رقم دومينيك في المكتب. أجاب الصوت الذي تكرهه بسرعة على الهاتف. "أين هو السيد دوراس؟"

"لا أعلم".

"اللعنة عليكِ. لقد تعرضت ابنتنا للتو لحادثة، ولا يستطيعون العثور عليه. أين هو؟"

"أنا... سيدة دوراس... أنا آسفة... سأفعل ما بوسعي لتحديد موقعه بحلول الصباح، وأطلب منه الاتصال بكِ".

"سأطير إلى باريس الليلة. قولي له أن يذهب إلى هناك. وأن يتصل بأمه. بيلار في المستشفى الأميركي في باريس. وبحق الله، اصنعي لي معروفاً دومينيك واعثري عليه". ارتجف صوتها عند لفظها هذه الكلمات.

"سأفعل ما بوسعي. وأنا آسفة حقاً. هل الأمر خطير؟"

"لا نعرف".

اتصلت بشركة الطيران والمصرف. ألقت نظرة خاطفة على ما وضعته مارغريت في حقيبتها، واتصلت بسرعة ببين قبل أن يغادر المعرض. لا تزال أمامها ساعة قبل المغادرة إلى المطار. أسرع في الإجابة.

"عليّ مغادرة المدينة الليلة".

"ماذا فعلت بعد ظهر اليوم؟ سلبت مصرفاً؟" كان صوته مليئاً بالمكر



والضحك، وهو يتطلع إلى الأمسية الآتية. لكنّه أحسّ بسرعة أن هناك خطباً ما.

"تعرضت بيلار لحادث... أوه، بين...". ثم جاءت الدموع، والبكاء، والألم، والخوف، والغضب على مارك لأنه سمح لها بشراء الدراجة.

"هوّني عليك، حبيبتي. سآتي فوراً. هل أستطيع المجيء إلى المنــزل؟"

"نعم".

فتحت له مارغريت الباب بعد سبع دقائق. كانت ديانا تجلس في غرفتها. لا تزال ترتدي البذلة التي ارتدتها على الغداء والقرطين اللذين أعطاها إياهما بين. ستذهب هكذا إلى فرنسا. نظر إليها بسرعة فيما دخل، وأخذها بين ذراعيه. "لا بأس، صغيرتي. لابأس. ستكون على ما يرام".

أخبرته حينها عن ساقيها المشلولتين.

"قد تكون هذه ردة فعل مؤقتة نتيجة السقوط. لا تعرفين التفاصيل بعد. قد لا يكون الوضع سيئاً جداً مثلما يبدو. هل تريدين أن تشربــي شيئاً ما؟" كانت شاحبة بشكل خطير، لكنها هزّت رأسها. كل ما رآه هو وجهها المليء بعلامات الأسى. بدأت تبكي مجدداً، واحتمت مرة جديدة بين ذراعيه.

"أنا أفكر في أشياء مريعة".

"لا تفعلي. لا تعرفين. عليك الصمود حتى تصلي إلى هناك". نظر إليها مجدداً متسائلاً. "هل تريدين أن أذهب معك؟"

تنهدت وأعطته تلميحة ابتسامة. "نعم. لكنك لا تستطيع. لكنني أحببت عرضك. شكراً".

"إذا احتجت إليّ، اتصلي بي، وسآتي. وعد؟" سألها. وأومأت هي برأسها.

"هل تتصل بكيم وتخبرها إلى أين أنا ذاهبة؟ حاولت الاتصال بها، لكنها ليست في منــزلها".

"ألن تشك في شيء إذا أخبرتها أنا؟" بدا قلقاً، لكنّه قلق على ديانا، وليس على كيم.

"لا"، ابتسمت ديانا. "أخبرتها اليوم على الغداء عن علاقتنا. لقد حزرت لوحدها، ولا تسألني كيف. في افتتاح المعرض. لكنها ترى أنّك رجل مميز جداً. وأظن أنها محقة". تمددت نحوه مجدداً، وأمسكته بالقرب منها. هذه آخر مرة تستطيع فعل ذلك، الإمساك به لتكون له. "أريد فرصة للعودة مجدداً إلى المنـــزل... والتواجد هناك... يمنحني ذلك الكثير من السلام". وكانت تقصد منـــزله، وليس منـــزلها، لكنه فهم.

"ستعودين إلى المنـــزل مجدداً في وقت قريب".

"وعد؟" بحثت عيناها عن عينيه.

"وعد. والآن، تعالي من الأفضل أن نذهب. هل لديك كل ما تحتاجين إليه؟" سألها. أومأت برأسها، وأغلقت عينيها مجدداً. شعرت بالدوار لبرهة من الثانية. "هل أنتِ بخير؟"

"أنا بخير". لحقته على السلالم، وعانقت مارغريت فيما غادرت. أمامهما ساعة للوصول إلى المطار. بعد خمس وأربعين دقيقة، ستكون على الطائرة. وبعد اثنتي عشرة ساعة من ذلك، ستكون في باريس؛ مع صغيرتها بيلار.

خلال الرحلة إلى المطار، وجدت ديانا نفسها تصلي بصمت لتجد ابنتها على قيد الحياة.



# 15

"ماذا؟ يا إلهي! دومينيك، هل أنتِ أكيدة؟"

"طبعاً. تحدثت أيضاً إلى أمك. والطبيب".

"ما هو اسمه؟" مررت المعلومات إلى مارك فيما أشار هو بعصبية للحصول على قلم، فأعطته شانتال قلمها. "متى أجروا العملية؟"

"هذا الصباح، في توقيت باريس. قبل ثلاث ساعات، حسبما أعتقد. يظنون أنها أفضل قليلاً، لكنها لم تستعد وعيها بعد. إنهم قلقون خصوصاً بشأن الجمجمة... وساقيها".

بدأت الدموع تنهمر ببطء على وجنتي مارك إدوار فيما استمع إلى دومينيك. "سأرسل برقية. سأكون هناك الليلة". اتصل بالبواب. كانت أوامره صارمة. "أنا السيد دوراس. أحجز لي مقعداً في طائرة إلى باريس. على الفور". أقفل الهاتف، ومسح وجهه، ونظر بغرابة إلى شانتال.

"إنها بيلار؟" سألته. وأومأ برأسه. "هل الأمر سيىء جداً؟" جلست على الأريكة قربه، وأمسكت بيديه.

"لا يعرفون. لا يعرفون..." لم يستطع حمل نفسه على قول الكلمات، أو إخبارها أن الدراجة النارية كانت هدية منه، فيما بدأ البكاء يهزّ كيانه.

نزلت ديانا من الطائرة في مطار شارل ديغول وسط غيمة من الإرهاق، والرعب، والغثيان. لقد أمضت الليل كله تحدق أمامها، وتطبق يديها. اتصلت بالمستشفى من المطار، ولكن من دون الحصول على أخبار. أوقفت ديانا سيارة أجرة مباشرة خارج المطار، وجلست بهدوء فيما انطلقت السيارة.

أعطت السائق عنوان المستشفى الأميركي وقالت له فقط: "بأسرع ما يمكن".

وبأسلوب فرنسي صرف، نفذ طلبها. تحولت الأشجار على جانب الطريق إلى موجة خضراء في زوايا عيني ديانا فيما جلست تحدّق أمامها، تراقب براعة السائق الذي حاول جاهداً تجاوز كل عقبة أمامه. استطاعت الإحساس بكل نبض في جسمها، وكل بكاء في قلبها... بسرعة... بسرعة... بسرعة! شعرت وكأنّ ساعات مضت قبل أن تصل إلى بولفار فيكتور هوغو، ونزلت مسرعة أمام الأبواب الكبيرة. مدّت ديانا يدها بسرعة إلى محفظتها لإخراج الفرنكات ومن دون أن تفكر، أعطت السائق مئة فرنك، وفتحت الباب بسرعة.

"مالكِ؟" نظر إليها متسائلاً، وهزّت رأسها. لا تكترث أبداً لبقية المال. كانت شفتاها مثل خط ضيق ومحكم تائه في مكان ما من وجهها. لقد فهم الأمر منذ البداية، ما إن أعطته عنوان المستشفى الأميركي. لقد عرف. "زوجك؟"

"لا، ابنتي". ومرة جديدة امتلأت عيناها بالدموع.

أومأ السائق رأسه دليل حزن وتعاطف. "آسف". حمل لها حقيبتها الجلدية البنية الصغيرة عن المقعد وفتح بابه. وقف هناك لبرهة، يمسك بها، ينظر إليها، وهو يريد أن يقول شيئاً إضافياً. لديه ابنة هو أيضاً ويستطيع رؤية الألم في عيني ديانا. بدت زوجته هكذا ذات مرة، حين كادا يخسران ابنتهما. سلّم الحقيبة بصمت إلى ديانا. تشبثت عيناها بعينيه لجزء من الثانية، ثم التفتت، وركضت بسرعة إلى المستشفى.

ثمة حاجب صارم المظهر يجلس أمام مكتب.

"نعم سيدتي؟"

"بيلار دوراس. رقم غرفتها؟" *أوه، الله، فقط رقم غرفتها، أرجوك. لا تقولوا لي... لا...*

"أربعمئة وخمسة وعشرون". أرادت ديانا إطلاق تنهيدة طويلة. لكنها



أومأت بدل ذلك برأسها بتهذيب، ولحقت الإشارة. ثمة رجلان وامرأة في المصعد، يتوجهون إلى طوابق أخرى. يبدون مثل رجال أعمال أوروبيين، هم ربما أصدقاء لمرضى، أو ربما أزواج وزوجات، ولكنّ أياً منهم لم يكن مضطرباً أو قلقاً جداً. راقبتهم ديانا بحسد فيما انتظرت الوصول إلى طابقها. بدأت رحلة الطائرة الطويلة والمليئة بالخوف بالتأثير فيها. كانت ليلة طويلة من دون نوم، وانتقلت أفكارها بين بيلار وبين. ماذا لو سمحت له بالمجيء معها؟ وجدت نفسها تتوق إلى ذراعيه، إلى دفئه، إلى دعمه، ورقة كلماته.

فُتح بابا المصعد في الطابق الرابع، وخرجت منه بتردد. ثمة مجموعة من الممرضات، وبعض الحلقات الصغيرة التي ضمت عدداً من الرجال المميزين والمتقدمين في السن. إنهم أطباء. لكنّ ديانا شعرت فجأة بالضياع. إنها على مسافة ستة آلاف ميل من المنـــزل، تبحث عن ابنة يمكن أن تكون ميتة. فجأة، لم تعد واثقة ما إذا كانت تستطيع تكلم الفرنسية، أو ما إذا كانت ستعثر على بيلار وسط هذه الجلبة. ملأت الدموع عينيها. حاربت موجة من الدوار والغثيان، ثم شقت طريقها ببطء إلى المكتب.

"أبحث عن بيلار دوراس. أنا أمها". لم تحاول قول ذلك بالفرنسية. لا تستطيع. صلّت فقط أن يفهمها أحد. معظم الممرضات فرنسيات، لكن لا بد أن أحداً ما يتحدث الانكليزية. شخص ما يفهم... شخص ما يجعل الأمور أفضل؛ يأخذها إلى بيلار، ويظهر لها أنها لم تتعرض فعلاً لأذى كبير...

"دوراس؟" بدت الممرضة مضطربة حين نظرت إلى ديانا، ثم بحثت في جدول كبير. تحوّل كل شيء داخل ديانا إلى هلام، ثم إلى صخر. "أوه، نعم". التقت عيناها بعيني ديانا وأومأت برأسها، متسائلة فجأة ما إذا كانت المرأة اليائسة والشاحبة التي ترتعش أمامها مريضة. "سيدة دوراس؟"

"نعم". لم تستطع ديانا التفوه بأكثر من همسة. فجأة، أثّرت فيها كل لحظة من الرحلة. لم تعد تستطيع تحمل المزيد. وجدت نفسها حتى تسأل عن مارك.

"سيدة دوراس، هل أنتِ بخير؟" تحدثت المرأة الشابة باللباس الأبيض

بلكنة ثقيلة، لكنّ انكليزيتها كانت جيدة. إلا أن ديانا اكتفت بالتحديق فيها. لم تكن حتى متأكدة. شعرت بغرابة كبيرة، كما لو أنه قد يغمى عليها.

"عليّ... أظن... هل أستطيع الجلوس؟" نظرت من حولها بغموض، ثم بدهشة، فيما تحول كل شيء حولها إلى اللون الرمادي، ثم اختفى. كان ذلك أشبه بمشاهدة شاشة تخبو ببطء في جهاز تلفزيون معطل، ببطء... ببطء... اختفت الصورة. وكل ما سمعته كان دندنة. ثم شعرت بيد على ذراعها.

"سيدة دوراس؟ سيدة دوراس؟" إنه صوت الفتاة نفسها، وشعرت ديانا بأنها تبتسم. إنها تملك صوتاً شاباً جميلاً جداً... جميلاً جداً... شعرت ديانا بنعاس كبير. كل ما تريده هو الابتعاد، لكنّ اليد استمرت في التربيت على ذراعها. وفجأة، جاء شيء بارد على عنقها، ومن ثم رأسها. عادت الصورة إلى الشاشة. أحاطت بها عشرات الوجوه، وكانوا جميعاً ينظرون إلى الأسفل. حاولت الجلوس، لكنّ يداً منعتها على الفور، وتحدث رجلان شابان بسرعة مع بعضهما بالفرنسية. أرادا نقلها إلى غرفة الطوارئ، لكنّ ديانا هزت رأسها بسرعة.

"لا. لا. أنا بخير. فعلاً. جئت من رحلة طويلة من سان فرانسيسكو، ولم آكل أي شيء طوال اليوم. فعلاً. أنا فقط متعبة كثيراً و...". امتلأت عيناها بالدموع مجدداً. حاولت إبعادهم. اللعنة، لماذا يريدون أخذها إلى غرفة الطوارئ؟ "أريد رؤية ابنتي، بيلار... بيلار دوراس".

بدت الكلمات وكأنها أوقفتهم. حدّق فيها الرجلان الشابان، ثم أومأا برأسيهما. لقد فهما. وخلال لحظة، مع يد على كل مرفق، وقفت على قدميها، فيما ساعدتها ممرضة شابة على تسوية تنورتها. أحضر لها أحدهم كرسياً، وأحضرت لها الممرضة الأولى كأس ماء. بعد لحظة، تبددت الحشود. بقيت فقط الممرضة الشابة والأخرى الأكبر سناً.

قالت ديانا: "أنا آسفة جداً".

"طبعاً لا. أنت متعبة جداً. عانيت من رحلة طويلة. نفهم. سنأخذك خلال



لحظة لرؤية بيلار". تبادلت الممرضتان نظرة سريعة وأومأت الممرضة الكبيرة برأسها بطريقة شبه مخفية.

"شكراً". ارتشفت ديانا القليل من الماء وأعادت الكأس. "هل الدكتور كيرشمان هنا؟" هزّت الممرضة رأسها.

"غادر في وقت باكر من قبل الظهر. كان مع بيلار طوال الليل. أجروا لها عملية جراحية، تعرفين ذلك".

"في ساقيها؟" شعرت ديانا بأنها ترتجف مجدداً.

"لا. في رأسها".

"هل هي على ما يرام؟"

كان هناك صمت طويل. "إنها أفضل. تعالي، سترينها بنفسك". وقفت جانباً لمساعدتها على النهوض، لكنّ ديانا أصبحت ثابتة الآن وغاضبة من نفسها على الوقت الذي بددته.

مشت في رواق طويل مشمشي اللون، وتوقفت أخيراً أمام باب أبيض. نظرت الممرضة طويلاً وبقسوة إلى ديانا، ثم فتحت لها الباب ببطء. تقدمت ديانا بضع خطوات إلى الداخل، وشعرت أن الهواء يتجمد في رئتيها. بدا وكأنها لم تعد تستطيع التنفس.

كانت بيلار ملفوفة بالضمادات، ومغطاة بالآلات والأنابيب. ثمة ممرضة صارمة المظهر تجلس بهدوء في زاوية، فيما تتولى ثلاثة أجهزة على الأقل إصدار تقارير غريبة. كانت بيلار نفسها غير مرئية تقريباً عبر الضمادات وكان وجهها مشوهاً جداً نتيجة الأنابيب المتعددة.

لكنّ ديانا لم تفقد الوعي هذه المرة. وضعت الحقيبة حيث وقفت، وتقدمت في الغرفة بخطوة ثابتة وابتسامة، فيما راقبتها الممرضة التي رافقتها. تبادلت نظرات سريعة مع الممرضة التي كانت موجودة في الغرفة. اقتربت المرأة، لكنّ ديانا لم تلاحظ. استمرّت في شق طريقها نحو السرير، وهي تصلّي بقوة

وتحبس دموعها بابتسامة يائسة.

"مرحباً صغيرتي. أنا ماما"؟ صدر تأوه صغير من السرير، وتابعت عينا ابنتها خطواتها. من السهل الإدراك أن بيلار عرفتها، وفهمت. "سيكون كل شيء على ما يرام... على ما يرام". وقفت قرب السرير، وتمددت نحو يدّ بيلار غير المتضررة، ثم أخذت اليد بين يديها برفق، بخفة كبيرة كما لو أنها لا تريد لمسها، ورفعتها نحو شفتيها، وقبّلت أصابع ابنتها الصغيرة. "كل شيء بخير، حبيبتي، ستكونين على ما يرام".

صدر صوت مخيف من الفتاة في السرير.

"هشش... يمكنك التحدث إليّ لاحقاً. ليس الآن". كان صوت ديانا أشبه بهمس، لكنه كان صارماً.

هزّت بيلار رأسها. "أنا...."

"هشش...". بدت ديانا يائسة، لكنّ عيني بيلار كانتا مليئتين بالكلمات.

"هل تريدين شيئاً ما؟" راقبتها ديانا، لكن لم يظهر أي جواب في العينين. ألقت ديانا نظرة خاطفة على الممرضة. هل تتألم؟ اقتربت الممرضة، وراقبتاها معاً فيما حاولت بيلار مجدداً.

"مســ... رورة... بقدو... مك". كانت همسة هشة من السرير، لكنها ملأت قلب ديانا بالحب والدموع. امتلأت عيناها بالدموع. أجبرت نفسها على الابتسام فيما استمرّت بالإمساك بيد بيلار.

"أنا أيضاً مسرورة لأنني جئت. والآن، لا تتحدثي صغيرتي. أرجوكِ. يمكننا التحدث لاحقاً. هناك الكثير لنقوله".

أومأت بيلار برأسها هذه المرة إيجاباً، ثم أغلقت عينيها لبرهة. أخبرت الممرضة ديانا حين مشتا في الرواق إنه باستثناء فترة العملية وخضوعها لمخدر، بقيت بيلار مستيقظة طوال الوقت، كما لو أنها كانت تنتظر أحداً، أو شيئاً، ويسهل الآن معرفة السبب.



"إن وجودك هنا سيحدث فرقاً كبيراً، تعرفين ذلك سيدة دوراس". تحدثت ممرضة بيلار الانكليزية بطلاقة، وبدت جازمة جداً. ارتاحت ديانا لكلماتها. كانت بيلار تنتظرها. لا تزال تهتم. من الغبـــي أن يكون مثل هذا الأمر مهماً في هذه الأوقات، لكنه كذلك. خشيت أنه حتى في أحلك الظروف، قد ترفضها بيلار. لكنها لم تفعل. أو هل كانت تنتظر مارك؟ لا يهم. عادت ديانا إلى وسط الغرفة، وجلست.

مضت أكثر من ساعتين قبل أن تستيقظ بيلار مجدداً، واستلقت هناك تراقب أمها، بحيث لم تبتعد عيناها قط عن وجه ديانا. وأخيراً، بعدما بقيت العينان مسمرتين لساعات، رأت أن بيلار تبتسم. اقتربت ديانا من السرير مجدداً، وأخذت يد الفتاة برفق مرة جديدة.

"أحبكِ، حبيبتي. كما أنكِ بخير. لماذا لا تحاولين النوم بعد؟"

لكنّ عينيها قالتا لا. بقيتا مفتوحتين مجدداً لساعة، تراقبان، تراقبان فقط، تحدقان في وجه أمها، كما لو أنهما تشبعان منه، كما لو أنهما تحاولان قول الكلمات التي لا تجد القوة للفظها. مضت ساعة أخرى قبل أن تتحدث مجدداً.

"دوغي...". بدت ديانا مذهولة، وحاولت بيلار مجدداً. "هل... أحضرت... دوغي؟" لم تستطع ديانا هذه المرة منع نفسها من البكاء. دوغي، كنـــز السنوات حين كانت لا تزال طفلة. دوغي، العتيق والوسخ جداً، الذي تقاعد أخيراً على رف بعيد في مكان ما في المنـــزل. لم تتمكن ديانا أبداً من رميه. يعيد دوغي الكثير من ذكريات بيلار خلال الطفولة. راقبتها ديانا الآن، متسائلة ما إذا كانت لا تزال تعرف أين هي، أو ما إذا ذهبت إلى مكان بعيد، إلى الطفولة ودوغي.

"إنه ينتظرك في المنـــزل".

أومأت بيلار برأسها مع ابتسامة صغيرة. "حسناً...". كانت الكلمة ناعمة مثل الريشة على شفتيها فيما خلدت للنوم مجدداً.

دوغي. أعاد ديانا عشر سنوات إلى الخلف فيما جلست على الكرسي

الصغيرة وجعلت أفكارها تعود مجدداً إلى الأيام التي كانت فيها بيلار في الثالثة، والرابعة، والخامسة، والتاسعة... لتبلغ من ثم سريعاً اثني عشر عاماً، والآن ستة عشر عاماً تقريباً. كانت جميلة جداً في الطفولة، صغيرة جداً، ولبقة كثيراً. كانت الفتاة الصغيرة ذات الخصل الذهبية والعينين الزرقاوين. الأشياء الجميلة التي قالتها، الرقصات التي أدتها أحياناً أمام أهلها حين كانت تلعب. حفلات الشاي التي أقامتها للدمى. القصص التي كتبتها، والأشعار والمسرحيات. القميص التي أجبرت ديانا على ارتدائها ذات مرة يوم عيد ميلادها وهي مصنوعة من فوطتي مطبخ... وارتدتها ديانا بجدية كبيرة عندما ذهبت لحضور الحفل الديني في دار العبادة.

"سيدة دوراس؟" ارتبكت ديانا عند سماع صوت أنثوي غير مألوف. نظرت حولها، مذهولة، وشاهدت ممرضة جديدة.

"نعم؟"

"هل تودّين الاستراحة؟ يمكننا أن نحضر لك سريراً في الغرفة المجاورة". كان وجهها لطيفاً جداً، مع عينين حكيمتين وكبيرتين. ربّتت على ذراع ديانا بيدها. "مضى وقت طويل على وجودك هنا".

"كم الساعة الآن؟" شعرت ديانا، وكأنها تعيش في حلم منذ ساعات.

"الحادية عشرة تقريباً".

إنها الساعة الثانية من بعد الظهر في سان فرانسيسكو. تركت المنــزل منذ أقل من اثنتين وعشرين ساعة، لكنها شعرت وكأنها سنوات. وقفت، وتمددت.

"كيف حالها؟" نظرت ديانا إلى السرير.

ترددت الممرضة بلطف لبرهة. "على حالها".

"متى سيعود الطبيب؟" ولماذا لم يكن هنا خلال الساعات الخمس الماضية التي كانت فيها ديانا قرب بيلار؟ وأين هو مارك؟ اللعنة. ألن يأتي؟ سيبدل كل



الأمور، وتبدأ الأشياء بالتحرك. حدّقت ديانا في الشاشات، مستاءة من الكلمات التي كانت تطبعها.

"سيعود الطبيب خلال ساعات قليلة. يمكنك الاستراحة قليلاً. يمكنك حتى الذهاب إلى المنــزل لقضاء الليل. لقد أعطينا الآنسة حقنة أخرى. ستبقى نائمة لبعض الوقت".

لا تريد ديانا المغادرة، لكن بدا لها وكأنه حان الوقت للذهاب إلى منــزل حماتها. ستعرف إذا تمكنوا من العثور على مارك ومعرفة ما يحصل مع هذا الطبيب. من هو؟ وأين؟ وما الذي يريد قوله؟ الشيء الوحيد الذي تعرفه ديانا الآن هو أن بيلار في وضع حرج. شعرت ديانا بيأس كبير، وجلست هناك لساعات، منتظرة شرحاً ما، أو إشارة، أو شيئاً يبعث فيها التشجيع أو يعطيها الأخبار الجيدة... أرادت أن يخبرها أحد بأن الأمر غير خطر. لكن يصعب تصديق ذلك.

"سيدتي؟" راقبتها الممرضة بحزن. بدت ديانا ضعيفة بقدر بيلار تقريباً حين حملت حقيبتها. "سأترك رقماً حيث يمكن العثور عليّ، وسأعود سريعاً. كم من الوقت تظنين أنها ستنام؟"

"أربع ساعات على الأقل، أو ربما خمس أو ست. لكنها لن تستيقظ قبل الثالثة. وأعدك... إذا طرأت مشكلة، أو إذا استيقظت وطلبتك، سأتصل بك".

أومأت ديانا برأسها وأعطتها رقم والدة مارك. نظرت بألم إلى عيني الممرضة."إتصلي بــي على الفور إذا... كان يجدر بــي المجيء". لم تستطع قول المزيد لكنّ الممرضة فهمت. دوّنت رقم ديانا على ورقة، وابتسمت لتلك العينين المتعبتين.

"سأتصل. لكن عليك الحصول على قسط من النوم".

لا تذكر ديانا أنها شعرت قبلاً بمثل هذا التعب في حياتها، لكنّ آخر شيء تخطط له هو النوم. عليها الاتصال ببين. التحدث إلى الطبيب. العثور على مارك. تسابقت أفكارها، وشعرت بالدوار مجدداً. اتكأت على الحائط، لكنها لم

تفقد الوعي هذه المرة. وقفت هكذا للحظة طويلة، تنظر إلى بيلار. ثم تركت الغرفة، فيما امتلأت عيناها بالدموع، وهي تحمل الحقيبة في يد ومعطفها فوق ذراعها، وقلبها يتلكأ خلفها.

عثرت على تاكسي في الشارع المقابل للمستشفى، وغاصت في المقعد الخلفي مع تنهيدة عالية جداً كادت تتحول إلى تأوّه. كان كل إنش فيها متعباً ومتألماً، وكل ليف من ألياف جسمها مشدوداً ومرهقاً، ولم يتوقف عقلها أبداً عن الطنين: بيلار كطفلة... بيلار السنة الماضية... بيلار في عمر السابعة... بيلار في غرفتها، في المدرسة، في المطار. مع تسريحة شعر جديدة، جواربها الأولى. عقدة حمراء، إنه فيلم لا يتوقف أبداً كانت تراقبه طوال اليوم، مع الصوت أحياناً، ومن دونه أحياناً أخرى، لكنها رؤية لا تستطيع الفرار منها، فيما اخترق التاكسي شوارع باريس وصولاً إلى شارع فرانسوا الأول.

إنها منطقة أنيقة، تقع قرب دار كريستيان ديور للأزياء. كان الشارع أنيقاً جداً كما هي كل شوارع باريس، وقريباً جداً من الشانزيليزيه. حين كانت أصغر سناً، كانت ديانا تخرج غالباً في فترة بعد الظهر للنظر إلى المتاجر وتناول فنجان قهوة قبل العودة إلى صرامة الحياة في منـــزل حماتها، لكنّ كل هذه الأفكار اختفت الآن من عقلها. إنها تشعر بإرهاق كبير يغلفها كما لو أنه بطانية.

كان السائق يدخن سيجارة غولواز، ويغني أغنية قديمة. كان سعيداً جداً لرؤية الكآبة في المقعد الخلفي، وحين توقف عند العنوان، التقت عيناه بعيني ديانا بابتسامة. لم تلاحظ. أعطته المال ببساطة، وخرجت. هزّ السائق كتفيه وابتعد في سيارته فيما توجهت هي نحو الباب. لم يغفل عن بالها أن حماتها لم تذهب إلى المستشفى طوال فترة المساء. قالت الممرضة إنها أتت لزيارة بيلار ساعتين في الصباح. ساعتين؟ فقط؟ وتركتها في مثل هذه الحالة المريعة لوحدها؟ يثبت ذلك كل ما آمنت به ديانا على الدوام. السيدة دوراس لا تملك قلباً.



رنّت على جرس الباب مرتين بسرعة، ثم فتح أمامها باب خشبـــي كبير. اجتازت العتبة الكبيرة، وأغلقت الباب خلفها، وشقّت طريقها بسرعة إلى المصعد الصغير والأنيق. لطالما شعرت أنه يجب وضع عصفور كناري في هذا المصعد، وليس أشخاصاً، لكنّ أفكارها اليوم بعيدة جداً عن ذلك فيما ضغطت على الزر المؤدي إلى الطابق السابع. إنه الطابق العلوي. تملك السيدة دوراس الطابق بأكمله.

ثمة خادمة ترتدي البذلة الرسمية تنتظر عند الباب فيما خرجت ديانا من المصعد. "نعم، سيدتي؟" نظرت إلى ديانا باستياء، إن لم يكن بقرف.

"أنا السيدة دوراس". لم تكن لكنة ديانا أسوأ يوماً، ولم تكترث لذلك.

"آه، جيد. السيدة تنتظر في الصالون". كم هذا جميل. تسكب الشاي؟ شعرت ديانا بأسنانها تنسحق فيما لحقت بالخادمة نحو غرفة الجلوس. ما من شيء غير اعتيادي. ما من شيء خارج عن مكانه. لا يظن أحد أن حفيدة السيدة مارك إدوار دوراس تستلقي، وربما تموت، في مستشفى على مسافة ميلين. بدا كل شيء في ترتيب مثالي، بما في ذلك السيدة دوراس نفسها، حين رافقت الخادمة ديانا إلى الغرفة. كانت حماتها ترتدي تايوراً من الحرير الأخضر الداكن فيما شعرها مصفف بطريقة مثالية، وخطواتها صارمة جداً حين توجهت نحو ديانا ومدّت لها يدها. وحدهما عيناها كشفتا عن قلق. صافحت ديانا، وقبلتها على الوجنتين، ونظرت بحزن إلى اليأس البادي على وجه كنّتها.

"وصلتِ للتو؟" ألقت نظرة سريعة على الخادمة التي انسحبت بسرعة.

"لا. كنت مع بيلار طوال المساء. ولم أقابل الطبيب بعد". نزعت ديانا سترتها، وكادت تقع على كرسي.

"تبدين متعبة جداً". راقبتها المرأة العجوز بوجه صلب كالصخر. وحدهما تلك العينين القلقتين أوحتا بأن ثمة روحاً تعيش فعلاً وراء هذا الوجه.

"لا يهم ما إذا كنت متعبة أم لا. من هو هذا اللعين كيرشمان وأين هو؟"

"إنه طبيب جرّاح مشهور في كل فرنسا. بقي مع بيلار حتى وقت متأخر من قبل الظهر، وسيعود لرؤيتها مجدداً خلال ساعات قليلة، ديانا"- ترددت، ثم تابعت بلطف أكبر- "لا يمكنه فعل أي شيء إضافي بكل بساطة. على الأقل ليس في الوقت الحاضر".

"ولمَ لا؟"

"الآن علينا الانتظار. عليها استرداد القوة. يجب أن... تعيش". كشف تعبيرها عن ألم عند قولها الكلمة، ووضعت ديانا يدها على عينيها. "هل تودّين تناول شيء ما؟"

هزّت ديانا رأسها. "أريد فقط الاستحمام والاستراحة قليلاً. و"- نظرت والرعب على وجهها- "أنا آسفة لأنني دخلت هكذا. لم أقل أي عبارة من عبارات المجاملة مثل "سررت برؤيتك" أو "كيف حالك"، لكنني آسفة مامي. لا أستطيع".

"أفهم".

حقاً؟ تساءلت ديانا. لكن ما الفرق الآن إذا كانت تفهم أو لا.

قالت السيدة دوراس: "أظن أنه يجب أن تأكلي عزيزتي، تبدين شاحبة جداً".

تشعر أيضاً أنها شاحبة جداً، لكنها ليست جائعة بكل بساطة. لا يمكنها الأكل، مهما كان حالها. ليس الليلة. ليس بعد رؤية بيلار مضمّدة ومستلقية في ذلك السرير، تسأل عن دوغي، وضعيفة جداً للإمساك بيد أمها.

"سأستحم، وأبدّل ثيابي، وأعود. يحتمل أن تكون الليلة طويلة. بالمناسبة، هل سمعت أخباراً من مارك؟" عبست فيما سألت. وأومأت حماتها برأسها.

"سيكون هنا خلال ساعة".

ساعة... ساعة. بعد أكثر من شهرين، لم تشعر ديانا بأي شيء داخلها سوى ما تشعر به حيال بيلار.



"سيأتي من أثينا. إنه متضايق جداً".

"وهذا ما هو مفترض". نظرت ديانا مباشرة إلى عيني حماتها. "هو الذي اشترى لها الدراجة النارية. توسلته كي لا يفعل".

شمخت السيدة دوراس بأنفها على الفور. "ديانا، لا يمكن لومه. أنا واثقة بأنه يشعر بانزعاج كبير".

"طبعاً هو كذلك"، نظرت بعيداً، ثم وقفت. "ستحط طائرته خلال ساعة؟"

"نعم. هل ستذهبين للقائه؟"

بدأت ديانا قول لا، لكنّ شيئاً ما داخلها تردد. كانت تُفكّر في بيلار، وكيف بدت الفتاة... كيف سيشعر مارك حين يدخل، مثلما فعلت هي، ويراها للمرة الأولى. بدا فظاً جداً تركه لوحده في ذلك. بيلار هي صغيرته، ثروته، طفلته. إنها أيضاً طفلة ديانا، لكن بالنسبة إلى مارك، كانت بيلار بمثابة إلهة تقريباً. لا تستطيع تركه يواجه الأمر لوحده مثلما حصل معها. عليها الذهاب للقائه عند الطائرة.

"هل لديك رقم الرحلة؟" أومأت أمه برأسها. "إذاً، سأذهب. سأغسل وجهي فقط. لن أغير ملابسي. هلاّ اتصلت بسيارة أجرة؟"

"طبعاً". بدت السيدة دوراس العجوزة مسرورة. "سأكون أكثر من سعيدة لفعل ذلك. ستحضر لك فلوريت شطيرة". فلوريت الزهرة الصغيرة. إنه اسم الطاهية البدينة جداً التي تستخدمها السيدة دوراس، والتي لطالما وجدت ديانا شكلها مضحكاً، ولكن ليس الليلة. ما من شيء مضحك بعد الآن. أومأت بتهذيب لحماتها، ومشت في الردهة. كانت على وشك الانعطاف للدخول إلى غرفة الضيوف، حين لاحظت وجود لوحة في الممر المظلم. متروكة هناك من دون أن يريدها أحد، أو يحبها أحد، أو يعجب بها أحد. إنها لوحة تصورها هي وبيلار. لم تكن السيدة دوراس يوماً مولعة بها. الآن، ومن دون التفكير أكثر، قررت ديانا هذه المرة أن تأخذها معها إلى المنــزل، حيث تنتمي.

في غرفة الضيوف المألوفة، نظرت حولها. كان كل شيء باللون البيج الرملي، من القماش الدمشقي أو الحرير، فيما كل الأثاث من طراز لويس الخامس عشر. إنها غرفة بدت دوماً باردة بالنسبة إلى ديانا، حتى عندما نامت فيها خلال شهر العسل مع مارك. مررت مشطاً في شعرها، وأجبرت نفسها على التفكير في مارك. كيف سيكون اللقاء به مجدداً؟ رؤية وجهه، لمس يده... بعد بين. لماذا يبدو لها بين حقيقياً أكثر الآن، أو أنه كان مجرد حلم؟ هل ابتلعها مجدداً هذا العالم الحريري ولن تتمكن من العودة منه أبداً؟ أرادت الاتصال ببين، لكنها لا تملك الوقت. عليها الذهاب إلى المطار في الوقت المحدد لرؤية مارك قبل أن يغادر البوابة بعد خروجه من الطائرة، وإلا لن تتمكّن من الالتقاء به. تساءلت ما إذا كانت هناك طريقة لترك رسالة له تبلغه فيها بقدومها، لكنها عرفت من خبرتها أن مثل هذه الرسائل تضيع دوماً. سيقف رجل له صوت خفيف ومنخفض في زاوية من المطار ويهمس لنفسه: "سيد دوراس، سيد دوراس..."، فيما يتجاوزه مارك من دون أن يعي ذلك. وإذا عثر عليه، فقد يخاف كثيراً بشأن بيلار. يمكنها توفير ذلك عليه على الأقل.

طرقت الخادمة على باب غرفة الضيوف، وأخبرتها أن سيارة الأجرة تنتظرها. وفيما تلفظت بالكلمات، سلّمت علبة صغيرة إلى ديانا. شطيرتان من اللحم وقسم من دجاجة. قد يكون السيد جائعاً أيضاً. جائع؟ من يستطيع الأكل؟

على عكس رحلتها الأولى من المطار التي بدت لها لامتناهية، بدت هذه الرحلة قصيرة جداً. وجدت نفسها تخلد قليلاً إلى النوم في المقعد الخلفي فيما اجتازت السيارة الطريق في ظلمة الليل، وتنقلت أفكارها بارتباك كبير بين بيلار وبين ومارك. وبعد لحظات قليلة، توقفت السيارة بسرعة.

"وصلنا".

تمتمت كلمة "شكراً" للسائق وهي شاردة البال، ودفعت له الأجرة مع بقشيش كبير، وأسرعت إلى الداخل، فيما سوّت تنورتها مجدداً أثناء الركض. بدأت تشعر وكأنها لم تغير ملابسها منذ أسبوع، لكنها لا تكترث فعلاً



لمظهرها، إذ لديها الكثير من الأمور الأخرى في عقلها. ألقت نظرة سريعة على اللوح الكبير الذي يذكر أرقام الرحلات ومواعيد وصولها، وركضت مباشرة نحو البوابة التي عرفت أنه سيخرج منها. لقد هبطت الطائرة للتو. ستمر دقيقة واحدة فقط أو اثنتان قبل أن ينـــزل منها الركاب. لديها الوقت الكافي للحاق به. يخرج دوماً ركاب الدرجة الأولى في البداية، ويسافر مارك دوماً في الدرجة الأولى.

راحت تبحث بين المسافرين، وتتمعن جيداً بين حقائبهم. لكنها وصلت أخيراً إلى المكان الذي سيخرج منه المسافرون بعد إنهاء معاملاتهم مع الجمارك، واتكأت مع تنهيدة على زاوية جدار للمراقبة. أرادت للحظة مجنونة أن تفاجئه، أن تظهر له أنها تهتم، رغم خيانتها خلال الصيف. لكن حتى في خضم هذا الخوف الكبير على بيلار، لم تشأ الإذعان لمارك أو تسهيل الأمور عليه. ستمشي قربه بكل بساطة، مع لمسة يد وابتسامة. ما زال باستطاعتها فعل ذلك لأجله، وإعطاؤه لحظة سرور وسط الكثير من الألم. وضعت سترتها حولها، ونظرت إلى قميصها الحريري العاجي. مرّ قربها سبعة أو ثمانية أشخاص، لكن لم يظهر أي دليل لمارك.

ثم رأته فجأة، هو الطويل والنحيل والمرتب، المنظم بطريقة مثالية والمرتدي ثياباً مرتبة، حتى بعد الرحلة الطويلة. لكنها لاحظت متفاجئة أنه يبدو أقل حزناً مما تصورت. لا شك في أنه لا يعرف بعد مدى خطورة الأمور، أو ربما... ثم، وفيما تقدمت خطوة واحدة من مكانها، شعرت ديانا أن قلبها توقف.

التفت مع ابتسامة بطيئة وناعمة، الابتسامة التي كانت تسميها ديان وليس ديانا. رأته يتمدد ويمسك بيد امرأة شابة. كانت تتثاءب بنعاس، ووضع يده حول كتفها، وشدّها بالقرب منه. قالت المرأة شيئاً ما وربّتت على ذراعه. راقبت ديانا بدهشة وهي مربوطة اللسان، متسائلة من تكون الفتاة، ولكن من دون أن تهتم فعلاً. لقد رأت الجزء الناقص من الأحجية، الجواب على سنوات

عديدة من التساؤلات في حياتها. ليست هذه معرفة غير رسمية، وليست فتاة تعرّف إليها خلال الرحلة. إنها امرأة يشعر معها بالارتياح، والألفة، امرأة يعرفها جيداً. والطريقة التي مشيا فيها وتحدثا وتحركا أخبرت ديانا كل شيء.

وقفت مسمّرة على الأرض في الزاوية، فيما يدها مرفوعة برعب أمام فمها المفتوح قليلاً، وراقبتهما يمشيان بعيداً عنها في الممشى إلى أن اختفيا ولم يعد بإمكانها رؤيتهما. أخفضت رأسها، وركضت، من دون أن ترى أحداً ولا يراها أحد، ركضت نحو المخرج، وأوقفت سيارة أجرة.



# 16

شعرت بذعر كبير وانقطاع في النفس، وأعطت ديانا سائق السيارة عنوان المستشفى. أسندت رأسها على المقعد وأغلقت عينيها. استطاعت سماع قلبها الذي يخفق بأذنيها. كل ما أرادته هو الهروب، ووضع أكبر عدد ممكن من الأميال بين نفسها والمطار. ساورها إحساس بالجنون لبرهة، كما لو أن موجة كبيرة جرفتها، كما لو أنها دخلت إلى غرفة نوم شخص آخر ووجدته عارياً، كما لو أنها رأت ما لم يجدر بها أبداً رؤيته. لكن هل الأمر كذلك فعلاً؟ ماذا لو كانت مجرد امرأة شاركته الرحلة على الطائرة؟ ماذا لو كانت كل افتراضاتها مجنونة واستنتاجاتها غير منطقية؟ لا ثمة شيء أكثر من ذلك. لقد عرفت ذلك في اللحظة التي رأتهما فيها معاً. عرفت الحقيقة بكل بساطة في أعماق قلبها. لكن من هي؟ وكم مضى على ذلك؟ أسبوع؟ شهر؟ سنة؟ هل حصل ذلك هذا الصيف أم أن الأمر يتعدى ذلك؟ أكثر من ذلك بكثير...؟

"وصلنا سيدتي". التفت إليها السائق مع نظرة سريعة على عدّاد سيارته. بالكاد استطاعت ديانا سماعه. كان عقلها يتحرك في عشرين اتجاهاً دفعة واحدة. طوال الرحلة المرعبة من المطار، لم تُفكّر ولو لبرهة واحدة في بين. لم يخطر في بالها أنها فعلت الشيء نفسه، وكل ما تعرفه أنها شاهدت زوجها مع امرأة أخرى، ولا تزال تهتم لذلك. كثيراً. كانت مصدومة بالمفاجأة والألم.

"سيدتي؟" حـدّق بها السائق فيما نظرت مجـدداً إلى العـداد بعينين غامضتين.

"عذراً". أعطته المال بسرعة وخرجت، ونظرت حولها. لقد عادت إلى المستشفى، لكن كيف وصلت إلى هنا؟ متى أعطته هذا العنوان؟ أرادت العودة

إلى الشقة لجمع أغراضها، لكنها جاءت بدل ذلك إلى هنا. هذا جيد. مارك سيعود إلى المنـــزل ليضع أغراضه ويرى أمه، ثم يأتي أخيراً لرؤية بيلار. اشترت ديانا المزيد من الوقت الإضافي. ليست مستعدة بعد لرؤيته. كلما فكّرت فيه، واقفاً هناك، تشاهد الشابة الأنيقة تميل نحوه، ويدها في ذراعه، أعينهما ملتصقة فيما يضع هو ذراعه حول كتفيها. وبدت الفتاة شابة جداً. امتلأت عينا ديانا بالدموع فيما شقت طريقها عبر الأبواب الزجاجية الكبيرة، وعادت إلى ردهة المستشفى. أخذت نفساً عميقاً. أصبحت الرائحة مألوفة. ومن دون تفكير، شعرت بيدها تضغط على زر المصعد للوصول إلى الطابق الرابع. أصبحت مثل الرجل الآلي، الجسم الآلي الخالي من أي عقل. شعرت أنها تتحرك، لكنها لم تفهم أي شيء. كل ما استطاعت التفكير به هو ذلك الوجه، بالقرب من وجه مارك. وبدا هو سعيداً جداً وشاباً جداً...

"هل أنت بخير؟" نظر مارك إليها بعينين متعبتين فيما خلع معطفه. كانت شانتال مستلقية على السرير.

"سأكون بخير. لديك ما يكفي للتفكير به من دون القلق بشأني". لكنها عرفت أنه يكره أن يراها متعبة. حذّره الطبيب بعد الحادث الذي تعرضت له، وبعد أن أوشكت على الموت بأنه لا يجدر بها إرهاق نفسها. منذ ذلك الحين، يعاملها مارك مثل أب شديد العناية والاهتمام بطفلة صغيرة. أرادها أن تحصل على الكثير من الراحة، وتأكل جيداً، وتعتني بنفسها كي لا يخرج داء السكري مجدداً عن السيطرة وتحصل الاحتمالات السيئة التي حذره منها الطبيب. "هل ستكون على ما يرام؟" وضعت ذراعيها حوله. تكره رؤيته يذهب، تكره معرفة أنها لا تستطيع فعل الكثير له. لكنها عرفت أنه لا يمكنها الذهاب معه إلى المستشفى. ستكون ديانا هناك. هذا مختلف عن الإصرار على الذهاب إلى الكاب أنتيب، والتشبث بموقف حين يكون كل شيء على ما يرام. من الجنون الذهاب معه الآن. ليس هذا الوقت المناسب. فهمت شانتال ذلك. توقيتها ممتاز



على الدوام. "هل ستتصل بـــي وتخبرني كيف حالها؟" ثمة قلق واضح في عينيها، وشعر مارك بالامتنان.

"ما إن أعرف أي شيء. أعدك. حبيبتي...". جلس، وأمسك بها قربه. "شكراً لكِ. لم يكن بوسعي إتمام هذه الرحلة لولاكِ. كانت هذه أصعب ليلة في حياتي".

"ستكون بخير، مارك إدوار. أعدك". أمسك بها بقوة. وحين ابتعد عنها، مسح عينيه، وتنحنح.

"آمل ذلك".

"نعم، نعم، أعرف".

لكن كيف تعرف؟ ما الذي تعرفه؟ وماذا لو كانت مخطئة؟

"سأعود لاحقاً لأخذ حقيبتي".

"هل ستوقظني إذا كنتُ نائمة؟" ظهرت ابتسامة طفولية في عينيها، وضحك هو.

"سنرى". لكنه تركها. كان عقله في مكان آخر. وصلا من المطار قبل عشر دقائق فقط، لكنه شعر وكأنه تأخر كثيراً. ارتدى معطفه.

"مارك إدوار!" توقف، والتفت صوب صوتها. كان واقفاً في الباب.

"لا تنسَ أنني أحبك...".

"أنا أيضاً". وأغلق الباب بهدوء.

قاد سيارة الرينو الصغيرة التي تخص شانتال للوصول إلى المستشفى وركنها في الشارع. كان يجدر به أخذ سيارة أجرة، لكنه لم يشأ تبديد المزيد من الوقت. أراد أن يكون قربها. معرفة ما حصل. محاولة الفهم. خلال رحلة الطائرة، فكّر في ذلك مراراً وتكراراً. لماذا وكيف ومتى، لكنه لم يجد أي جواب منطقي. ثمة لحظات شعر فيها وكأن شيئاً لم يحدث، كما لو أنهما

سيعودان إلى باريس مثل العادة بعد اجتماعات العمل في اليونان... ثم اتضحت له فجأة كل الأمور وتذكر بيلار. ما كان ليتمكن أبداً من تمالك نفسه خلال رحلة الطائرة لولا شانتال.

كانت القاعة هادئة. أعطته دومينيك قبلاً رقم غرفة بيلار حين تحدثا على الهاتف، ونجح هو في الاتصال بالدكتور كيرشمان قبل أن يغادر أثينا. من المبكر معرفة أي شيء. فالضرر اللاحق بجمجمتها كبير، والأذى في ساقيها ربما يكون دائماً. تمزق طحالها، وانفجرت إحدى كليتيها. كانت في الإجمال فتاة مصابة بشكل كبير.

شعر مارك أن صدره ينقبض حين دخل إلى المصعد، وضغط على الزر الرابع. كان عقله فارغاً فيما ارتفع المصعد. ثم فتح باب المصعد، وخرج منه. شعر بالضياع لبرهة، بالعجز والخوف، فيما ألقى نظرة حوله، متسائلاً أين يستطيع العثور على ابنته. شاهد الممرضة المسؤولة أمام مكتبها، فاقترب منها بكآبة.

"بيلار دوراس؟" بدأت الممرضة تعطيه التعليمات المؤدية إلى الغرفة. رفع يده. "أولاً، كيف حالها؟"

"وضعها حرج، سيدي". أصبحت عينا الممرضة جادتين.

"لكن هل تحسّنت عما كانت عليه قبلاً؟" كان الجواب مجرّد هزّة رأس. "والدكتور كيرشمان، أين هو؟"

"جاء ثم غادر. سيعود بعد قليل. إنه يراقب الوضع عن كثب. إنها تخضع لمراقبة كاملة... نحن نفعل كل ما بوسعنا".

أومأ مارك هذه المرة برأسه. تنحنح، ومسح عينيه بمنديل فيما مشى في الردهة. عليه تمالك أعصابه، والإظهار لبيلار أن كل شيء على ما يرام، وأنه سيجعلها أفضل حالاً، وأنه سيعطيها قوته. لقد نسي شانتال، وكل ما يخطر في باله الآن هو ابنته الصغيرة.



كان الباب مفتوحاً قليلاً، فألقى نظرة على الداخل. بدت الغرفة مليئة بالآلات. ثمة ممرضتان، واحدة ترتدي بذلة خضراء معقمة خاصة بغرفة العمليات فيما الممرضة الأخرى ترتدي البذلة البيضاء. نظرتا إليه، فيما دخل بهدوء.

"أنا والدها". اتسمت العبارة المهموسة بنبرة سلطوية، أومأت كلتا الممرضتين فيما جالت عيناه في الغرفة. عثر عليها فوراً، مستلقية في السرير مع أنابيب وشاشات تقفز بدقة مع كل نَفَس. شعر لبرهة بجليد يسيطر عليه حين نظر إلى وجهها. كانت بشرتها رمادية شاحبة ولا تشبه أبداً الفتاة التي يعرفها، إلى أن اقترب كثيراً منها وتعرف إلى القسمات المشوهة لمحبوبته. فالأنابيب والألم والضمادات غيّرتها بالكامل تقريباً، لكنها بيلار محبوبته. راقبها لبرهة طويلة فيما هي مستلقية هناك، مغمضة العينين، واقترب أكثر منها بدقة كبيرة ثم تمدد للمس يدها. ارتعشت اليد قليلاً. فتحت عينيها. لكن لم تظهر أية ابتسامة، ولا حتى أي شيء يوحي بأنها تعرفت إليه.

"بيلار، حبيبتي، أنا بابا". توجب عليه كبح دموعه. لم يقل أي شيء آخر، وإنما وقف هناك، يحدق فيها، يمسك بيدها، ويراقبها مجدداً إلى أن أغلقت العينين الزرقاوين الساطعتين. شعر وكأن كل الهواء في الغرفة اختفى بعيداً، بحيث صعب عليه التفكير، والرؤية، والتنفس. كيف حدث ذلك؟ كيف؟ ولابنته؟ شعر بركبتيه ترتجفان، وظن لبرهة أنه سيفقد الوعي، لكنه تابع الوقوف والمراقبة ولمس اليد الصغيرة الشاحبة. حتى أظافرها اتخذت لوناً غريباً، كما لو أنها بالكاد تحصل على كمية كافية من الدم. لكنه وقف هناك، ولم يتحرك أبداً، ولم يتحدث أبداً، وإنما فقط يراقب ابنته.

بصمت، ومن كرسيها في الزاوية، راقبته ديانا. لم تقل أي شيء حين دخل إلى الغرفة، ولم يرها هو أبداً إذ كانت محجوبة بفعل الآلات الضخمة.

مرت عشرون دقيقة قبل أن يعثر أخيراً على الوجه المألوف وتلك العينين... اللتين راقبتاه بيأس. بدا متفاجئاً حين رآها، كما لو أنه لم يفهم. لماذا

لم تقل أي شيء؟ لماذا تجلس هناك؟ متى أتت؟ أو هل كانت في صدمة بكل بساطة؟ بدت حزينة جداً، وشاحبة بقدر بيلار تقريباً.

"ديانا...". كانت الكلمة أشبه بهمسة.

لم تغادر عيناها وجهه أبداً. "مرحباً مارك".

أومأ برأسه، وعاد للنظر مجدداً إلى بيلار. "متى جئت إلى هنا؟"

"في تمام الخامسة".

وأمضيت كل الليل هنا؟"

"نعم."

"هل من تغيير؟"

ساد الصمت. نظر إليها مارك مجدداً، والسؤال في عينيه.

"تبدو أسوأ قليلاً. خرجت قليلاً قبل فترة... توجّب عليّ... ذهبت إلى منـــزل أمك لأضع حقيبتي. غبت فقط لمدة ساعتين و... حين عدت، بدا أنها تواجه الكثير من المشاكل في التنفس. حضر كيرشمان إلى هنا في ذلك الحين. قال إنه إذا لم تتحسن خلال ساعات قليلة، سيجرون لها عملية جديدة". تنهدت، وأخفضت عينيها. شعرت وكأنها خسرتهما معاً خلال هاتين الساعتين. بيلار ومارك.

"لقد وصلت للتو".

*كاذب. لم تفعل. لقد وصلت قبل ساعتين. إلى أين ذهبت؟* لكنّ ديانا لم تقل أي شيء على الإطلاق.

بقيا هكذا لمدة ساعة تقريباً، إلى أن جاءت الممرضة أخيراً، وطلبت منهما الخروج لبضع دقائق فقط. هناك بعض الضمادات التي يجب تغييرها. وقفت ديانا ببطء، وغادرت الغرفة. تلكأ مارك لبرهة، رافضاً ترك صغيرته. عاد عقل ديانا مجدداً إلى المشهد في المطار. بدا كل شيء غريباً جداً فجأة. لم تره منذ شهرين، وبالكاد قالا مرحباً لبعضهما. لا تستطيع أداء لعبة اللقاء



السعيد. لقد فات الأوان فجأة. لكنه لم يلعب اللعبة هو أيضاً، أو كان ربما محبطاً كثيراً بسبب بيلار.

مشت في الردهة، بكآبة، ورأسها محني إلى الأسفل، وهي تفكر في الصلوات التي تعلمتها حين كانت صغيرة. لا تملك وقتاً الآن لتبدده على مارك. عليها تخصيص كل طاقتها لبيلار. سمعت خطواته خلفها، لكنها لم تلتفت. استمرت في المشي، رويداً رويداً، في الممشى الطويل إلى أن وصلت أخيراً إلى النهاية، ووقفت هناك تحدق في النافذة المطلة فقط على جدار مجاور. شاهدته يقف خلفها فيما كانت تحدق في انعكاس الزجاج.

"ديانا، هل أستطيع المساعدة؟" بدا متعباً، ومرهقاً. هزّت رأسها ببطء. "لا أعرف ماذا أقول". انخفض صوته فيما بدأ يبكي. "كنت مخطئاً في.. شراء..."

"لا يهم الآن. لقد فعلت ذلك. لقد حصل. كان يمكن أن يحصل ذلك في أية طريقة أخرى. تعرضت لحادث، مارك. ما الفرق الآن على من تقع مسؤولية الحادث، ومن أعطاها الدراجة النارية....". كان صوت ديانا يرتجف.

"يا رب...". رأته يضع وجهه بين يديه، ثم شاهدته يرفع رأسه، ويأخذ نفساً عميقاً. "يا رب، لو أنها تتمكن فقط من النجاة. ماذا لو لم تستعد قدرتها على المشي؟"

"سنعلمها حينها كيفية العيش بأفضل طريقة ممكنة. هذا ما ندين به لها الآن. حبنا، مساعدتنا، دعمنا، في كل ما ستواجهه...". *إذا أتيحت لنا هذه الفرصة*. للمرة الأولى منذ عشرين عاماً تقريباً، شعرت ديانا بموجة كبيرة من الرعب.... *ماذا لو؟*

شعرت ديانا بيديه على كتفيها، ثم برمها ببطء. كانت عيناه مثل عيني بيلار، ووجهه وجه رجل متعب وعجوز جداً.

"هل ستسامحينني يوماً؟"

"على ماذا؟" كان صوتها بعيداً وبارداً.

"على هذا. على ما فعلته بابنتنا. على عدم الإصغاء إليكِ فيما كان يجدر بـــي ذلك. على..."

"ذهبت لاصطحابك من المطار الليلة، مارك".

ثمة شيء في عينيها قال له إنها ماتت، وشعر بشيء داخله يتجمد. "لا بد أنكِ لم تريني". لكنّ السؤال طغى على صوته. فتش في وجهها.

"لا. غادرت. أنا... يشرح ذلك الكثير لي، مارك. كان يجدر بـــي أن أعرف قبلاً. قبل زمن بعيد. لكنني لم أفعل". ابتسمت ابتسامة صغيرة، ثم هزّت كتفيها. "أفترض أنني كنت حمقاء. وأستطيع ربما تهنئتك. لا تبدو فقط جميلة جداً وإنما أيضاً شابة". ثمة مرارة وحزن في صوتها.

"ديانا"، تيبست اليدان اللتان على كتفيها. "تتوصلين إلى استنتاجات غريبة جداً. لا أظن أنكِ تفهمين". لكن كل شيء بدا مزيفاً. كان متعباً جداً ومنـــزعجاً جداً لتلفيق قصة مقبولة. شعر وكأنّ حياته كلها تنهار حوله. "كانت رحلة موتّرة للأعصاب، وكان اليوم سيئاً جداً، وأنت تعرفين ذلك بنفسك. بدأنا أنا والمرأة الشابة التحدث على الطائرة وفعلاً..."

"مارك توقف. لا أريد سماع ذلك". إنها تعرف ببساطة كل شيء. هذا كل شيء. ولا تريد تطمينات في شكل أكاذيب. "أرجوك. ليس الليلة".

"ديانا...". لكنه لم يستطع المتابعة. كان ليستطيع ذلك في وقت آخر، ولكن ليس الآن. لا يستطيع ببساطة اختراع قصة ملائمة. "أرجوك". التفت بعيداً حينها. لا يستطيع النظر إلى الألم في عينيها. "ليس الأمر فعلاً مثلما تظنين". لكنه كره نفسه على الكلمات. الأمر هو تماماً مثلما تظنه، بكل حذافيره. وهو يشعر الآن بأنه خائن لأنه أنكر شانتال. على كل حال، وقعت اللعنة عليه. "ليس الأمر كذلك".

"بلى هو كذلك، مارك. كان واضحاً مثل الشمس. ما من شيء تقوله لي سيغير ذلك. ما من شيء سيغير ما رأيته، وما شعرته، وما عرفته". كان ذلك



مثل السهم المصوب مباشرة إلى قلبها. "لا بد أنك اعتبرتني غبية طوال كل تلك السنوات".

"ما الذي يجعلك تظنين أنه مضت سنوات؟" *اللعنة* كيف تعرف؟

"الطريقة التي تحركتما بها، ومشيتما بها، والطريقة التي نظرت فيها إليك. يصعب التوصل إلى مثل هذا الارتياح خلال وقت قصير. بدوت متزوجاً منها أكثر مما كنت يوماً معي". لكنها تساءلت فجأة. ألم تبدو هي أيضاً متزوجة من بين؟ وخلال وقت قصير جداً. لكن حين عادت من المطار هذه الليلة، عرفت كل شيء؛ الغياب، البعد، الرحلات المستمرة، رقم الهاتف في باريس الذي يظهر غالباً في فاتورة الهاتف، القصص الغريبة التي لم تصدقها يوماً. واليوم، النظرة في عينيه. إن لم تكن هذه الفتاة، لا شك في أن هناك فتاة أخرى. منذ سنوات. إنها واثقة.

"ما الذي تريدين أن أقوله لك؟" واجهها مجدداً.

"لا شيء. لم يبقَ أي شيء لقوله".

"هل تقولين لي إن علاقتنا انتهت؟ إنك ستتركينني لأنكِ رأيتني في المطار مع فتاة؟ لكن هذا جنون. ديانا، أنت مجنونة".

"هل أنا كذلك؟ هل نحن سعيدان معاً؟ هل تستمتع برفقتي، مارك؟ هل تتوق للعودة إلى المنـــزل حين تكون بعيداً؟ هل السبب في أننا نملك علاقة متينة وعميقة، ونحترم احتياجات وفضائل ومشاعر بعضنا البعض. هل السبب في أننا سعيدان ربما مع بعضنا بعد كل تلك السنوات..."

"ربما لأنني ما زلت أحبك". فيما قال ذلك، امتلأت عيناه بالدموع، وأدارت هي رأسها.

"لا يهم إذا كنت تحبني". لقد فات الأوان الآن. مشى كل منهما في طريق منفصل.

"ماذا تقولين ديانا؟" أصبح شاحباً فجأة.

"لست واثقة تماماً. دعنا أولاً ننتهي من قصة بيلار. بعد ذلك، يمكننا التحدث بشأننا".

"سنحل المشكلة. أعرف ذلك". نظر إليها بعزم، وشعرت هي بالتعب يسيطر عليها كما لو أنه موجة اسمنتية.

"ما الذي يجعلك تظن ذلك؟ لماذا سنحل المشكلة؟"

"لأنني أريد ذلك". لكنه لم يكن واثقاً تماماً.

"حقاً؟ لماذا؟ لأنك تحب امتلاك زوجة وعشيقة؟ لا أستطيع لومك كثيراً. لا بد أن الوضع يريحك جداً".

"ديانا، توقفي!" تمدد وأمسك بذراعها، لكنها ابتعدت.

"أتركني لوحدي". للمرة الأولى في حياتها، كرهته، على ما هو، على ما فعله بها، على كل ما لم يفهمه، وعلى اللحظة المؤلمة التي وجدت فيها نفسها تتوق إلى بين. لكن هل مارك سيىء إلى هذه الدرجة؟ هل هي مختلفة أو أفضل؟ كان عقلها في دوامة. "لا أريد مناقشة هذه المسألة معك الليلة. لدينا ما يكفي في عقلينا. يمكننا مناقشة الأمر حين تصبح بيلار أفضل حالاً".

أومأ برأسه، مرتاحاً. إنه بحاجة إلى الوقت. عليه التفكير. عليه العثور على الكلمات الصحيحة لقولها. عليه تصحيح الأمور.

في تلك اللحظة، جاءت الممرضة إليهما عبر الممشى، ونسيا مشاكلهما فيما أسرعا صوبها.

"هل من تغيير؟" كان مارك أول من سأل.

"لا. لكنها مستيقظة. وهي تسأل عنكما. لماذا لا تتحدثان إليها قليلاً، ولكن احرصا على عدم إرهاقها. إنها بحاجة إلى القوة القليلة التي لا تزال لديها".

لاحظت ديانا تغيّراً طفيفاً في بيلار حين دخلا إلى الغرفة. لم يكن لونها أفضل، لكنّ عينيها كانتا أكثر حيوية. تحركتا بعصبية من وجه إلى آخر، كما لو أنهما تبحثان عن شيء، تفتشان هنا وهناك.



"مرحباً، حبيبتي. نحن هنا. لقد وصل البابا أيضاً". وقفت ديانا قربها، وربّتت على يدها برفق. حين أغمضت عينيها، تخيلت بيلار حين كانت طفلة صغيرة.

"هذا... جميل... جداً...". انتقلت عينا بيلار إلى والدها، وحاولت الابتسام لكنها كانت تتنفس بصعوبة، وتغلق عينيها بين الحين والآخر. "مرحباً، بابا.... كيف... حال... اليونان؟" بدت أكثر إدراكاً للأحداث الحالية مما كانت قبل فترة وجيزة، وبدت فجأة أكثر تململاً أيضاً. "أنا عطشانة..."

ألقت ديانا نظرة سريعة على الممرضة التي هزّت رأسها وأشارت بإصبعها. "لا".

"ماء؟"

"بعد قليل حبيبتي". تابعت ديانا التكلم بصوت حنون فيما وقف مارك قربها، متألماً. بدا أنه فقد كل قدرته على الكلام، واستطاعت ديانا الملاحظة من عينيه وشفته المرتجفة أنه كان يواجه معركة مستمرة في كبح دموعه.

"بخير؟" وأخيراً تكلم، وحاولت بيلار الابتسام مجدداً.

أومأت رأسها برفق. "بخير". لكن كيف يمكن أن تكون بخير وهي في هذه الحالة؟ ثم، وكأنها فهمت ما الذي يجري، نظرت إليه وحاولت العثور على الكلمات. "أنا... كنت... مسرعة جداً... إنها غلطتي بابا... ليست غلطتك...". أغلقت عينيها، وضغطت على يد ديانا. "أنا آسفة".

انهمرت الدموع على وجه مارك. استدار بعيداً بهدوء. بقيت عينا بيلار مغمضتين.

"لا تقلقي حبيبتي. لا يهم على من يقع اللوم. لكنّ أمك كانت محقة". ألقى نظرة سريعة على ديانا.

"ماما...؟" بدا أن صوتها يضعف أكثر فأكثر.

"هشش... لا تتكلمي".

"هل تذكرين المسرح الصغير الذي كنت أملكه... في الحديقة؟ أحلم.. دوماً في ذلك... وكلبـــي الصغير... أوغستين".

كان كلباً صغيراً مضحكاً، تذكرت ديانا، تم استبداله بكلب بلدوغ، ومن ثم بهرّة، وبعدها بعصفور، إلى أن اختفت الحيوانات أخيراً من المنـــزل. مارك إدوار لا يحب الحيوانات في منـــزله".

"إلى أين... أرسلت... أوغستين؟" لقد أعطوه لعائلة في الريف.

"ذهب إلى الريف. أظن أنه كان سعيداً جداً". قالت ديانا فيما بحثت عيناها عن عيني مارك. ماذا يعني ذلك؟ هل هي أفضل أو أسوأ؟ تذكرت فجأة الطفل الصغير الذي تحرك كثيراً بين ذراعيها قبل الساعات القليلة من وفاته. فيليب إدوار. هل الوضع مماثل الآن أم أن هذا دليل على تحسنها؟ لا يعرف أي منهما.

"ماما؟... هل أستطيع... استعادة... أوغستين؟... اسألي بابا...". أغلقت ديانا عينيها وأخذت نفساً عميقاً.

"سأتحدث إلى بابا".

امتلأت عينا مارك فجأة بالخوف. نظر إلى بيلار، ومن ثم إلى ديانا. "سنشتري لكِ كلباً، حبيبتي... سترين. كلب صغير جميل مع أذنين كبيرتين وذنب هزاز". كان يبحث عن أي شيء يستطيع العثور عليه في رأسه، لمجرد العثور على كلمات ولفظها من فمه.

"لكنني... أريد أوغستين". أصبح الصوت متذمراً الآن، وأشارت إليهما الممرضة بضرورة الابتعاد. خلدت بيلار إلى النوم مجدداً ولم تلاحظ أنهما تركا الغرفة.

أسرعا هذه المرة إلى الخارج، ولم يتفوها أولاً بأي شيء. ومن دون التفكير، بحثت ديانا عن يد مارك. "متى سيعود اللعين كيرشمان؟"

"قالوا بعد قليل. هل تظنين أنها أسوأ؟" أومأت ديانا برأسها. "تبدو



عصبية، متململة، قلقة".

"لكنها تتحدث. قد يكون ذلك علامة جيدة".

"ربما". قالت ديانا. لكن الرعب سيطر على قلبيهما معاً. وفيما مشيا في الرواق، وضع ذراعه حول كتفيها، لكنها لم تبعده. احتاجت فجأة إلى وجوده هناك، بقدر ما احتاج هو إليها. إنه الشخص الوحيد الذي يفهم، الذي يستطيع مشاركتها ما تشعر به، الذي يعرف.

"مارك؟" نظر إليها بعينين قلقتين، لكنها هزّت رأسها. انهمرت الدموع على وجهها، وأخذها بصمت بين ذراعيه. لا يملك أي شيء ليقوله، أية كلمة عزاء، وإنما فقط دموعه مضافة إلى دموعها.

مشيا في الرواق مجدداً، من أقصاه إلى أقصاه، سبع أو ثماني مرات إضافية، وجلسا أخيراً على كرسيين من الخشب. كانت عينا ديانا مليئتين بالتعب. حدّقت في حاشية تنورتها القشدية المجعدة.

"هل تذكر حين كانت في الخامسة واشترينا لها ذلك الكلب؟" ابتسمت لنفسها فيما تذكرت. لقد وضعا الجرو الصغير في جزمة وتركاه في خزانة بيلار، ثم طلبا منها أن تفتح الباب فوراً وتختار ثيابها بنفسها. وصدر الصوت من الجزمة. قفزت بيلار من الفرح.

ابتسم مارك لنفسه أيضاً عند تذكر ذلك. "سأذكر دوماً وجهها".

"وأنا أيضاً". نظرت ديانا إليه، مبتسمة عبر دموعها، وأخذت منديلاً لتنظيف أنفها. هذا غريب. قبل ساعة واحدة فقط، كانا يتشاجران وكانت تلمح إلى الطلاق. لكن هذا لا يهم الآن. فزواجهما ليس هو المهم، وإنما فقط صغيرتهما. مهما كان الألم الفاصل بينهما، لا يزالان يتشاركان بيلار. في تلك اللحظة تحديداً، كان مارك الشخص الوحيد الذي يفهم شعورها، وكانت هي الشخص الوحيد الذي يشاركه رعبه. كانا وكأنهما يمسكان بقوة ببعضهما البعض، من دون أن يفلتا بعضهما، ويتحركان باستمرار، ويتحدثان ويأملان

ويصليان... بحيث تبقى بيلار هناك ولا تموت أبداً. نظرت ديانا إلى مارك مجدداً، وربّت على يدها.

"حاولي الاسترخاء".

تنهدت مجدداً، ووضعت يداً فوق عينيها، لكن قبل أن تتكلم، جاءت إليهما الممرضة.

"يودّ الدكتور كيرشمان رؤيتكما. إنه الآن معها".

وقفا بسرعة، وركضا تقريباً إلى الغرفة، حيث كان الطبيب واقفاً أمام السرير، يراقب الفتاة والآلات بشكل متناوب.

"دكتور؟" كان مارك أول من تكلم.

بدا حزيناً. "أريد منحها المزيد من الوقت الإضافي. إذا لم تتحسن الأمور خلال ساعة، سأعيدها إلى غرفة العمليات وأرى ما يمكننا فعله".

"ما رأيك؟" أراد مارك كلمات، وعوداً، ضمانات منه.

"لا أعرف. إنها تكافح. لا أستطيع أن أقول لك أكثر من ذلك". كان باستطاعته أن يقول لهما مدى فرص نجاتها، لكن لا توجد أية فرص، ولذلك لم يتكلم. "هل تريدان الجلوس معها لبرهة؟"

"نعم". أجابت ديانا أولاً، وأخذت مكانها قرب رأس بيلار. انضم مارك إليها.

وقفا هناك لمدة ساعة تقريباً، فيما بيلار نائمة، تصدر أصواتاً غريبة، تتململ بين الحين والآخر، وتكافح للحصول على نفَس. وضع مارك يداً واحدة على السرير، وتلمّس الجسم الصغير الهش قربه، من دون أن تترك عيناه وجهها. أمسكت ديانا يدها، وانتظرت. شيئاً ما... أملاً. كادت الساعة تنتهي تقريباً حين استيقظت أخيراً.

"عطشانة..."

"بعد قليل، حبيبتي". كانت كلمات ديانا مثل همس ناعم تلفه ابتسامة.



لمست جبين الفتاة بيد خفيفة جداً. "خلال لحظة، حبي. والآن نامي. ماما وبابا هنا. نامي... ستشعرين بتحسن عما قريب".

ثم ابتسمت بيلار. كانت ابتسامة حقيقية، رغم الأنابيب، ومزقت قلبي ديانا ومارك.

"أشعر... بالتحسن... الآن".

"أنا مسرور حبيبتي. وستشعرين بتحسن أكبر غداً. ماما محقة". كان صوت مارك ناعماً مثل نسمة صيف. ابتسمت بيلار مرة جديدة، وأغمضت عينيها.

بعد برهة وجيزة، جاء الدكتور وطلب منهما الخروج.

همس إليهما أثناء خروجهما: "سنحضرها الآن للجراحة. يمكنكما العودة خلال برهة". شعرت ديانا الآن أن نفسها ينقطع، كما لو أنها تحتاج مثل بيلار إلى الكفاح للحصول على الهواء. كان الرواق بارداً جداً ومملاً جداً، وتوجب عليها تلمس دعم مارك. إنها الساعة الرابعة فجراً، ولم ينم أي منهما منذ يومين.

"قالت إنها تشعر بالتحسن". تشبث مارك ببصيص الأمل، وأومأت ديانا برأسها. "أظن أن لونها أصبح أفضل قليلاً الآن".

كانت ديانا على وشك قول شيء ما لكنّ الدكتور كيرشمان ظهر مجدداً وجاء نحوهما في الرواق.

"اللعنة. عليه قضاء وقته مع بيلار، وليس معنا". بدأ مارك بالتوجّه نحوه، لكنّ ديانا توقفت. عرفت ما حصل وأمسكت بيد مارك. عرفت، ولا تستطيع التقدم أكثر. لقد انتهى العالم. لقد ماتت بيلار.

# 17

كانت الشمس تشرق تقريباً حين غادرا المستشفى. احتاجا إلى أكثر من ساعة للتوقيع على الأوراق وإعداد الترتيبات. قرر مارك أنه يريد إقامة مراسم الجنازة في فرنسا. لم تهتم ديانا. لقد دفن أحد طفليها في كاليفورنيا، والآخر في فرنسا. لا يهم الآن. وشكت في أن بيلار نفسها تفضل ذلك. كان الدكتور كيرشمان لطيفاً ومتفهماً. لم يكن بوسعه فعل أي شيء. كانت متضررة كثيراً حين أحضروها إليه من جنوب فرنسا. كانت الضربة على رأسها قوية جداً، وتساءل كيف أنها لم تمت بعد لحظات من حصول الحادث. "آه... الدراجات!" قال فيما ارتعد مارك بوضوح.

قدموا لهما القهوة، لكنّهما رفضاها، وأخيراً أنهيا المعاملات. أمسك مارك بذراعها، وقادها ببطء إلى الشارع. شعرت وكأن دماغها توقف عن العمل خلال الساعة الأخيرة. لا تستطيع التفكير، أو التحرك، أو حتى الشعور. لقد أنجزت كل المعاملات بطريقة ميكانيكية، لكنها شعرت وكأنها ماتت هي أيضاً.

قادها مارك إلى سيارة الرينو الزرقاء الصغيرة وفتح لها الباب.

"لمن هذه السيارة؟" إنه سؤال غريب في مثل هذا الصباح، لكنّ عينيها حدقتا فيه بطريقة شاردة حين تكلمت.

"لا يهم. أدخلي. فلنعد إلى المنــزل". لم يشعر قبلاً بمثل هذا التعب، أو الضياع، أو الوحدة. لقد تحطمت كل آماله، وسعادته، وأحلامه. لا يهم الآن إذا كان يملك ديانا وشانتال. لقد خسر بيلار. انهمرت الدموع ببطء على وجهه مجدداً فيما أدار محرك السيارة، وتركها تنهمر هذه المرة بحرية. لا يكترث لأي شيء.



أرجعت ديانا رأسها في مقعدها، وأغمضت عينيها، وهي تشعر بعقدة في صدرها وغصة في حنجرتها. ثمة كمّ كبير من البكاء عالق هنا، لكنه لا يستطيع الخروج في هذه اللحظة.

اجتازا شوارع باريس ببطء، فيما كان عمال التنظيفات ينظفون الشوارع والشمس تشرق بقوة على الرصيف. كان يفترض أن يكون اليوم ممطراً وكثير الضباب، لكنه ليس كذلك، وجعلت الشمس القوية الرعب يبدو مثل الكذبة. كيف ترحل في يوم كهذا؟ لكنها رحلت... رحلت. استمرت هذه الفكرة في مطاردة رأس مارك إدوار - رحلت- فيما حدقت ديانا خارج النافذة من دون أن ترى أي شيء.

كانت الخادمة أمام الباب حين وصلا إلى شقة دوراس، وهي لا تزال ترتدي ثوب النوم. سمعت المصعد يصل إلى الطابق، وعرفت من وصل. نطق وجه مارك إدوار بكل شيء. بدأت تبكي بصمت.

"هل أوقظ السيدة؟"

هزّ مارك رأسه. لا جدوى من إيقاظها الآن. يمكن للخبر السيىء أن ينتظر.

"بعض القهوة، سيدي؟"

أومأ برأسه هذه المرة، وأغلق الباب بهدوء فيما وقفت ديانا في الداخل وهي تشعر بالضياع. نظر إليها لبرهة، ثم مسح عينيه، ومدّ لها يده. من دون أن تقول أي شيء، أمسكت بها، ثم مشيا ببطء نحو غرفتهما.

كانت الستائر مفتوحة، والنوافذ مغلقة، والسرير مرتباً، لكنّ ديانا لم تشأ الخلود إلى السرير. لا تستطيع مواجهة الأمر. لا تستطيع الاستلقاء هناك والتفكير. لا تستطيع تحمل فكرة أن بيلار ماتت. غاص مارك إدوار في كرسيه ووضع وجهه بين يديه. راح يبكي بصوت عالٍ. توجهت ديانا إليه، وأمسكت بكتفيه بين يديها، لكنها لا تستطيع فعل أي شيء آخر. وأخيراً، استنفد

كل البكاء وساعدته في الذهاب إلى السرير.

"يجدر بك النوم". همست له مثلما فعلت لبيلار.

"وأنت؟" كان صوته خشناً حين تحدث.

"سأفعل. لاحقاً. هل أحضرت حقيبة؟" نظرت حول الغرفة متفاجئة. لا يوجد أي من أشيائه.

"سأحضرها لاحقاً". أغلق عينيه. إحضار الحقيبة يعني رؤية شانتال. عليه أن يخبرها بشأن بيلار. وعليه أن يخبر أمه، وأصدقاءهما. لا يستطيع تحمل ذلك. إخبار الآخرين سيجعل الأمر حقيقياً. عادت الدموع إلى عينيه مجدداً. وأخيراً، خلد إلى النوم.

وحدها ديانا شربت القهوة حين وصلت. أخذت فنجانها إلى الصالون، حيث جلست لوحدها، تنظر إلى سطوح المنازل في باريس، تفكر في ابنتها. شعرت بالسلام فيما جلست هناك، تفكر وتنظر إلى سماء الصباح المشرقة. كانت بيلار تمثل العديد من الأشياء، ولم تكن العلاقة سهلة معها خلال السنوات الأخيرة، لكنها كانت ستكبر في النهاية. وكانتا ستصبحان صديقتين... ستصبحان. يصعب تخيل ذلك. شعرت وكأن بيلار لا تزال هنا، قربها، ولم تمت أبداً. يصعب التخيل أنه لم يعد بإمكانهما التكلم، أو الضحك، أو النقاش. لن تترك بيلار خصلاتها الطويلة الذهبية تنسدل بحرية على شعرها، ولن تومض تلك العينان الزرقاوان للحصول على ما تريده، ولن يختفي خفّ ديانا بعد الآن، ولن يختفي أحمر شفتيها، ولن يختفي فستانها المفضل مع أفضل معطف لديها... حين فكّرت في ذلك، انهمرت الدموع أخيراً بموجات كبيرة. عرفت أخيراً أن بيلار لم تعد موجودة.

"ديانا؟" إنها المرأة العجوز، واقفة وسط الغرفة، تبدو مثل التمثال في فستانها الكحلي. "بيلار؟"

هزّت ديانا رأسها، وأغمضت عينيها. اتكأت السيدة دوراس على كرسي.

"أوه، يا الله... أوه، يا الله... الله". ثم نظرت حولها، وانهمرت الدموع



على وجنتيها. "أين هو مارك؟"

"نائم، حسبما أظن. في السرير". أومأت حماتها بصمت، وغادرت الغرفة بهدوء. ما من شيء تستطيع قوله، لكن ديانا كرهتها مرة جديدة لأنها لم تحاول حتى. إنها خسارتها هي أيضاً، لكنّها تدين لديانا ببعض الكلمات على الأقل.

عادت ديانا إلى غرفتهما على رؤوس أصابعها. خشيت إيقاظ مارك، وفتحت الباب بهدوء. لا يزال نائماً، يشخر بهدوء. حين راقبته هذه المرة، لم يعد يبدو شاباً. بدا وجهه كله مترهلاً نتيجة الحزن وحتى في نومه استطاعت ديانا أن تلاحظ أنه غير مرتاح.

جلست لبرهة، تراقبه، متسائلة عما سيحدث، عما سيفعلانه. لقد تغير الكثير خلال يوم. بيلار. المرأة التي رأتها معه في المطار. أدركت الآن من أين حصل على السيارة وأين ترك حقيبته. أرادت أن تكرهه على ذلك، لكنها الآن لم تعد تهتم. أدركت فجأة أنه عليها الاتصال ببين. ألقت نظرة سريعة على الساعة، وأدركت أنها الساعة الثامنة والنصف. إنه منتصف الليل في سان فرانسيسكو. ربما لا يزال مستيقظاً، وعليها الاتصال به الآن، إذا استطاعت.

مررت يداً في شعرها، وارتدت سترتها مجدداً، وأمسكت بحقيبتها. ستجري الاتصال من مكتب البريد المجاور الذي يجري فيه السكان الباريسيون اتصالاتهم إذا كانوا لا يملكون هواتفَ. لا تريد أن يظهر رقم هاتفه على فاتورة حماتها.

شعرت بالخدر فيما نزلت في المصعد الصغير ثم مشت مسافة مبنى واحد للوصول إلى البريد. لا تستطيع تحريك قدميها بسرعة ولا تستطيع إبطاء خطواتها أكثر. استمرت في المشي وفق الوتيرة نفسها، مثل الآلة، إلى أن وصلت إلى كشك الهاتف في مكتب البريد وأقفلت الباب وراءها.

رنّ الرقم مرتين فقط، وكان الاتصال سريعاً. شعرت بنفسها ترتجف فيما انتظرت، ثم سمعت صوته. بدا نائماً، وأدركت حينها أنه في السرير.

"بين؟"

"ديانا؟ حبيبتي، هل أنتِ بخير؟"

"أنا..."، ثم توقفت الكلمات. لا تستطيع قول المزيد.

"ديانا؟"

كانت ترتجف بشدة، عاجزة عن الكلام.

"أوه، حبيبتي.. هل..؟ هل حالها سيئة؟ كنتُ أُفكّر فيك كل دقيقة، منذ أن غادرتِ". لكنّ الصوت الوحيد الذي أجابت به ديانا كان بكاء قصيراً متقطعاً. "ديانا! أرجوك حبيبتي، حاولي أن تهدئي وتحدثي إليّ". لكنّ الخوف سيطر عليه فجأة. "يا الله، ديانا... هل؟" أصبح صوته خافتاً فجأة.

"أوه، بين، لقد ماتت هذا الصباح". وللحظة أخرى طويلة، لم تستطع التفوه بأية كلمة أخرى.

"أوه، يا رب، حبيبتي. هل أنتِ لوحدك؟ أين أنتِ؟"

"في مكتب البريد".

"أوه، بحق الله، ماذا تفعلين هناك؟"

"أردتُ الاتصال بك".

"هل... هل هو في باريس أيضاً؟"

"نعم". حاولت التقاط أنفاسها مجدداً. "لقد وصل إلى هنا الليلة الماضية".

"أنا آسف جداً، بشأنكما".

بكت مجدداً. تستطيع مع بين التعبير عن نفسها بحرية، تستطيع التمدد إليه لتظهر إليه كم هي بحاجة له. لكنها تبقى دوماً حاجزاً مع مارك. عليها أن تعيش وفق ما يتوقعه هو، وأن تكون مثلما يريد هو.

"هل تريدين أن آتي إليك؟ أستطيع أن آخذ أول طائرة في الصباح".

وفعل ماذا، تساءلت. لقد فات الأوان بالنسبة إلى بيلار. "أودّ ذلك، لكنّ هذا غير منطقي كثيراً. سأعود إلى المنـــزل خلال يومين".

"هل أنتِ متأكدة؟ لا أريد أن أكون مشكلة، لكنني أستطيع الذهاب فوراً



إذا كان هذا يساعد. هل تريدين؟"

"كثيراً". ابتسمت عبر دموعها. "لكن من الأفضل ألا تفعل".

"و... كل شيء آخر؟" حاول ألا يبدو قلقاً أو غاضباً.

"لا أعرف. علينا أن نتحدث".

عرف أنها كانت تتكلم عن مارك. "حسناً، لا تقلقي بشأن ذلك الآن. تجاوزي فقط هذه المحنة، ويمكننا بعدها القلق بشأن الباقي. هل... هل ستقام المراسم هنا؟"

"الجنازة؟" أرادت أن تموت حين لفظت الكلمة. ارتجفت يدها بقوة. شدّت قبضتها على سماعة الهاتف. "لا، مارك يريد إجراء الجنازة هنا. لا يهم. أظن أن بيلار تفضل ذلك أيضاً. على كل حال، سأعود إلى المنـــزل في غضون يومين أو ثلاثة".

"أتمنى لو أنني أستطيع توفير كل ذلك عليك".

"إن..."، لكنها لم تستطع التكلم لبرهة. "... لا تهتم. سأكون بخير". لكن هل ستكون بخير؟ ليست أكيدة. لم تشعر يوماً بهذا الاضطراب في حياتها.

"حسناً، تذكري أنه إذا احتجت إليّ، فسآتي. لن أذهب إلى أي مكان خلال الأيام القليلة المقبلة من دون أن أترك رقماً بحيث يمكنك العثور دوماً عليّ. اتفقنا؟"

"اتفقنا". حاولت الابتسام فيما قالت ذلك، لكنّ الجهد الذي بذلته جعلها تبكي أكثر. "هل يمكنك... هل يمكنك... الاتصال..؟"

"بكيم؟"

"نعم". كان صوتها حزيناً.

"سأتصل بها على الفور. والآن، أريدك أن تعودي إلى المنـــزل، وتحصلي على قسط من الراحة. حبيبتي، لا يمكنك قهر نفسه. عليك

الاستراحة. نامي لبعض الوقت. وما إن تعودي إلى هنا، سنذهب إلى كارمل. مهما كلف الأمر. لا أهتم لما سيحصل بعد ذلك، لكنكِ ستأتين إلى كارمل معي. سنمشي على الشاطئ، ونكون معاً".

أصبحت تبكي بقوة الآن. لن يكونا مع بعضهما مجدداً. لن تمشي أبداً على ذلك الشاطئ مجدداً، أو على أي شاطئ آخر. ستبقى عالقة في هذا الكابوس، لوحدها، إلى الأبد.

قال لها بين: "ديانا، أصغي إليّ، هلاّ فكّرت في كارمل الآن، وتذكرت كم أحبك؟"

أومات برأسها بحزن، وهي لا تزال عاجزة عن لفظ الكلمات.

"حبي، أنا معك في كل لحظة. كوني قوية، حبيبتي، أحبك".

"أحبك أنا أيضاً". لكنّ صوتها كان مثل الهمس فيما أقفلت سماعة الهاتف، ثم مشت نحو المكتب، وسددت الفاتورة للمرأة الجالسة أمام المكتب، وأغمي عليها على الأرض الباردة.



# 18

"أين كنتِ بحق السماء؟" كان مارك جالساً في غرفة الجلوس وهو يبدو أشعث ومضطرباً حين عادت. "غبت ساعات طويلة". إنه اتهام باطل. كان يحدق فيها، بعينيه الحمراوين، من فوق فنجان القهوة. بدت أفضل قليلاً، لكنها في الواقع أسوأ كثيراً. "أين كنتِ؟"

"ذهبت للتنـــزه قليلاً. أنا آسفة. احتجت إلى بعض الهواء". وضعت حقيبتها على كرسي. "كيف حال أمك؟"

"يمكنك تصور حالها. اتصلت بالطبيب قبل نصف ساعة، وأعطاها حقنة. لن تستيقظ ربما قبل الظهر".

حسدتها ديانا لبرهة. يا لها من طريقة سهلة للهروب. لكنها لن تعبر بالكلمات عما تشعر به. سألت بدل ذلك: "وأنت؟"

"علينا فعل الكثير اليوم". نظر إليها بحزن ثم لاحظ اللطخات على تنورتها. "ماذا حصل؟ هل وقعت؟"

أومأت برأسها، ونظرت بعيداً. "لا بد أنني متعبة. تعثرت قدمي. لا شيء مهم".

دنا منها، ووضع ذراعه حولها. "عليكِ الذهاب إلى السرير".

"سأفعل. لكن ماذا عن الترتيبات؟"

"سأهتم بذلك. لستِ مضطرة للاهتمام بأي شيء".

"لكنني أريد...". شعرت فجأة أنها فقدت السيطرة مجدداً.

"لا. أريدك أن تحصلي على قسط من النوم". قادها إلى غرفة النوم،

ووضعها على السرير. "هل يجدر بـي إحضار الطبيب لك؟" هزّت رأسها، ثم استلقت، ونظرت إليه بعينين حزينتين مزقتا قلبه. "ديانا..."

"ماذا عن صديقتك؟"

وقف والتفت بعيداً. "لا تهتمي لذلك".

"قد لا يكون الوقت ملائماً الآن، لكن علينا التحدث في الموضوع عاجلاً أم آجلاً".

"ربما لا".

"ماذا يعني ذلك؟" حدّقت فيه بقساوة كبيرة. التفت ليواجهها.

"يعني ذلك أن المسألة لا تعنيكِ. وأنا سأبذل ما بوسعي لتسوية الأمور".

"إلى الأبد؟"

بدا متردداً لبرهة طويلة، ثم أومأ برأسه بهدوء، من دون أن تتركها عيناه. "نعم".

سمعت شانتال صوت مفتاحه يدخل في الباب فيما خرجت من الحمام. لم تجرؤ على الاتصال بالمنـزل في شارع فرانسوا الأول، ولم يفلح اتصالها الأخير بالمستشفى إلا في إعطائها معلومات بأن بيلار لا تزال على حالها. كانت تنوي الاتصال مجدداً ما إن تشرب القهوة، لكنّ مارك إدوار وصل قبل أن تتصل، وهو يبدو كأنه لم ينم طوال الليل. نظرت إليه شانتال وابتسمت له من باب الحمام. كانت تجفّف ساقها بمنشفة صفراء باهتة.

"صباح الخير، حبيبي. كيف حال بيلار؟" وقفت بتعبير جاد، وهي تمسك المنشفة بيدها. ثمة شيء في عينيه أخافها فجأة. أغلق عينيه وغطاهما لبرهة بيد واحدة. بدا أن وقتاً طويلاً مضى قبل أن ينظر إليها مجدداً.

"لقد ماتت. في الرابعة فجراً من صباح اليوم". جلس على كرسي في غرفة الجلوس، وجاءت إليه شانتال بسرعة، بعد أن سحبت ثوباً وردياً شاحباً



كان معلقاً على جدار الحمام.

"أوه، مارك إدوار... أوه، حبيبي. أنا آسفة جداً". ركعت قربه، وشدّته برفق بين ذراعيها، وطوّقت كتفيه، وأمسكت به كما لو أنه ولد صغير. "أوه، حبيبـي المسكين، مارك إدوار. يا للفظاعة..."

لكنه لم يبكِ هذه المرة، وإنما جلس فقط، وأغمض عينيه وهو يشعر بالارتياح لأنه هنا.

أرادت أن تسأله ما إذا كان هناك خطب آخر. إنه سؤال غبـي جداً نظراً لما حصل هذا الصباح، لكنه بدا غريباً ومختلفاً بالنسبة إليها. إنه الإرهاق والصدمة ربما. ابتعدت عنه لبرهة فقط حتى سكبت له فنجان قهوة، ثم جلست مجدداً أمام قدميه، وجسدها ملتف على السجادة البيضاء، فيما الفستان الوردي يخفي فقط الأنحاء الضرورية، ويترك ساقيها عاريتين. كان يحدق فيها فيما أشعلت سيجارة. "هل أستطيع القيام بشيء؟"

هزّ رأسه. "شانتال، رأتنا ديانا الليلة الماضية. جاءت إلى المطار للقائي، لكنها رأتنا نخرج معاً من الطائرة. وعرفت. النساء لا يخطئن في هذا المجال. قالت إنها عرفت من طريقة تحركنا، وأدركت أننا نعرف بعضنا منذ وقت طويل".

"لا بد أنها امرأة ذكية جداً". تمعنت فيه شانتال، متسائلة عما سيقوله.

"إنها ذكية جداً بطريقتها الخاصة".

"وماذا قالت؟"

"لم تقل أشياء كثيرة، ليس بعد. لقد حصلت أشياء كثيرة، لكنها أميركية. لا تتساهل في مثل هذا النوع من الأمور. لا تفعل ذلك أية واحدة منهن. تؤمن النساء الأميركيات في الإخلاص الأبدي، في الزواج المثالي، في الأزواج الذين يغسلون الأطباق، والأولاد الذين يغسلون السيارات، والعائلة التي يذهب كل أفرادها إلى دار العبادة يوم الأحد، والعيش بسعادة إلى الأبد حتى يصبح

عمرهم مئة وتسعة أعوام". بدا حزيناً ومتعباً.

"وأنت؟ هل تؤمن بذلك؟"

"إنه حلم جميل على كل حال. لكن ليس حقيقياً جداً. تعرفين ذلك مثلي".

"إذاً، ماذا سنفعل؟ أو بالتحديد ماذا ستفعل أنت؟" لم تشأ سؤاله هي أو أنا، لكنها عرفت أنه يفهم تماماً قصدها.

"لا يزال الوقت مبكراً، شانتال. انظري إلى ما حصل للتو. وهي في حالة مريعة. كل شيء مضطرب فيها".

"لا تزال المصيبة جديدة".

أومأ برأسه دليل الموافقة ونظر بعيداً. لقد جاء إلى هنا ليقول وداعاً لشانتال، لإنهاء العلاقة، ليشرح لها أنه لا يستطيع فعل ذلك بديانا؛ لأنهما خسرا للتو ابنتهما الوحيدة. لكن حين نظر إليها، وجلس قربها، كل ما أراده هو الاقتراب منها، وأخذها بين ذراعيه، وتمرير يديه فوق كل جسمها، والإمساك بها قربه، الآن وإلى الأبد، مجدداً ومجدداً. كيف يمكنه التخلي عما أحبه كثيراً ويحتاج إليه كثيراً؟

"بماذا تفكر مارك إدوار؟" رأت العذاب في وجهه.

"فيكِ". قال ذلك بنعومة، وهو ينظر إلى يديه.

"بأية طريقة".

"كنت أفكر"، نظر إلى عينيها مجدداً، "أنني أحبك وأريد الآن أكثر من أي شيء آخر أن أمارس الحب معكِ".

جلست تراقبه لبرهة طويلة، ثم وقفت، وأمسكت بيده. أخذته ولحق بها بصمت إلى غرفة النوم. ابتسمت فيما نزع الفستان الوردي عن كتفيها.

"شانتال، هل تعرفين كم أحبكِ".

وخلال الساعتين التاليتين، أظهر لها ذلك بكل الوسائل التي يملكها.



# 19

كانت الجنازة مختصرة، ورسمية، ومؤلمة. ارتدت ديانا فستاناً عادياً من الصوف الأسود، ووضعت قبعة صغيرة سوداء مع خمار. أما والدة مارك فارتدت ثياب الحداد مع جوارب سوداء، فيما ارتدى مارك نفسه بذلة داكنة اللون وربطة عنق سوداء. جرت الجنازة وفق النمط الرسمي للتقاليد الفرنسية داخل دار عبادة صغير ومرتب في الدائرة السادس عشرة الباريسية، وتولت جوقة مدرسة الرعية إنشاد التراتيل. كان الجو مؤلماً جداً حين صدحت أصوات الأولاد خلال التراتيل، وحاولت ديانا يائسة ألا تسمع. لكن لا مجال لتفادي ذلك. لقد أنجز مارك كل شيء على الطريقة الفرنسية؛ خدمة الجنّاز، الموسيقى، التأبين، المقبرة الريفية الصغيرة مع كاهن آخر، ومن ثم اجتماع الأصدقاء والأقارب في المنــزل. كان يوماً حافلاً جداً مع جولات لامتناهية من مصافحات الأيدي، والتعازي، والشروحات، والأسى المشترك. بالنسبة إلى البعض، إنها بلا شك طريقة مريحة للندب بهذه الطريقة، لكنها لم تكن كذلك بالنسبة إلى ديانا. شعرت مرة أخرى أن بيلار سُرقت منها، لكن الأمر لم يعد مهماً هذه المرة. هذه المرة الأخيرة. اتصلت ببين من المنــزل.

"أنا آسفة. لن أطيل الكلام. لكنني أردت فقط التحدث إليك. أنا في المنــزل".

"وهل أنتِ بخير؟"

"لا أدري. أظن أنني مخدرة. يبدو الأمر أشبه بالسيرك. توجب عليّ التشاجر معهم بشأن التابوت المفتوح. لكنني ربحت هذه المعركة الحمد لله".

لم يحب نبرة صوتها. بدت عصبية، ومتعبة، ومتوترة. لكن هذا ليس

مفاجئاً في مثل هذه الظروف. "متى ستعودين؟"

"في وقت ما خلال اليومين المقبلين، أتمنى ذلك. لكنني لست واثقة. سنناقش الأمر الليلة".

"أرسلي لي برقية حين تعرفين".

أصدرت تنهيدة صغيرة. "سأفعل. أظن أنه عليّ العودة الآن إلى الاحتفالات الرسمية".

"أحبك ديانا".

"وأنا أيضاً". خافت من لفظ الكلمات، خشية أن يدخل أحد إلى الغرفة، لكنها عرفت أنه سيتفهم.

عادت إلى الخمسين أو ستين شخصاً الذين كانوا يتجولون في غرف منـــزل حماتها، يثرثرون، ويتحدثون، ويناقشون بيلار، ويعزّون مارك. لم تشعر ديانا يوماً بأنها غريبة بقدر ما شعرت اليوم. مضت ساعات عديدة قبل أن ترى مارك مجدداً. وجدها أخيراً في المطبخ، تحدق في جدار خارج النافذة.

"ديانا؟ ماذا تفعلين هنا؟"

"لا شيء". نظرت عيناها الكبيرتان والحزينتان إليه. إنه يبدو أفضل حالاً، فيما هي تبدو أسوأ حالاً يوماً بعد يوم. لم تكن تشعر أيضاً أنها على ما يرام، لكنها لم تذكر الأمر أمام مارك ولم تخبره أنه أغمي عليها مرتين خلال الأيام الأربعة الماضية. "أقف هنا لالتقاط أنفاسي".

"أنا آسف لأنه كان يوماً طويلاً جداً. لم تكن أمي لتتفهم لو فعلنا الأمر بطريقة مغايرة".

"أعرف. أفهم".

فجأة، عند النظر إليه، أدركت أنه يفهم هو أيضاً وأنه يستطيع إدراك العبء المفروض عليها. "مارك، متى ستعود إلى المنـــزل؟"

"إلى سان فرانسيسكو؟" سألها. أومأت برأسها. "لا أعرف. لم أفكر أبداً في الأمر. هل أنتِ مستعجلة؟"



"أريد العودة. الأمر أصعب... عليّ هنا".

"حسناً. لكن لديّ عمل يجب إتمامه هنا، وأحتاج إلى أسبوعين إضافيين على الأقل".

أوه، يا الله، لا. لا تستطيع الصمود أسبوعين إضافيين تحت سقف منـــزل حماتها؛ ومن دون بين. "ما من سبب يدفعني إلى البقاء، أليس كذلك؟"

"ماذا تقصدين؟ تريدين العودة إلى المنـــزل لوحدك؟" بدا يائساً. "لا أريدكِ أن تفعلي هذا. أريد أن أذهب إلى المنـــزل معك". لقد فكّر قبلاً في ذلك. سيكون صعباً جداً عليها أن تعود إلى المنـــزل لوحدها: غرفة بيلار، كل أغراضها. لا يريد ذلك. عليها أن تنتظره.

"لا أستطيع الانتظار أسبوعين". بدت مسعورة عند سماع الفكرة، ولاحظ هو مرة جديدة كم هي مرهقة ومتعبة.

"سنرى".

"مارك، عليّ العودة إلى المنـــزل". ارتجف صوتها وارتفع قليلاً.

"حسناً، لكن هل تفعلين شيئاً لي في البداية؟"

"ماذا؟" نظرت إليه بغرابة. ماذا يريد؟ كل ما تريده هو الهروب.

"هل تذهبين معي بعيداً ليومين؟ إلى أي مكان لقضاء نهاية الأسبوع. في مكان هادئ، حيث نستطيع أن نرتاح نحن الاثنان. علينا التحدث. لم نتمكن من ذلك هنا، ولا أريدك أن تعودي قبل أن نتحدث. بهدوء. لوحدنا. هل تفعلين ذلك كرمى لي؟"

انتظرت برهة طويلة، ونظرت إليه. "لا أعرف".

التفتت بعيداً للتحديق في سطوح المنازل مجدداً. كانت تُفكّر في بين وكارمل. لكنها لا تملك الحق في استعجال العودة إلى المنـــزل حتى تشعر بالتحسن. إنها تدين بشيء ما لزواجهما، حتى ولو ليومين فقط. التفتت للنظر إلى مارك، وأومأت رأسها ببطء. "حسناً، سأذهب".

# 20

"اللعنة! ماذا تتوقعين مني. توفيت ابنتي قبل ثلاثة أيام، وتريدين مني أن أقول لديانا إنني أريد الطلاق؟ ألا يبدو لكِ هذا أمراً متسرعاً نوعاً ما، شانتال؟ وهل فكّرت في أنكِ تنتهزين الوضع لمصلحتكِ بطريقة غير منصفة؟" شعر أنه ممزق بين امرأتين وعالمين. أحسّ مرة جديدة بنوع ضغط غريب من شانتال، بنوع من الابتزاز العاطفي أنبأه بأنه سيتحول إلى كارثة إذا عانت شانتال من خسارة. تريد كلتا المرأتين منه أن يتخذ خياراً، خياراً مؤلماً. أدرك ذلك جيداً هذا الأسبوع. بدت ديانا وكأنها ستكون سعيدة إذا تركته الآن. لكن عليها أن تسامحه على ما رأته في المطار ليلة موت بيلار. وهو لا يريد أن يخسر ديانا. إنها زوجته، وهو يحتاج إليها، ويحترمها، وهو معتاد عليها. وكانت هي آخر رابط له ببيلار. إنّ ترك ديانا أشبه بترك المنــزل. لكنه لا يستطيع التخلي أيضاً عن شانتال؛ فهي إثارته، وشغفه، ومتعته. نظر إلى شانتال بيأس، ومرر يده في شعره. "ألا تفهمين؟ لا يزال الوقت باكراً جداً!"

"لقد مضت خمسة أعوام. وهي تعرف الآن. ولم يعد الوقت مبكراً جداً. إنه الوقت المثالي ربما".

"بالنسبة إلى من؟ إليك؟ اللعنة، شانتال، كوني صبورة قليلاً. دعيني أفرز الأمور".

"وكم سيستغرق ذلك؟ خمس سنوات إضافية، فيما تعيش أنت هناك وأعيش أنا هنا؟ يفترض بك العودة خلال أسبوعين، ومن ثم ماذا؟ ماذا عني؟ أجلس هنا أنتظرك لشهرين إضافيين حتى تعود؟ وبعد؟ كنت في الخامسة والعشرين حين التقينا، وأنا الآن في الثلاثين تقريباً. سأصبح في الخامسة



والثلاثين، والسابعة والثلاثين، والخامسة والأربعين. يمرّ الوقت بسرعة. خصوصاً هكذا. يمضي بسرعة كبيرة كبيرة".

عرف أن هذا صحيح، لكنه ليس في مزاج جيد. "اسمعي، هل نستطيع تأجيل ذلك لبعض الوقت؟ لمجرد اللياقة، أودّ الانتظار حتى تتعافى هذه المرأة من خسارة ابنتها قبل أن أدمر حياتها". كره شانتال لبرهة. لأنه يهتم، لأنه لا يريد خسارتها؛ ولأن هذا يعطيها السيطرة.

وعرفت هي ذلك. "ما الذي يجعلك تظن أن تركك لها سيدمر حياتها؟ ربما لديها عشيق".

"ديانا!؟ لا تكوني سخيفة. أظن في الواقع أنك سخيفة في كل هذه المسألة. سأذهب بعيداً في نهاية الأسبوع. لدينا الكثير من الأشياء لمناقشتها. سأتحدث إليها. سأرى كيف هي الأمور. وبعدها، سأتخذ الخطوة الصحيحة".

"وما هي تلك الخطوة؟"

تنهد قليلاً، وشعر فجأة أنه عجوز جداً. "الخطوة التي تريدينها".

لكن حين أوقف سيارة أجرة بعد ساعتين للعودة إلى منــزل أمه حيث تنتظر ديانا، وجد نفسه يتساءل. لماذا تفرض شانتال ذلك عليه؟ أولاً الجدل حول الكاب أنتيب، ثم تلك الليلة المرعبة التي عاد خلالها ليجد أنها رحلت- ربما إلى الأبد- حين توقفت عن تناول الأنسولين. والآن هذا. لكن لماذا؟ لماذا الآن؟ لم يفهم شيئاً لسبب غريب، وأراد العودة بسرعة إلى ديانا وحمايتها من عالم سيكون قاسياً جداً.

غادرا إلى الريف في الصباح. كانت ديانا هادئة على نحو غريب فيما خرجا من المدينة. جلست تائهة في أفكارها. أراد اصطحابها إلى مكان محايد، حيث لن تكون هناك ذكريات من بيلار. لقد عانى كلاهما ما فيه الكفاية في منــزل أمه. عرض عليه صديقه منــزله الريفي، قرب درو.

ألقى نظرة سريعة على ديانا، ثم أعاد تركيز انتباهه على الطريق، لكنه وجد نفسه يُفكّر في شانتال مجدداً. لقد تحدث إليها هذا الصباح قبل أن يغادرا:

"هل ستخبرها في عطلة نهاية الأسبوع هذه؟"

"لا أعرف. سأرى. إذا سببت لها انهياراً عصبياً، لن يكون ذلك مفيداً لأي منا". لكن شانتال بدت وقحة وطفولية. فجأة، وبعد سنوات طويلة من الصبر، أصبحت خارجة عن السيطرة. لكنها كانت محور حياته خلال الأعوام الخمسة الماضية. لا يستطيع التخلي عنها. لكن هل يستطيع التخلي بسهولة عن ديانا؟ ألقى نظرة سريعة عليها مجدداً. لا تزال عيناها مغلقتين ولم تتفوه بأية كلمة. هل يحبها؟ لطالما ظن ذلك، لكنه لم يعد واثقاً تماماً بعد الصيف مع شانتال. يستحيل عليه أن يعرف، أن يدرك، أن يفهم؛ وها هي شانتال تضغط عليه الآن. لقد وعد ديانا قبل يومين أنه سينهي العلاقة مع شانتال، وقد قال الوعد نفسه الآن لعشيقته بشأن ديانا.

"هل المكان بعيد جداً؟" فتحت ديانا عينيها، لكنها لم تحرك رأسها. شعرت بثقل كبير نتيجة الإرهاق الذي سيطر عليها طوال أيام.

"لا. سنصل بعد ساعة تقريباً. والمنـــزل جميل. لم أذهب إلى هناك منذ أن كنتُ صغيراً، لكنه كان دوماً منــزلاً جميلاً". ابتسم لها. ثمة هالات تحت عينيها. "ديانا، تبدين متعبة جداً".

"أعرف. قد أرتاح قليلاً في نهاية الأسبوع هذه".

"ألم تأخذي بعض الأقراص المنوّمة من طبيب أمي؟" طلب منها فعل ذلك في آخر مرة جاء فيها الطبيب إلى المنـــزل.

هزّت رأسها. "سأعالج المشكلة بنفسي". أبدى تعجباً في وجهه، وللمرة الأولى، ابتسمت.

وصلا قبل أن تتفوه بأية كلمة أخرى. إنه بالفعل مكان جميل، منـــزل من الحجر القديم مميز بمساحته الكبيرة، وهو على شكل قصر تقريباً، محاط



بحدائق رائعة. وفي البعيد، امتدت أشجار فاكهة لمسافة أميال طويلة.

"إنه جميل، أليس كذلك؟" قال ذلك بتردد، والتقت أعينهما.

"جداً. شكراً لأنكَ فعلت ذلك". وفيما باشر في إحضار الحقائب، قالت له مجدداً، بصوت هامس تقريباً: "أنا مسرورة لأننا جئنا".

"وأنا أيضاً". نظر إليها بحذر شديد، وابتسم كل منهما للآخر.

أدخل الحقائب إلى المنـــزل، ووضعها في الردهة الأساسية. كان الأثاث انكليزياً وفرنسياً ريفياً بمعظمه، وكل شيء في الغرف يعود للقرن السابع عشر حين تم تشييد المنـــزل. تجولت ديانا في الممرات الطويلة، ونظرت إلى الأرضيات الجميلة، وحدقت خارج النوافذ الطويلة للنظر إلى الحدائق. توقفت أخيراً في نهاية ممشى، في حجرة زجاجية مشمسة مليئة بالنباتات والكراسي المريحة. جلست على إحدى الكراسي، وحدقت بصمت في الأرض. مضت فترة قبل أن تسمع خطوات مارك في الممشى.

"ديانا؟"

"أنا هنا".

دخل إلى الغرفة، ووقف قرب الباب لبرهة، وهو ينظر إلى الخارج مع بعض النظرات الخاطفة إلى زوجته.

"هذا جميل، أليس كذلك؟" قال وهو شارد الذهن، ونظرت هي إليه. "إنه جميل".

أومأت برأسها. "أفهم. مارك؟" لم تشأ سؤاله، لكن توجب عليها فعل ذلك. وعرفت أنه لن يكون مسروراً. "كيف حال صديقتك؟"

لم يجب لوقت طويل. "لا أعرفِ ما الذي تقصدينه".

"بلى، تعرف". شعرت بالغثيان فيما نظرت إلى عينيه. "هل قررت معالجة المسألة؟"

"ألا تظنين أن الوقت لا يزال مبكراً على مناقشة ذلك؟ لقد نزلنا للتو من

السيارة".

ابتسمت له. "كم هذا فرنسي. ما الذي يخطر في بالك، عزيزي؟ أن نمضي عطلة نهاية الأسبوع بطريقة عادية ثم نناقش المسألة في طريق العودة ليلة الأحد؟"

"لم أحضرك إلى هنا لهذا السبب. كنا بحاجة نحن الاثنان للابتعاد".

أومأت برأسها مجدداً، وامتلأت عيناها بالدموع. "نعم، هذا صحيح". عاد عقلها فوراً إلى بيلار. "لكن علينا التحدث بشأن ذلك أيضاً. هل تعرف، أتساءل فجأة عن سبب استمرار زواجنا". نظرت إليه مجدداً. دخل إلى الغرفة، وجلس ببطء.

"هل أنتِ مجنونة؟"

"ربما". بحثت عن منديل، ومسحت أنفها.

"ديانا، أرجوكِ..." ألقى نظرة سريعة عليها، ثم نظر بعيداً.

"ماذا؟ تريد الادعاء أن شيئاً لم يحدث؟ مارك، لا نستطيع". لقد حصل الكثير خلال الصيف. تعرفت هي إلى بين، كما أنها تعرف الآن أن لمارك عشيقة. لكن في حالة مارك، العلاقة قائمة ربما منذ سنوات.

"لكن ليس عليك القلق بشأن هذه المسألة الآن".

"وهل من وقت أفضل؟ لقد عشنا نحن الاثنان الكثير من الألم، ونستطيع المضي قدماً. إذا لم نفعل، سيستمر الأمر في إيلامنا إلى الأبد، فيما نحاول نحن الادعاء أنه غير موجود".

"هل أنتِ غير سعيدة منذ وقت طويل؟"

أومأت رأسها ببطء، والتفتت للنظر إلى الخارج. كانت تفكر في بين. "لم أدرك قبل هذا الصيف كم كنت وحيدة... كم هي قليلة الأشياء التي فعلناها معاً، كم تشاركنا القليل فقط. كم أنك لا تفهم ما أريده".

"وما الذي تريدينه؟" كان صوته منخفضاً وناعماً جداً.



"وقتك، حنانك. ضحك، نزهات على الشاطئ...". قالت العبارة الأخيرة من دون تفكير، ثم أدارت رأسها نحوه متفاجئة. "أريدك أن تهتم لعملي، لأنه مهم لي. أريد أن أكون معك، مارك. وليس لوحدي في المنــزل. ماذا تظن أنه سيحصل الآن، بعد رحيل بيلار؟ ستسافر لأشهر، وماذا أفعل أنا؟ أجلس هناك في انتظارك؟" مجرد التفكير في ذلك جعلها ترتعد من الداخل. "لم يعد بوسعي فعل ذلك. لا أريد ذلك".

"إذاً ما الذي تقترحينه؟" أرادها أن تقول ذلك، أرادها أن تطلب منه الطلاق.

"لا أعرف. ربما علينا الانفصال، أو إذا قررنا البقاء متزوجين، يجب أن تصبح الأمور مختلفة، خصوصاً الآن". يا الله، ما الذي تفعله؟ إذا بقيت معه، لا يمكنها الحصول على بين. لكنّه زوجها والرجل الذي عاشت معه ثمانية عشر عاماً.

"هل تقولين إنكِ تريدين السفر معي؟" بدا منــزعجاً.

"ولمَ لا؟ إنها تسافر معك، أليس كذلك؟" فهمت ديانا المسألة أخيراً. "فلماذا لا أستطيع أنا؟"

"لأن... لأن هذا غير منطقي. وغير عملي. ومكلف". ولأنه لا يستطيع حينها اصطحاب شانتال.

"مكلف؟" رفعت ديانا حاجبها مع ابتسامة خبيثة. "أوه، أوه. هل تدفع هي تكاليفها؟"

"ديانا! لن أناقش هذا معك!"

"إذاً، لماذا جئنا إلى هنا؟" أصبحت عيناها غاضبتين في ذلك الوجه الأبيض النحيل.

"جئنا إلى هنا لنرتاح". إنها كلمات الملك، مِلكها هي. لقد أغلق الموضوع الآن.

"أفهم. إذاً، كل ما علينا فعله هو إنهاء نهاية الأسبوع، والتصرف بتهذيب، والعودة إلى باريس والادعاء أن شيئاً لم يحصل. تعود إلى صديقتك الصغيرة، وبعد أسبوعين نعود إلى الولايات المتحدة، وتستمر الأمور كالمعتاد. وكم ستبقى هناك هذه المرة، مارك؟ ثلاثة أسابيع؟ شهر؟ ستة أسابيع؟ ثم ترحل مجدداً، ولكم من الوقت، ومع من، فيما أجلس بمفردي في ذلك المتحف اللعين الذي نعيش فيه، أنتظرك حتى تعود. لوحدي مجدداً. لوحدي!"

"ليس هذا صحيحاً".

"بلى إنه صحيح، وأنت تعرف هذا. وما أقوله لك الآن هو أنني سئمت. بالنسبة إليّ، لقد انتهت تلك الأيام". وقفت فجأة، وكانت على وشك مغادرة الغرفة، لكن حين وقفت على قدميها، شعرت بالإغماء. توقفت لبرهة، ونظرت إلى الأسفل، وأمسكت بكرسيها.

راقبها، ولم يقل أي شيء في البداية، ثم بدا القلق في عينيه. "هل من خطب؟"

"لا. لا شيء". وقفت جيداً، وحدّقت فيه بغضب من حيث وقفت. "أنا متعبة جداً فقط".

"إذاً اذهبــي وارتاحي. سأريك غرفتك". أمسكها بمرفقها حتى تأكد من أنها وقفت جيداً على قدميها، ثم قادها في الممر الطويل المؤدي إلى الطرف الآخر من المنــزل. دخلا إلى غرفة النوم الرئيسية، التي هي عبارة عن غرفة كبيرة مغطاة بالحرير التوتي والقشدي اللون. "لماذا لا تستلقين لبرهة، ديانا؟" أصبحت تبدو أسوأ حالاً. "سأقوم بنــزهة".

"ثم ماذا؟" نظرت إليه بيأس من السرير. "ثم نفعل ماذا؟ لا أستطيع الاستمرار في ذلك، مارك. لا أستطيع الاستمرار في اللعبة".

حاول القول "أية لعبة؟" لإنكار كل ذلك. لكنه لم يقل أي شيء، وتابعت ديانا وهي تنظر مباشرة إلى عينيه فيما تحدثت. بدت عيناها مضطربتين.



"أريد أن أعرف ما الذي تشعر به، ما الذي تُفكّر فيه، ماذا سنفعل. ما الذي سيكون مختلفاً معي، عدا عن حقيقة موت بيلار. أريد أن أعرف إذا كنت ستستمر في رؤية عشيقتك. أريد أن أعرف كل الأشياء التي تظن أن قولها فظ جداً. قلها الآن، مارك. أريد أن أعرف".

أومأ برأسه بصمت، وذهب إلى الجانب الآخر من الغرفة، ينظر إلى النافذة نحو الهضاب الجميلة. "لا يسهل عليّ التحدث عن مثل هذه الأمور".

"أعرف". كان صوتها ناعماً جداً. "في نصف الوقت الذي مضى على زواجنا، لم أكن واثقة من أنك تحبني".

"لطالما أحببتك". تحدث من دون الالتفات، وكل ما استطاعت رؤيته كان ظهره. "سأحبك دوماً، ديانا".

شعرت بالدموع في عينيها. "لماذا؟" بالكاد استطاعت لفظ الكلمة. "لماذا تحبني؟ لأنني زوجتك؟ نتيجة العادة؟ أو لأنك تهتم فعلاً؟" لكنه لم يجب، وإنما التفت فقط إليها، مع نظرة ألم في وجهه.

"هل يجدر بنا فعل ذلك؟ الآن... بعد فترة وجيزة... من موت بيلار؟" لم تجبه ديانا. بدا وجهه كله يرتجف حين تحدث عن بيلار. "ديانا، لا أستطيع".

ومن دون أية كلمة أخرى، خرج من الغرفة، ثم رأته بعد برهة يمشي في الحديقة، فيما رأسه منحنٍ إلى الأسفل. امتلأت عيناها بالدموع مجدداً فيما راقبته. بدت لها الأيام القليلة الماضية كأنها نهاية حياتها. ولم تفكر حتى في بين للحظة من اللحظات. فكّرت فقط في مارك.

عاد إلى المنــزل بعد ساعة، وحين فعل، وجدها نائمة. لا تزال علامات الإرهاق بادية حول عينيها المحاطتين بالهالات السوداء. وللمرة الأولى منذ سنوات، لم تكن تضع أي ماكياج، ورأى أن وجهها يبدو أخضر اللون تقريباً مقارنة مع شرشف الحرير التوتي الملقى على السرير. عاد مجدداً إلى الممشى، ودخل إلى مكتب مجاور. جلس هناك لبرهة، يحدق في الهاتف، ثم

بدأ بطلب رقم، كما لو أنه شعر بضرورة فعل ذلك.

أجابت بعد الرنة الثالثة. "مارك إدوار؟"

"نعم". توقف. "كيف حالك؟" ماذا لو استيقظت ديانا؟ لماذا اتصل بها؟

"تبدو غريباً. هل من خطب؟"

"لا، لا. أنا فقط متعب جداً. نحن الاثنان متعبان".

"هذا طبيعي. هل تحدثتما؟" كانت عديمة الشفقة. إنه جانب في شانتال لم يعرفه قبلاً.

"ليس تماماً. قليلاً فقط".

"أفترض أن هذا ليس سهلاً". استطاع سماع تنهيدتها.

"لا، ليس سهلاً". توقف. سمع خطوات في الممشى. "اسمعي، سأتصل بك لاحقاً".

"متى؟"

"لاحقاً"، أحبك".

"جيد، عزيزي. وأنا أيضاً".

أقفل السماعة بيد مرتجفة فيما اقتربت الخطوات. لكنه الخادم، جاء ليرى إذا كانا مرتاحين. عاد الرجل وابتعد، فيما جلس مارك ببطء على كرسي. لن ينجح الأمر أبداً. لا يمكنه الاستمرار في هذه الدوامة إلى الأبد. الاتصال بشانتال. تهدئة ديانا. التنقل دوماً بين كاليفورنيا وفرنسا، الاختباء وإيجاد الأعذار، وإغراق المرأتين بالهدايا نتيجة الإحساس بالذنب. ديانا محقة. كان الأمر مستحيلاً طوال أعوام. لا شك في أن ديانا لم تكن تعرف حينها، لكنها الآن تعرف مما يجعل كل شيء مختلفاً. يجعله ذلك يشعر بسوء كبير. أغمض عينيه، وعاد عقله مجدداً إلى بيلار، إلى آخر مرة رآها فيها. حين مشيا على الشاطئ. مازحته وضحك هو، وطلب منها أن تعده بتوخي الحذر على الدراجة النارية. وضحكت هي مجدداً... علقت الدموع في حنجرته مجدداً، وامتلأت



الغرفة فجأة بصوت البكاء. لم يسمع حتى ديانا وهي تأتي، وتمشي بقدمين حافيتين. توجهت إليه ببطء، وأمسكت بكتفيه المرتجفتين بين ذراعيها.

"كل شيء على ما يرام، مارك. أنا هنا". انهمرت الدموع على وجهها هي أيضاً، واستطاع الإحساس بالرطوبة الدافئة عبر قميصه فيما وضعت وجنتها على ظهره. "كل شيء على ما يرام".

"لو تعرفين فقط كم كنت أحب بيلار... لماذا فعلت ذلك؟ لماذا اشتريت لها تلك الآلة اللعينة؟ كان يجدر بـي أن أعرف".

"لا يهم الآن. هذا قدر. لا يمكنك فعل ذلك بنفسك لبقية حياتك".

"لكن لماذا؟" امتلأت كلماته بالألم فيما التفت للنظر إلى زوجته. "لماذا هي؟ لماذا نحن؟ لقد خسرنا صبيين، والآن الابنة الوحيدة التي لدينا. ديانا، كيف تستطيعين تحمل ذلك؟"

أغمضت عينيها. "لا نملك أي خيار. ظننت... ظننت أنني كنت سأموت حين مات الطفلان... ظننت أنني لن أستطيع العيش يوماً آخر. أردت في كل يوم أن أستسلم وأختبئ في زاوية. لكنين لم أفعل... تابعت حياتي... نوعاً ما. بسببك أنت جزئياً. وبسبب نفسي جزئياً. ثم جاءت بيلار، ونسيت ذلك النوع من الألم. ظننت.. ظننت أنني لن أشعر أبداً بذلك مجدداً. لكنني أتذكر الآن ما هو ذلك الشعور. لكنه هذه المرة أسوأ بكثير". أخفضت رأسها، وتمدد هو وأخذها بين ذراعيه.

"أعرف. لو تعلمين فقط كم أتمنى الآن لو أننا كنا نملك هذين الصبيين. لم يعد لدينا أولاد". أومأت ديانا رأسها بصمت وهي تشعر أكثر من أي وقت مضى بألم كلماته. "أنا مستعد لفعل أي شيء لاستعادتها".

جلسا هناك لوقت طويل، يمسكان ببعضهما البعض. وأخيراً، ذهبا إلى الخارج للقيام بنـزهة. وحين عادا كان وقت العشاء قد حان.

"هل تريدين الذهاب إلى القرية لتناول الطعام؟" نظر إليها بحزن وتعب،

لكنها هزّت رأسها.

"لمَ لا أحضّر شيئاً هنا؟ هل يوجد أي طعام؟"

"قال الخادم إن زوجته تركت لنا بعض الخبز، والجبن، والبيض".

"ما رأيك في ذلك؟" أومأ بطريقة لامبالية. نزعت عنها الكنــزة التي ارتدتها خلال النــزهة الخارجية، ووضعتها على كرسي كبير من طراز لويس الرابع عشر، وتوجهت نحو المطبخ.

عادت بعد عشرين دقيق مع بيض مخفوق وتوست وجبن بري، وكوبين من القهوة الساخنة. تساءلت ما إذا كانا سيشعران بالتحسن بعد الأكل، وإذا كان هذا سيحدث أي فرق. طوال الأسبوع الذي مضى، طلب منهم الناس الأكل، كما لو أن هذا مفيد. لكنها لم تعد تهتم إذا أكلت أم لا. حضّرت العشاء لمارك ولأن هذا يلهيها بعض الشيء. بدا أن أياً منهما لا يريد التحدث، رغم أن هناك الكثير لقوله.

تناولا الطعام بصمت. وبعد الوجبة، ذهب كل منهما في طريق. ذهبت هي إلى الممرات الطويلة والقاعات الكبيرة لتأمل مجموعة اللوحات، فيما ذهب مارك إلى المكتبة. وفي الحادية عشرة، خلدا إلى السرير بصمت، وفي الصباح نهض هو من السرير ما إن تحركت ولم يتفوّه أي منهما بكلمة قبل الساعة الحادية عشرة. شعرت ديانا ببعض الدوار والانزعاج فيما جلست على الكرسي في غرفة النوم.

"هل من مشكلة؟" نظر إليها بقلق.

"لا. لا. أنا بخير".

"لا تبدين كذلك. هل أحضر لك بعض القهوة؟" مجرد التفكير في ذلك جعلها تشعر بالغثيان. هزّت رأسها بيأس تقريباً.

"لا، فعلاً. شكراً".

"هل تظنين أن هناك مشكلة؟ لا تبدين جيدة هذه الأيام".





حاولت الابتسام، لكنها كانت محاولة يائسة. "أكره قول ذلك عزيزي، ولكنك هكذا أنت أيضاً".

هزّ كتفيه. "ألا تعتقدين أنكِ تعانين من القرحة، ديانا؟" عانت من قرحة بعد وفاة طفلهما الأول، لكنّ القرحة لم تعاودها مجدداً فيما بعد. هزّت رأسها.

"لا أشعر بأي ألم. أنا مرهقة طوال الوقت، وأشعر بالدوار بين الحين والآخر. إنه التعب". تابعت قائلة، وأجبرت نفسها على الابتسام. "لا عجب في ذلك. لا يحصل أي منا على نوم كافٍ. ونعاني نحن الاثنان من اختلاف الوقت، والرحلات الطويلة، والصدمة... أفترض أنه من الغريب أننا لا نزال نقف على أقدامنا. أنا واثقة من أنني لا أعاني من أي شيء".

لكن مارك لم يوافقها الرأي. رآها تترنح قليلاً حين وقفت. يمكن للعواطف أن تسبب أشياء غريبة للشخص. جعله ذلك يُفكّر في شانتال مجدداً فيما اختفت ديانا في الحمام. أراد الاتصال بها مجدداً، لكنها تريد تقارير، تريد سماع أخبار، وهو لا يملك أي شيء ليقدمه لها، سوى أنه يمضي نهاية أسبوع مع زوجته؛ ويشعران بأنهما في الجحيم.

وقفت ديانا داخل الحمام ووجهها إلى الأعلى وجعلت الماء يجري على ظهرها. كانت تُفكّر في بين. إنها الثانية فجراً في سان فرانسيسكو، وهو نائم على الأرجح. استطاعت رؤية وجهه بوضوح في سريره، مع شعره المبعثر، ويده على صدره، فيما اليد الأخرى ترتاح في مكان ما على جسمها... لا، إنه ربما في كارمل، ووجدت نفسها تفكر في عطلات نهاية الأسبوع هناك. كم هذا مختلف عن هذه الأيام مع مارك. بدا وكأنه لم يعد لديهما أي شيء هي ومارك لقوله. لديهما الماضي فقط.

أخيراً، أقفلت دش المياه، ووقفت تفكر لبرهة، تنظر عبر النوافذ المفتوحة إلى الحديقة، فيما جففت نفسها بمناشف سميكة توتية اللون. هذا المنــزل مختلف جداً عن كارمل. قصر في فرنسا، ومنــزل صغير في كارمل. حرير توتي اللون، وأقمشة صوفية قديمة مريحة. فكّرت في البطانية الناعمة على

سرير بين الريفي وتذكرت الشرشف الحريري المجعد في الغرفة الأخرى. إنه مثل التناقض بين حياتيها. هناك، الحقيقة السهلة والبسيطة للحياة مع بين في "ديمقراطيته" حيث تناوبا في إعداد الفطور ووضع النفايات أمام باب المنــزل، وهنا الروعة الأبدية الفارغة لحياتها مع مارك. مررت فرشاة في شعرها، وأصدرت تنهيدة طويلة.

في غرفة النوم المجاورة، كان مارك يقرأ الصحيفة عابس الوجه. "هل تذهبين معي إلى دار العبادة؟" الجريدة فيما خرجت هي من الحمام، وثوبها ملفوف حولها بإحكام، ووقفت أمام الخزانة. أومأت برأسها، وأخرجت تنورة سوداء وكنــزة. إنهما يرتديان ثياب الحداد الرسمية، الثياب السوداء الحالكة التي لا تزال معتمدة في فرنسا. الشيء الوحيد الذي حذفته هو الجوارب السوداء التي ارتدتها حماتها.

بدت ديانا بسيطة على نحو غريب في الثياب السوداء، فيما شعرها مربوط إلى الخلف في جديلة عند أسفل عنقها. ومرة جديدة، لم تضع أي ماكياج. بدا وكأنها لم تعد تهتم أبداً.

"تبدين شاحبة جداً".

"إنه التباين مع كل ذلك الأسود".

"هل أنتِ واثقة؟" حدّق فيها لبرهة قبل أن يغادرا المنــزل، لكنها اكتفت بالابتسام. تصرّف وكأنه خائف من أن تموت، لكنه قد يكون خائفاً فعلاً من ذلك. لقد خسرا الكثير.

توجها بصمت إلى دار العبادة الريفي الصغير. جلست ديانا بهدوء على المقعد قرب مارك. كان دار العبادة، الصغير والمرتب والدافئ، مليء بالمؤمنين، مع بعض الغرباء مثلهما، الذين قدموا من باريس. تذكرت فجأة أنهما في فصل الصيف، ولم تحل بعد نهاية أغسطس. سيحلّ يوم العمل قريباً في الولايات المتحدة، مخبراً بقدوم الخريف. لقد اختفى إدراكها للوقت خلال الأسبوع الأخير. لم تستطع تركيز انتباهها على خدمة الحفل الديني. فكّرت في



كارمل، وبين، ومارك، ومن ثم بيلار. فكّرت في النــزهات الطويلة في الأرياف حين كانت صغيرة، ثم حدّقت في الجهة الخلفية لرأس أحدهم. الجو خانق في دار العبادة الصغير هذا، وطال الحفل الديني كثيراً. أخيراً، لمست ذراع مارك برفق. بدأت تهمس له أنها تشعر بدفء كبير، لكنّ وجهه اختفى فجأة من أمام عينيها وأصبح كل شيء مظلماً.

# 21

"مارك؟" تمددت نحوه فيما حاول هو ورجل آخر نقلها إلى السيارة.

"إهدئي عزيزتي. لا تتكلمي". كان وجهه شاحباً ورمادياً تقريباً.

"أنزلني. أنا بخير. حقاً".

"لا تهتمي لذلك". شكر الرجل الذي ساعده في نقلها إلى السيارة، واستوضح منه مرة جديدة عن مكان أقرب مستشفى.

"لماذا؟ لا تكن مجنوناً. أغمي عليّ لأن الجو كان حاراً جداً".

"لا، لم يكن حاراً. كان بارداً. ولن أناقش الأمر". أغلق الباب عليها، وذهب للجلوس وراء المقود.

"مارك، لن أذهب إلى المستشفى". وضعت يدها على ذراعه. توسلته عيناها، لكنه هزّ رأسه. كانت شاحبة جداً. أدار السيارة.

"لا أهتم لما لا تريدين الذهاب". كان وجهه صارماً. لا تريد الذهاب إلى المستشفى مجدداً، ولا تريد سماع تلك الأصوات، أو تنشق تلك الروائح حوله. أبداً... أبداً... شعر أن قلبه يخفق بسرعة. ماذا لو كان الأمر خطيراً؟ ماذا لو كانت مريضة جداً؟ ماذا لو... ألقى نظرة سريعة عليها مجدداً، محاولاً إخفاء خوفه، لكنها كانت تنظر بعيداً وتحدق في المشاهد الريفية. ألقى نظرة خاطفة على وجهها، ثم على كتفيها ويديها وكل شيء آخر مغطى بالأسود. مظهر صارم وقاس. إنه يجسد كل شيء يحصل معهما الآن، كل شيء قالاه. لماذا لا يستطيعان الهروب منه؟ لماذا لا تكون مجرد نهاية أسبوع في الريف، يعودان منها مرتاحين وسعيدين بملاقاة بيلار مع تلك الابتسامة الساحرة على وجهها.



نظر إلى ديانا مرة جديدة وأصدر تنهيدة. لفتها الصوت فأبعدت عينيها عن الطريق.

"لا تكن سخيفاً مارك. أنا فعلاً بخير".

"سنرى"

"هلاّ عدنا من فضلك إلى باريس؟" ارتجفت يدها فيما وضعتها فوق يده، ونظر إليها بقوة مجدداً. باريس وشانتال. نعم، يريد العودة. لكن عليه أن يتأكد أولاً من أن ديانا بخير.

"سنعود إلى باريس بعدما يعاينك طبيب". كانت على وشك الاحتجاج مجدداً، لكنّ موجة من الدوار سيطرت عليها. أرجعت رأسها على المقعد. نظر إليها بعصبية، وضغط على دواسة الوقود. لم تقل أي شيء، فهي لا تملك القوة.

مضت عشر دقائق أخرى قبل أن يصلا أمام مبنى صغير كتب عليه مستشفى سان جيرار. من دون أية كلمة، خرج مارك من السيارة، وتوجه بسرعة إلى بابها. لكن حين فتح لها الباب، لم تبذل ديانا أية حركة للخروج.

"هل تستطيعين المشي؟" بدا الرعب في عينيه مجدداً. ماذا لو كانت هذه بداية سكتة دماغية؟ ماذا سيفعل حينها؟ ستصبح مشلولة وسيضطر للبقاء معها دوماً. لكن هذا جنون. إنه يريد البقاء مع ديانا، أليس كذلك؟ تسارع نبضه فيما ساعدها على الخروج من السيارة. كانت على وشك إخباره مجدداً بأنها على ما يرام. لكنهما يعرفان جيداً الآن أنها ليست كذلك. أخذت نفساً عميقاً، ووقفت مع ابتسامة صغيرة. أرادت أن تثبت له أنها قادرة على ذلك، وأن هذا مجرد تعب في الأعصاب. وفيما مشيا نحو المستشفى، شعرت لبرهة أنها أفضل حالاً، وتساءلت عن سبب قدومهما. مشت حتى لدقيقة واحدة في مشيتها الاعتيادية السهلة. وحين أوشكت على التبجح بذلك أمام مارك إدوار، مرّ قربها رجل عجوز جالس على كرسي نقال. كان عجوزاً وكثير التجاعيد، وفاحت

منه رائحة بشعة، فيما كان فمه مفتوحاً ووجهه مترهلاً. مدت يدها نحو مارك ووقعت على الأرض.

صرخ بصوت عالٍ، وأمسكها بين ذراعيه. ركضت إليه ممرضتان ورجل يرتدي معطفاً أبيض. وفي أقل من دقيقة، وضعوها على طاولة في غرفة صغيرة تفوح منها رائحة التعقيم، واستيقظت مجدداً. نظرت حولها لبرهة، مرتبكة. ثم رأت مارك، وهو يقف مرعوباً في الزاوية.

"أنا آسفة، لكن ذلك الرجل..."

"هذا يكفي"، اقترب منها مارك ببطء ورفع يده. "لم يكن الرجل العجوز، ولا الحرارة في دار العبادة". وقف قربها، بجسمه الطويل والنحيل وبدا فجأة عجوزاً جداً. "دعينا نعرف ما المشكلة. اتفقنا؟" لم تجب فيما أومأ له الطبيب برأسه وغادر الغرفة.

ذرع الممشى جيئة وذهاباً، ينظر بغرابة إلى المكان ويحدق في الهاتف. هل يجدر به الاتصال بها؟ ولماذا يفعل؟ ما الفرق الذي سيحدثه ذلك؟ من سيرى؟ لكنه لا يشعر برغبة في ذلك الآن. أفكاره مع ديانا. إنها زوجته منذ ثمانية عشر عاماً. لقد خسرا للتو ابنتهما الوحيدة. والآن، ربما... لا يستطيع تحمل الفكرة. مرّ أمام الهاتف مرة جديدة، من دون أن يتوقف هذه المرة.

مضت ساعات قبل أن تأتي طبيبة شابة إليه.

ثم عرف. وعرف أنه يستطيع إخبار ديانا الحقيقة. أو يستطيع أن يكذب عليها؛ كذبة صغيرة. تساءل ما إذا كان يجدر به فعلاً إخبارها، والقول لها إنه يعرف، أو إذا كانت ديانا تدين له بشيء ما.





# 22

جلست ديانا منتصبة في سريرها وهي تبدو شاحبة أكثر من الجدار الأصفر وراء رأسها. "أنت مخطئ. إنها كذبة".

كان مارك يحدق فيها، ويكشف عن ابتسامة صغيرة جداً. "لست كذلك حبيبتي. وبعد ستة أشهر، ستواجهين صعوبة كبيرة في إقناع أي كان بعكس ذلك، حسبما أظن".

"لكن هذا مستحيل".

"ولمَ لا؟" فتشت عيناه في وجهها.

"أنا كبيرة جداً لأصبح حاملاً، بحق السماء".

"في السابعة والثلاثين؟ لا تكوني سخيفة. يمكنكِ ربما إنجاب طفل في أي وقت تشائين خلال الخمس عشرة سنة المقبلة".

"لكنني كبيرة جداً". كانت تحدّق فيه وتبدو على وشك البكاء. لماذا لم يخبروها هي أولاً ويعطوها الوقت لاستيعاب الصدمة قبل أن تضطر إلى مواجهة مارك؟ لكن لا، ليست هذه الطريقة المتبعة في فرنسا، حيث يكون المريض دوماً آخر من يعلم بأي شيء. وتستطيع تخيل السيناريو الذي ابتكره مارك: رجل مصمم، رجل مهم يجب إطلاعه على حالة زوجته أولاً. لا يريد إزعاج زوجته، فقد شهدا الكثير من المآسي أخيراً...

"حبيبتي، أرجوك لا تكوني حمقاء"، قال لها مارك. وقف وتوجه إلى قرب السرير حيث وضع يده برفق على رأسها، ومررها ببطء في شعرها الحريري الأسود الطويل. "لستِ كبيرة جداً على ذلك. هل أستطيع الجلوس؟"

سألها. أومأت برأسها، وجلس على حافة السرير.

"لكن... شهرين؟" نظرت إليه بعينين مليئتين باليأس. أرادته أن يكون طفل بين. لقد فكّرت في ذلك هي أيضاً للمرة الأولى قبل خلودها إلى النوم. خطرت الفكرة في بالها ودرستها ملياً، لكن حين خلدت إلى النوم، تساءلت فجأة عن الدوار والغثيان والرغبة المستمرة في النوم. كل ما استطاعت التفكير به هو بين. لا تريده أن يكون طفل مارك. نظرت إليه الآن بخيبة أمل وألم. حامل منذ شهرين يعني أنه طفل مارك وليس طفل بين.

"لا بد أن هذا حصل في الليلة التي سبقت سفري. وداع صغير".

"ليس هذا مضحكاً". ملأت الدموع عينيها. إنها غير مسرورة البتة. إنه يفهم الآن أكثر مما تظن هي. لكنه يعرف الآن أنه لا يوجد فقط رجل آخر، وإنما أيضاً رجل تحبه. لا يهم. ستنساه. عليها فعل شيء مهم خلال الأشهر القليلة المقبلة. إنها تدين بطفل لمارك. "لا أفهم".

"حبيبتي، لا تكوني ساذجة".

"لم أحمل منذ أعوام. لماذا الآن؟"

"هكذا تحصل الأمور في بعض الأحيان. على كل حال، لا يحدث ذلك أي فرق. نحن نحصل على فرصة جديدة تماماً؛ عائلة أخرى، طفل آخر".

"لدينا ولد". بدت مثل فتاة صغيرة ساذجة فيما شبكت ساقيها في سرير المستشفى، ومسحت دموعها براحة يدها. "لا أريد المزيد من الأولاد". *على الأقل ليس منك*. إنها تعرف الحقيقة الآن هي أيضاً. لو كانت تحبه فعلاً، لرغبت في طفله. لكنها لا تفعل. إنها تريد طفلاً من بين.

بدا مارك مسروراً وصبوراً بشكل مؤلم. "من الطبيعي أن تشعري بهذه الطريقة في البداية. كل النساء هكذا. لكن حين يصبح... هل تذكرين بيلار؟"

لمعت عينا ديانا في عينيه. "نعم، أذكر بيلار، والآخرين. لقد فعلت ذلك مارك. لا أريد ذلك مجدداً. لماذا؟ للمزيد من حسرة القلب والمزيد من الألم؟



لكي لا تكون هنا لثمانية عشر عاماً إضافية؟ في عمري، هل تتوقع مني أن أربي طفلي لوحدي؟ وطفل هجين آخر، نصفه أميركي ونصفه فرنسي؟ تريدني أن أعيش كل ذلك مجدداً، وأتنافس معك على حب طفلنا؟ اللعنة، لا أريد ذلك".

"لا شك في أنك ستفعلين". كان صوته هادئاً وصلباً مثل الفولاذ.

"لست مضطرة لذلك!" أصبحت تصرخ عليه الآن. "لسنا في العصور الغابرة! أستطيع الإجهاض إذا أردت ذلك".

"لا، لا يمكنك".

"بلى أستطيع".

"ديانا، لن أناقش هذا معك. أنت منزعجة". أصبحت مستلقية الآن في سريرها، تبكي على الوسادة. "منزعجة" لا تتطابق أبداً مع ما تشعر به. "ستعتادين على الفكرة. ستصبحين مسرورة".

"هل تقصد أنني لا أملك أي خيار، هذا ما تريد قوله؟" حدّقت فيه. "ماذا ستفعل بي إذا تخلصت من الطفل؟ هل تطلقني؟"

"لا تكوني سخيفة!"

"لا تستفزني".

"لا أستفزك. أنا سعيد". نظر إليها مع ابتسامة ومدّ ذراعيه، لكن ظهر شيء مختلف في عينيه. لم تأتِ إليه. بعد برهة، أخذ يديها ووضعهما على شفتيه. "أحبك ديانا. وأريد طفلنا. طفلنا. أنا وأنت".

أغمضت عينيها، وكادت ترتعد فيما قال ذلك. كانت هكذا قبلاً. لكنه لم يقل أي شيء، وإنما وقف وأخذها بين ذراعيه، وربّت على شعرها بسرعة. ثم ابتعد. شاهدته وهو يرحل ويبدو شارداً.

بقيت لوحدها في الظلمة، وبكيت قليلاً متسائلة عما يجدر بها فعله. لقد غيّر هذا كل شيء. لماذا لم تعرف؟ لماذا لم تحزر؟ كان يجدر بها تصور

الأمر قبلاً، لكن الدورة الشهرية فاتتها مرة واحدة فقط، وظنّت أنه توتر الأعصاب، ثم جاء افتتاح المعرض، والممارسة المستمرة مع بين، وخبر بيلار، الرحلة... فكّرت أنها مسألة أسبوعين فقط. لكن شهرين؟ كيف حصل ذلك؟ ويعني ذلك أنها كانت حاملاً من مارك طوال الوقت الذي كانت فيه مع بين. إن السماح للطفل بالبقاء الآن في أحشائها يعني إنكار كل شيء فعلته مع بين وتمزيق قلبها. هذا الطفل هو توكيد لزواجها من مارك.

استلقت مستيقظة في سريرها طوال الليل. في صباح اليوم التالي، أخرجها مارك إدوار من المستشفى. عادا مجدداً إلى باريس، إلى منـــزل أمه، قبل أن يغادر هو في اليوم التالي إلى أثينا. "هذا هو. سأغيب لخمسة أو ستة أيام. بعد ذلك، سأسوّي كل شيء في اليونان. وبعد أسبوع من الآن، نغادر باريس ونعود إلى المنـــزل، ونبقى هناك".

"ماذا يعني ذلك؟ أبقى أنا هنا وتسافر أنت؟"

"لا. يعني ذلك أن أبقى هناك قدر ما أستطيع".

"خمسة أيام في الشهر؟ خمسة أيام في السنة؟ شيء من هذا القبيل"؟ حدّقت في النافذة فيما طرحت عليه السؤال. شعرت وكأنه حكم عليها بأن تعيد شريط حياتها الزوجية خلال الثمانية عشر عاماً الماضية. "متى سأراك مارك؟ مرتين في الشهر لتناول العشاء، حين تكون في المدينة، ولست مجبراً على تناول العشاء في مكان آخر؟"

"لن أكون هكذا ديانا. أعدكِ".

"ولِمَ لا؟ لطالما كنت هكذا قبلاً".

"كان ذلك مختلفاً. تعلمت شيئاً الآن".

"حقاً؟ ماذا؟" بدت حزينة فيما راقبته، لكنّ صوته كان ناعماً وحزيناً حين تحدث واستمر في التحديق في الطريق.

"تعلمت كم أن الحياة يمكن أن تكون قصيرة، وكم تمضي بسرعة. لقد



تعلمنا ذلك مرتين قبلاً، لكنني نسيت. الآن أعرف. تذكرت مجدداً". هزّت ديانا رأسها، ولم تقل أي شيء. لكنه عرف أنه حقق مراده. "بعد بيلار، والآخرين، هل يمكنك فعلاً إجهاض هذا الطفل؟"

شعرت بالصدمة لأنه قرأ أفكارها ولم تجب لوقت طويل. "لست أكيدة".

"أنا واثق تماماً. سيدمرك ذلك". أخافتها نبرة صوته. ربما يعرف. "الذنب، الألم العاطفي، ستنتهين. لن تتمكني بعدها من التفكير أو العيش أو الحب، أو حتى الرسم مجدداً. أؤكد لكِ ذلك". أرعبتها الفكرة وكان محقاً ربما. "لا تملكين المزاج لتكوني باردة الأعصاب إلى هذا الحدّ".

"بكلمات أخرى"، قالت متنهدة، "لا أملك خياراً".

لم يجب.

كانا في السرير في التاسعة والنصف من تلك الليلة، ولم يتفوها بأي شيء آخر. قبّلها برفق على جبينها حين ترك الغرفة. سيأخذ سيارة أجرة إلى المطار.

"سأتصل بك كل ليلة". بدا قلقاً وإنما أيضاً مسروراً، واختفى ذلك القلق المرعب من عينيه، فيما بقي فقط الحزن الكبير على بيلار. "أعدكِ، حبيبتي، سأتصل بك كل ليلة". كرر ذلك، لكنها نظرت بعيداً.

"هل ستسمح لك؟" حاول تجاهل الملاحظة، لكنها نظرت إليه مباشرة من السرير. "سمعتني مارك. أفترض أنها ستكون معك، أليس كذلك؟"

"لا تكوني سخيفة. إنها رحلة عمل".

"ألم تكن كذلك في المرة الأخيرة؟"

"أنتِ منـــزعجة. لماذا لا نتوقف؟ لا أريد التشاجرَ معك قبل أن أغادر".

"لماذا لا؟ هل تخاف أن أخسر الطفل؟" أرادت في لحظة مجنونة أن تقول له إن هذا الطفل ليس طفله، لكن الأسوأ من ذلك أن هذا الطفل فعلاً طفله إذا مضى على حملها شهران.

"ديانا، أريدك أن ترتاحي خلال غيابي". نظر إليها بقلق أبوي، وأرسل لها قبلة، وأغلق الباب بهدوء.

استلقت هناك لبرهة، تستمع إلى الأصوات في منــزل حماتها. لا يعرف أحد بالخبر لغاية الآن. إنه سرهما مثلما أسماه مارك.

حين استيقظت في صباح اليوم التالي، كان المنــزل ساكناً. استلقت في السرير لوقت طويل، تفكر وتتساءل عما يجب فعله. يمكنها الذهاب إلى سان فرانسيسكو فيما مارك في اليونان، ويمكنها الإجهاض والتحرر، لكنها أدركت حقيقة ما قاله لها. الإجهاض سيدمرها بقدر ما يدمره. لقد عانت الكثير من الخسارة حتى الآن. وماذا لو كان محقاً؟ ماذا لو كانت هذه هدية من الله؟ ماذا لو... ماذا لو كان الطفل من بين؟ سطع نور أمل خفيف ثم اختفى. شهران، حسبما قال، وأومأت لها الطبيبة الشابة دليل الموافقة. لا يمكن أن يكون الطفل من بين.

ستستلقي إذاً على شرشف الحرير البيج لمدة أسبوع، تنتظر عودة مارك لاصطحابها إلى المنــزل حتى يباشرا مجدداً الدوامة نفسها. شعرت بالخوف يغزوها عند التفكير في ذلك، وأرادت فجأة الهروب. نزلت عن السرير، وثبتت نفسها لبرهة بعد موجة دوار، ثم ارتدت ثيابها بهدوء. عليها الخروج، القيام بنــزهة، التفكير.

جالت في الشوارع التي لا تعرفها جيداً، واكتشفت حدائق ومساحات أعجبتها. جلست على المقاعد، وابتسمت للمارة، للسيدات العجائز اللواتي يضعن قبعات كبيرة، والرجال المتقدمين في السن الذين يلعبون الشطرنج، والأولاد الذين يثرثرون مع أصدقائهم، وفتاة تجرّ عربة دمية هنا وهناك. فتاة؛ بدون جميعاً في الحادية أو الثانية والعشرين وليس في السابعة والثلاثين. راقبتهن ديانا فيما ارتاحت. طلب منها الطبيب أن ترتاح، وتقوم بنــزهات، كما طلب منها الطبيب أن ترتاح فيما تقوم بالنــزهات. أن تخرج من



المنــزل، ولكن في الوقت نفسه أن تعود لأخذ قيلولة. ألا تفوت وجبات الطعام ولا تستيقظ حتى وقت متأخر من الليل، وستشعر بالتحسن بعد أسابيع قليلة. لقد أصبحت فعلاً أفضل حالاً. وفيما مشت في شوارع باريس، توقفت مراراً وفكّرت. في بين. لم تتصل به منذ أيام.

كان الوقت متأخراً بعد الظهر حين توقفت أخيراً أمام مكتب بريد. لا تستطيع البقاء بعيدة لوقت أطول. أعطت المرأة الرقم، وأومأت لها متفاجئة "أميركا؟" مضت أقل من دقيقة قبل أن تسمعه يجيب على الهاتف. إنها الساعة الثامنة صباحاً عنده.

"هل كنت نائماً؟" بدا صوتها قوياً على رغم مسافة الستة آلاف ميل.

"تقريباً. استيقظت للتو". جلس بين في السرير مع ابتسامة. "متى ستعودين إلى هنا".

أغمضت عينيها، وكبحت الدموع في عينيها. "قريباً". *مع مارك وطفله*. شعرت باختناق كبير في حنجرتها. "أنا مشتاقة إليك كثيراً". بدأت الدموع تنهمر بهدوء على وجهها.

"ليس بقدر ما أنا مشتاق إليكِ حبيبتي". أصغى محاولاً أن يسمع. ثمة شيء لا تقوله، شيء لا يفهمه. "هل أنت بخير؟" عرف أنها لا تزال حزينة على بيلار، لكنه شعر أن ثمة شيئاً إضافياً. "ماذا؟ أجيبيني!"

لم تقل أي شيء وإنما وقفت في الكشك تبكي بصمت.

"ديانا؟ حبيبتي؟.... آلو". أصغى جيداً. كان واثقاً من أنها لا تزال موجودة.

"أنا هنا". كان صوتها حزيناً جداً.

"أوه، حبيبتي..." قطّب حاجبيه ثم ابتسم. "ماذا لو جئت أنا إليك؟ هل من فرصة لذلك؟"

ليس تماماً".

"ما رأيك في قضاء عطلة نهاية الأسبوع في كارمل؟ إنها عطلة عيد العمل؟ هل تظنين أنكِ ستعودين قبل ذلك؟"

هذا بعيد آلاف السنوات الضوئية. كانت على وشك أن تقول لا، ثم توقفت. عطلة نهاية الأسبوع المقبلة في كارمل. ولمَ لا؟ يكون مارك في اليونان. إذا غادرت الليلة، سيكون لديهما الوقت حتى عطلة نهاية الأسبوع المقبلة، وربما يوماً إضافياً قبل أن يعود. معاً. في كارمل. ثم ينتهي كل شيء، كما توقعا. تأتي نهاية الصيف. تسابقت أفكارها. "سأعود غداً".

"حقاً؟ أوه، صغيرتي... في أي وقت؟"

أجرت حسابات سريعة في رأسها. "في السادسة من صباح غد تقريباً. حسب التوقيت في أميركا". وقفت في الكشك، تضحك فجأة عبر دموعها.

"هل أنتِ متأكدة؟"

"نعم". أطلعته على اسم شركة الطيران. سأتصل بك إذا لم أتمكن من اللحاق بتلك الطائرة، وإلا اعتمد على ذلك". فيما ضحكت عبر الهاتف، شعرت بالدموع تتلألأ في عينيها مجدداً. "سأعود إلى منـــزل بين". مضى وقت طويل على رحيلها. لكنه أسبوع واحد فقط.

في تلك الليلة، كتبت ملاحظة لحماتها. شرحت لها أنه تم استدعاؤها في سان فرانسيسكو وهي تأسف لرحيلها بهذه السرعة. ثم شعرت برغبة ملحة في الحصول على اللوحة التي رسمتها والتي تجمعها مع بيلار. إنها واثقة من أن حماتها ستتفهم. طلبت من الخادمة إخبار مارك حين يتصل بأنها في الخارج. هذا كل شيء. سيعطيها ذلك يوماً إضافياً على الأقل. لكنه لا يستطيع فعل أي شيء. عليه إنهاء عمله في اليونان. فكّرت في ذلك وهي على متن الطائرة في طريق العودة. سيتركها مارك لوحدها لمدة أسبوع. ما من سبب يمنعه من فعل ذلك. سينـــزعج لأنها عادت من باريس إلى المنـــزل، لكن هذا كل شيء. إنها



حرة الآن. لأسبوع آخر إضافي. هذا كل ما استطاعت التفكير به.

قبل ساعة واحدة من هبوط الطائرة، بالكاد استطاعت الجلوس على مقعدها. شعرت وكأنها فتاة صغيرة جداً. حتى موجات الغثيان المتقطعة لم تفسد مزاجها. عليها الجلوس ساكنة لبضع دقائق، وإغماض عينيها فيختفي الغثيان. ركزت تفكيرها على بين.

كانت بين أول من خرجوا من الطائرة في سان فرانسيسكو، بعدما عبرت الغيوم، وتسابقت مع الشمس فيما تحول كل شيء حولها إلى اللونين الوردي والذهبي. إنه صباح رائع، لكن هذا لم يصرف انتباهها عن بين. إنه كل ما استطاعت التفكير به فيما توقفت الطائرة أخيراً على مدرج المطار، وانتظرت بفارغ الصبر السماح لها بالنهوض عن مقعدها. ارتسمت على وجهها نصف ابتسامة، فيما ارتدت السترة المخملية السوداء فوق قميص حريري أبيض وسروال أبيض. وجاء وجهها العاجي وشعرها الأسود ليزيدا من روعة التناقض بين الأسود والأبيض. بدت أكثر شحوباً مما كانت قبل مغادرتها، واشتملت عيناها على مجموعة من القصص، لكنهما رقصتا وغنتا فيما شقت طريقها نحو الباب.

ثم رأته، يقف هناك، لوحده في القاعة في تمام الساعة السادسة، ينتظرها خلف مكتب الجمارك، فيما وضع السترة على ذراعه، ورسم الابتسامة على وجهه. أسرعا نحو بعضهما البعض فيما خرجت من الباب وأصبحت فوراً بين ذراعيه.

"أوه، بين!" كان هناك ضحك ودموع في عينيها، لكنه لم يقل أي شيء، وإنما أمسكها بالقرب منه. بدا أن دهراً مرّ قبل أن يبعدها عنه.

"قلقت عليك كثيراً، ديانا. أنا مسرور لعودتك".

"وأنا أيضاً".

فتش في عينيها لكنه لم يكن واثقاً مما رآه. ثمة شيء أكيد فيهما وهو

الألم، لكنه لم يستطع معرفة أكثر من ذلك. تمددت صوبه، وأمسكته بقوة.

"هل نذهب إلى المنـــزل؟"

أومأت برأسها، وامتلأت عيناها بالدموع مجدداً. إلى المنـــزل. لمدة أسبوع.



# 23

"هل أنت بخير؟" كانت مستلقية في سريره، مع عينين مغمضتين وابتسامة صغيرة على وجهها. لقد عادت إلى المنـــزل قبل أربع ساعات، وهي في السرير معه طوال الوقت. إنها الساعة العاشرة صباحاً، لكنها لم تنم طوال الليل خلال الرحلة من باريس. لم يكن واثقاً تماماً ما إذا كان يرى تأثير الرحلة الطويلة، أو أن أسبوع موت بيلار أرخى بثقله عليها أكثر مما اعتقد. أظهرت له اللوحة حين نزعت عنها الأوراق.

"ديانا؟ هل أنتِ بخير؟" كان يراقبها فيما فتحت عينيها.

"لم أكن يوماً أفضل حالاً في حياتي". أخبرته ابتسامتها ما الذي كانت تقصده. "متى سنغادر إلى كارمل؟"

"غداً. أو بعد غد. في أي وقت تشائين".

"هل نستطيع الذهاب اليوم؟"

ثمة خيط رفيع من اليأس محبوك في مكان ما، لكنه لم يكتشف بعد مكانه. أزعجه الأمر. "يمكننا. سأرى ما أستطيع القيام به مع سالي. إذا كانت لا تمانع بالاهتمام بالمعرض وحدها أثناء غيابنا، يكون كل شيء ممكناً".

"أتمنى ذلك". تحدثت بصوت ناعم وإنما جدي.

"هل الأمر بهذا السوء؟" سألها. أومأت برأسها وفهم. ذهب لإعداد الفطور. "غداً هو دورك"، قال لها من المطبخ وضحكت هي فيما مشت عبر الغرفة، عارية، ووقفت في الممر تراقبه. لا يهم الآن إذا مارسا ... فيما طفل مارك إدوار في أحشائها. فقد فعلا ذلك طوال الصيف، ولم تهتم. أرادت

ممارسة ... مع بين. عليها تذكر ذلك. "ديانا؟"

ابتسمت، وأدارت رأسها. "نعم، سيدي؟"

"ما المشكلة؟ أعني غير مصيبة بيلار الواضحة... هل من شيء آخر؟"

أرادت أن تقول له أن هذا كافٍ لوحده، لكنها لم تستطع الكذب عليه.

"حصلت بعض الأمور فيما كنت في فرنسا".

"هل من شيء يجدر بـــي معرفته؟" تماماً مثل مارك، شك في صحتها إذ بدت ضعيفة جداً. راقبها بعناية من حيث وقف.

هزّت رأسها ببطء. لا يحتاج إلى معرفة أي شيء عن الطفل. كان الأمر ليختلف لو أن الطفل منه.

"أي نوع من الأمور حصلت؟" ابتسمت عيناه قليلاً حين سألها. "مقلي أو مخفوق؟"

"يستحسن أن يكون مخفوقاً". ففكرة البيض المقلي جعلتها تشعر بالغثيان، لكنها تستطيع تحمل البيض المخفوق، طالما أنها تتناوله من دون قهوة قوية. "لا قهوة".

"ولماذا؟" بدا مصدوماً.

"امتنعت عنها لمناسبة الصوم الكبير".

"أعتقد أنك أبكرت في الوقت ستة أو سبعة أشهر".

سبعة أشهر... سبعة أشهر. أبعدت أفكارها عن ذلك الموضوع، وابتسمت لنكتته.

"ربما".

"إذاً؟ ماذا؟"

"أوه، لا أعرف". دخلت إلى المطبخ، ووضعت ذراعيها حوله، وانحنت على ظهره. "لا أعرف... لا أعرف. كنت أتمنى لو أن حياتي أكثر بساطة".



"و؟" التفت للإمساك بها ورؤية وجهها فيما وقفا عاريين أمام الفرن في مطبخه.

"أحبك، هذا كل ما في الأمر". اللعنة، لماذا يحصل هذا الآن؟ لماذا يجدر بها إخباره في هذا الوقت المبكر؟ امتلأت عيناها بالدموع، لكنها أجبرت نفسها على النظر إليه. إنها تدين له بذلك. "و...لن تجري الأمور بسهولة مثلما كنت أظن".

"وهل كنت تظنين فعلاً أن الأمر سيكون سهلاً؟" لم تترك عيناه عينيها.

هزّت رأسها. "لا. لكن أسهل مما هو عليه الآن".

"وكيف هو الآن؟"

"لا أستطيع تركه، بين". هكذا. لقد قالتها. أوه، يا الله، لقد أخبرته. نظرت إليه لبرهة لامتناهية، وملأت الدموع عينيها.

"ولماذا؟"

"لا أستطيع. ليس الآن". *ولا حتى لاحقاً، ليس بعد أن أرزق بطفل منه. اتصل بـــي بعد ثمانية عشر عاماً...*

"هل تحبينه ديانا؟"

مرة جديدة، هزّت رأسها. "كنت أظن أنني أحبه. كنت واثقة من ذلك. وأعرف أنني أحببته في الماضي. أفترض أنني لا أزال أحبه بطريقة ما. لقد أعطاني شيئاً طوال ثمانية عشر عاماً، بطريقته الخاصة. لكنّ الأمر انتهى مع مرور السنوات. لم أفهم ذلك قبل هذا الصيف. أصبحت حتى أفهمه الآن بصورة أفضل، بعد هذا الأسبوع". توقفت لتلتقط أنفاسها، ثم تابعت. "مرّت أوقات معك لم أكن فيها واثقة ما إذا كان يجدر بـــي تركه أم لا. لا أعرف. بدا وكأنني لا أملك الحق. وظننت ربما أنني ما زلت أحبه".

"وأنت لا تحبينه؟"

"لا". شعرت بخنقة صغيرة في صوتها. وأخيراً، نظرت بعيداً، ومسحت

وجهها بيديها. "أدركت ذلك قبل أيام قليلة. حصل شيء ما... وعرفت". *لأنني لا أريد طفله، بين، أريد طفلك أنت!*

"إذاً لماذا تبقين معه؟ بسبب بيلار؟" كان هادئاً بطريقة غريبة فيما تحدث إليها، مثل ولد يتحدث إلى طفلته.

"لهذا ولأسباب أخرى. لا يهم السبب. المهم النتيجة". نظرت إليه بخوف مجدداً. "هل تريدني أن أذهب؟" لكنه حدّق فيها، ثم غادر الغرفة بصمت. سمعته في غرفة الجلوس لبرهة، ثم سمعته يغلق باب غرفة النوم بأكبر قوة ممكنة. وقفت في المطبخ لبرهة، متسائلة، مذهولة. عرفت أنه عليها المغادرة الآن. لن يكون هناك كارمل. لكن ثيابها عالقة معه، في غرفته. ليس لديها خيار سوى الانتظار حتى يخرج. وأخيراً، فعل ذلك، بعد ساعة. وقف في الممشى مع عينين حمراوين وطلة حزينة جداً. لم تتأكد لبرهة ما إذا كان غاضباً جداً أم منـــزعجاً فقط.

"ما الذي تقولينه لي بالضبط ديانا؟ أن العلاقة انتهت؟"

"أنا... لا... أنا... أوه، يا الله". ظننت لبرهة أنه سيغمى عليها مجدداً، لكنها لا تستطيع. ليس الآن. أخذت نفسين عميقين، وجلست على حافة الأريكة، مع ساقيها الطويلتين والنحيلتين تتدليان بلباقة فوق الأرض. "لديّ أسبوع".

"ثم ماذا؟"

"أختفي".

"في تلك الحياة الوحيدة مجدداً؟ في حياة لك وحدك؟ في ذلك المتحف الذي تعيشين فيه، وحتى من دون بيلار الآن؟ كيف يمكنك فعل ذلك بنفسك؟" بدا بأنه يتعذب كثيراً.

"ربما هذا ما يجدر بـــي فعله، بين".

"لا أفهم". كان على وشك العودة مجدداً إلى غرفة نومه، لكنه توقف



والتفت ليواجهها. "ديانا، قلت لك... قلت إن العلاقة قد تستمر فقط خلال الصيف و... أنا أفهم. هذا ما قلته. ولا أملك الحق في تغيير ذلك الآن، أليس كذلك؟"

"لديك كل الحق في أن تغضب أو تتألم كثيراً".

شاهدت الدموع تملأ عينيه، وشعرت بالدموع في عينيها هي أيضاً، لكنه لم يضطرب أبداً فيما راقبها.

"أعاني من الأمرين معاً. لكن هذا لأنني أحبك كثيراً".

أومأت برأسها، لكنها لم تعد قادرة على الكلام. عادت إلى نطاق ذراعيه. مرّت ساعات طويلة قبل أن يبتعدا مجدداً.

"هل نستطيع الذهاب إلى كارمل اليوم؟" كان يستلقي على معدته، ينظر إلى وجهها. لقد استيقظت للتو بعد قيلولة استمرت ثلاث ساعات، وأصبحت الساعة الخامسة تقريباً. لم يذهب أبداً إلى المعرض؛ قال لهم إنه سيغيب طوال الأسبوع، ويتوجب على سالي إدارة الأمور لوحدها. "ما الذي تريدين فعله حقاً؟"

"التواجد معك". قالت ذلك بجدية وإنما مع ابتسامة صغيرة في عينيها.

"في أي مكان؟"

"في أي مكان".

"فلنذهب إذاً إلى تاهيتي".

"أفضل الذهاب إلى كارمل".

"حقاً؟" مرر إصبع على فخذها. ابتسمت.

"حقاً".

"حسناً، فلنذهب إذاً. يمكننا تناول العشاء هناك".

"طبعاً. إنها الثانية فجراً في توقيت باريس. وفي الوقت الذي نتناول فيه

العشاء أكون مستعدة للفطور".

"يا الله. لم أكن أفكر في ذلك. هل تشعرين أنكِ نصف ميتة؟" بدت متعبة جداً، لكنها استردت القليل من لونها الآن.

"لا. أشعر أنني بخير، وسعيدة، وأحبك".

"ليس بقدر ما أحبك أنا". أخذ وجهها بين يديه، وشدّها بالقرب منه. أراد تقبيلها، والإمساك بها، ولمسها، والشبع منها كلها خلال الأيام القليلة التي بقيت أمامهما. ثم فكّر في شيء ما. "ماذا عن عملك؟"

"ماذا عنه؟"

"هل سنستمر في العمل معاً في المعرض؟ هل سنستمر في تمثيل؛ أو بالأحرى أنا؟" أرادها أن تجيب "طبعاً"، لكنها لم تتفوه بأي شيء لوقت طويل. ثم عرف.

"لا أعرف. علينا أن نرى". لكن كيف يمكنهما؟ كيف يمكنها الذهاب لرؤيته في المعرض بعد أشهر قليلة، فيما تكون منتفخة بطفل مارك إدوار؟

"حسناً"، قال لها. "لا تبالي".

لكنّ مظهر الألم في عينيه أصبح الآن أكبر مما تستطيع تحمله. انفجرت في البكاء. بدا أنها تفعل ذلك كثيراً.

"ما المشكلة، حبي؟"

"ستظن أنني مثلها؛ المزيفة، الفتاة التي تزوجت منها".

ركع على الأرض قربها. "لست مزيفة ديانا. ما من شيء فيكِ كان مزيفاً. لقد بدأنا في شيء صعب وعلينا الآن إتمام الاتفاق. ليس سهلاً لكنه صادق. لطالما كانت العلاقة صادقة. أحبك أكثر مما أحببت أي شخص آخر في حياتي. أريدك أن تتذكري هذا على الدوام. وإذا أردت يوماً العودة، سأكون دوماً في انتظارك. دوماً. حتى لو أصبحت في الثالثة والتسعين". حاول أن يدفعها إلى الابتسام، لكنه فشل. "هل يجدر بنا عقد اتفاق آخر الآن؟"



"ماذا؟" كانت متجهمة فيما نظرت إليه. تكره مارك إدوار وتكره نفسها أكثر. عليها الإجهاض. أي شيء لتتمكن من البقاء مع بين. أو قد يقبل ربما بطفل مارك، إذا أخبرته الحقيقة منذ البداية. لكنها عرفت أنها لا تستطيع إخباره أبداً. لن يفهم أبداً.

"هيا، أريد أن نعقد اتفاقاً آخر. أريد أن نعد بعضنا بألا نتكلم عن وجود أسبوع واحد إضافي فقط. دعينا نعيش كل يوم، نحب كل يوم، نستمتع في كل لحظة، ونواجه الأمر عندما يحين الوقت. إذا تحدثنا فقط عن ذلك، سنفسد الوقت الذي لدينا. اتفقنا؟" أخذ وجهها بين يديه، وقبّلها برفق على فمها فيما انسدل شعرها برفق حول وجهها بعدما حررت العقدة التي كانت مربوطة في أعلى رأسها. "اتفقنا؟"

"اتفقنا".

"حسناً". أومأ برأسه، ثم قبّلها مجدداً، وغادر الغرفة.

غادرا بعد ساعة واحدة إلى كارمل، لكن كان من الصعب عدم الإحساس بالكآبة. لم تعد الأمور مثلما كانت قبلاً. لقد انتهى الأمر تقريباً، وسواء قالا ذلك أم لا، عَرِفَ كلاهما الحقيقة المرّة. اقترب الصيف من نهاية مرة.

# 24

"جاهزة، حبيبتي؟" إنه منتصف الليل، ليلة الاثنين. يوم العمل. لقد انتهى. حان وقت العودة إلى المنـــزل. نظرت حولها في غرفة الجلوس للمرة الأخيرة، ثم أخذت يده بصمت. الأنوار مطفأة، والمرأة التي على الشاطئ في لوحة وايث أخفت وجهها تحت ضوء القمر. للمرة الأخيرة، ألقت ديانا نظرة سريعة عليها فيما غادرت المنـــزل. الطقس بارد، لكنّ ضوء القمر ساطع والسماء مليئة بالنجوم.

"أحبك". همست له فيما جلست بهدوء في السيارة. لمس وجهها، ثم قبّلها.

" أنا أحبك أيضاً". كانا يبتسمان. فجأة، ليس الوقت ملائماً للحزن. لقد تشاركا رابطاً من الفرح والسلام لا يشبه أي رابط آخر، وهذا شيء لا يستطيع أحد سلبه منهما. إنه لهما. إلى الأبد. "هل أنتِ سعيدة بقدر ما أنا سعيد، ديانا؟" أومأت برأسها، وابتسمت. "لا أعرف لماذا أشعر براحة كبيرة، باستثناء أنك تجعلني سعيدة وستفعل ذلك دوماً. مهما حصل".

"وأنتِ تفعلين الشيء نفسه لي". *وستفعلين دوماً*. يمكنها التشبث بالذكريات خلال ليل الشتاء الطويل في حياتها مع مارك. يمكنها التفكير فيه حين تمسك بالطفل، وتفكر أنه كان يمكن أن يكون طفله. فجأة، تمنت ذلك أكثر من أي شيء آخر في حياتها.

"بماذا تفكرين؟"

بدأا رحلة العودة إلى سان فرانسيسكو. خططا للوصول في الساعة الثانية فجراً، ولكي يناما حتى وقت متأخر من صباح اليوم التالي، ثم يأخذها إلى المنـــزل بعد تناول الفطور. يفترض أن يصل مارك بعد الظهر. الثلاثاء في



الساعة الثالثة. هذا كل ما قاله في البرقية. قرأتها لها مارغريت على الهاتف حين اتصلت للتأكد من أن كل شيء جيد في المنـــزل. الثلاثاء في الثالثة.

"سألتكِ بماذا تفكرين؟"

"كنت أُفكّر قبل دقيقة أنني كنت أودّ إنجاب طفلك". ابتسمت في الليل.

"وابنتي؟ ألا تريدينها أيضاً؟" ابتسما.

"ما هو عدد الأولاد الذي تفكر في إنجابه؟"

"رقم مرتفع نسبياً. ربما اثنا عشر ولداً". هذه المرة ضحكت، واتكأت على كتفه فيما قاد السيارة. تذكرت المرة الأولى التي قال فيها ذلك، في الصباح الذي تلا معرضها. هل سيأتي صباح آخر مثل ذلك الصباح؟

"أفضل إنجاب ولدين".

كره العبارات المتوترة التي تستعملها. فهي تخبره بما لا يريد معرفته. أو تذكره. ليس الليلة.

"ومنذ متى قررت أنك لست كبيرة جداً في السن؟"

"ما زلت أظن ذلك، لكن... من السهل الحلم".

"ستبدين جميلة وأنتِ حامل". لم تقل هذه المرة أي شيء. "متعبة؟"

"قليلاً".

كانت متعبة غالباً طوال الأسبوع. إنه التوتر، لكنه لم يحب رغم ذلك الهالات السوداء تحت عينيها، أو الشحوب في وجهها حين تنهض في الصباح. لكنه لن يقلق بعد اليوم. هذه فرصته الأخيرة. سيتوقف في الصباح.

"والآن بماذا تفكر أنت؟" نظرت إليه بجدية.

"فيكِ".

"فقط؟" حاولت المزاح، لكنه لم يتجاوب.

"فقط".

"وبماذا؟"

"كنت أفكّر كم رغبت في طفلنا".

شعرت بخنقة كبيرة في حنجرتها، وأدارت رأسها بعيداً. "بين، لا تفعل".

"أنا آسف". شدّها بالقرب منه، وتابعا الطريق.

"وماذا يعني ذلك؟" حدّقت شانتال في مارك عبر الغرفة. أغلق حقيبته، ووضعها على الأرض.

"يعني تماماً مثلما قلت، شانتال. هيا، لا تتلاعبي بي. مضى على وجودي هنا ثلاثة أشهر تقريباً خلال الصيف، وعليّ الآن إنجاز بعض العمل هناك".

"لكم من الوقت؟" بدت شاحبة، وأظهرت عيناها أنها كانت تبكي.

"قلت لكِ. لا أعرف. والآن كوني فتاة جيدة، ودعينا نذهب".

"لا، لا يهمني. لا أكترث إذا سبقتك الطائرة. لن تتركني هكذا. ماذا تظن؟ أنني غبية؟ ستعود إليها. المسكينة، الزوجة المسكينة، التي تحطم قلبها لأنها خسرت ابنتها، وسيذهب الآن زوجها العزيز لمواساتها. لا. اللعنة. ماذا عني أنا؟" تقدمت نحو بطريقة مهددة، وتوترت عضلة في فكه.

"قلت لكِ إنها مريضة".

"بماذا؟"

"عدد من الأشياء. لا يهم بماذا، شانتال. إنها مريضة".

"إذاً، لا يمكنك تركها الآن. متى تستطيع تركها؟"

"اللعنة، لقد تكلمنا عن هذا الموضوع طوال الأسبوع. لماذا يجدر بنا تكرار ذلك فيما عليّ الذهاب للحاق بالطائرة؟"

"اللعنة على طائرتك. لن أدعك تتركني". ارتفع صوتها بشكل خطير



وكانت عيناها تجولان في الغرفة "لا يمكنك الذهاب. لا، مارك إدوار! لا!" راحت تبكي مجدداً. تنهّد فيما جلس.

"شانتال، حبيبتي، أرجوكِ. قلت لكِ، لن يطول الأمر كثيراً. أرجوك حبيبتي. حاولي أن تفهمي. لم تكوني هكذا قبلاً. لماذا تتصرفين بطريقة غير منطقية الآن؟"

"لأنني سئمت! قرفت! مهما حصل، تبقى متزوجاً منها. سنة بعد سنة بعد سنة. *اللعنة إذاً، لقد سئمت*".

"وهل يفترض أن تسأمي الآن؟" نظر إلى ساعته بيأس. "قلت لكِ الليلة الماضية إنه إذا وجدت أن الوقت سيطول، سأستدعيك للذهاب. اتفقنا؟"

"لكم من الوقت؟"

"أوه، شانتال!" سيطر عليه الاضطراب الذي بدا عليه يوم حادث بيلار. "لنر كيف تجري الأمور. يمكنك البقاء في الولايات المتحدة لفترة، إذا ذهبت".

"وكم سيطول ذلك؟" لكنها بدأت تلعب الآن، ولاحظ ذلك، مع سرور كبير في عينيه.

"بطول قدمي. هل هذا يكفي؟ والآن، دعينا نذهب. سأتصل بكِ كل يوم تقريباً. سأحاول العودة خلال أسابيعَ قليلة. وإلا، تذهبين أنتِ. هل هذا يرضيكِ؟"

"تقريباً".

"تقريباً؟" صرخ الكلمة، لكنها أحنت وجهها للحصول على قبلة، ولم يستطع المقاومة.

"هاي أنت!" قبّلها ثم ضحكا فيما عادا مجدداً إلى غرفة النوم، يتمازحان، ويضحكان، ويلمسان بعضهما مجدداً.

"سأفوّت الطائرة، وأنت تعلمين ذلك".

"إذاً ماذا؟ وبعد ذلك نتناول العشاء في مطعم ماكسيم".

من السهل أن يظن المرء أنها هي المرأة الحامل، لكنهما يعرفان تماماً أنها ليست كذلك. ظنا ذات مرة أنها حامل، وأصيبا حينها بخوف كبير بسبب داء السكري بحيث قررا عدم المجازفة مرة جديدة. لا يمكنهما تحمل ذلك. حياتها على المحك. وهي لا تهتم فعلاً للحمل، ولم تشعر يوماً برغبة في إنجاب طفل. ولا حتى من مارك.

أوقف بين السيارة في منتصف الشارع. "هنا؟"

أومأت برأسها وهي تشعر كأن العالم سينتهي. كما لو أن أحداً أعلن لهما نهاية الدنيا. عرفا أن هذا سيأتي، وعرفا حتى الموعد... لكن ماذا الآن؟ إلى أين؟ ما العمل؟ كيف ستعيش كل يوم من دونه؟ كيف تستطيع التواجد من دون اللحظات التي تشاركاها في كارمل؟ كيف تستطيع ألا تستيقظ في غرفة النوم الصفراء، وتتصور ما إذا كان دورها هي أم دوره هو في إعداد الفطور؟ تساءلت، فيما جلست هناك، إذا كان كل ذلك ممكناً. نظرت إليه طويلاً وبقساوة ثم أمسكته بقوة بين ذراعيها. لا تهتم إذا رآها أحد. فليروها. لن يشاهدها أحد بعد الآن وهي تعانقه مجدداً. سيظنون أنه سراب. تساءلت لبرهة ما إذا كانت ستعتبره هكذا خلال السنوات المقبلة. هل سيبدو كل شيء كأنه حلم؟

كانت كلماتها مثل الهمس في أذنه. "إعتنِ بنفسك. أحبك..."

"وأنا أيضاً أحبك".

تشبثا ببعضهما البعض، من دون أن يقولا أي شيء. وأخيراً، فتح لها الباب. "لا أريدك أن تذهبي ديانا. لكن إذا بقيت لوقت أطول، لن أتمكن من... السماح لك بالذهاب". رأت أن عينيه تلمعان نتيجة الدموع، وشعرت أن عينيها تمتلآن أيضاً بالدموع. نظرت إلى حرجها، ومن ثم إليه. يجب أن تراه، أن تعرف أنه لا يزال موجوداً. وفجأة، أصبحت ذراعاها حوله مجدداً.

"بين، أحبك". أمسكته بقوة، ثم ابتعدت عنه ببطء، ونظرت إليه لبرهة طويلة ومؤلمة. "هل أستطيع أن أقول لك إن هذه الأشهر جعلت حياتي كلها



ذات معنى؟"

"يمكنك". ابتسم لها، وقبلها على طرف أنفها. "وهل أستطيع أن أقول لكِ إنه يجب أن تخرجي من سيارتي؟" نظرت إليه متفاجئة. ثم ضحكت.

"لا يمكنك".

"حسناً، أتصور أنه ما من طريقة سهلة لفعل ذلك وعلينا بالتالي أن نضحك جيداً". وهكذا فعلت، ثم بدأت في الوقت نفسه تبكي مجدداً.

"يا الله، أنا في ورطة".

"نعم، هذا صحيح". قال ذلك مع إيماءة تقدير وابتسامة محت قليلاً الحزن في عينيه. "وأنا أيضاً. لكن بصراحة، عزيزتي، أظن أنه علينا الخروج منها بلباقة". ثم، ومع ابتسامة كبيرة، انحنى لتقبيلها مرة أخرى، ونظر إليها بقوة كبيرة وقال لها: "اذهبي".

أومأت برأسها، ولمست وجهه. أطبقت يديها في قبضتين محكمتين وخرجت من السيارة، نظرت إليه للحظة لامتناهية، ثم التفتت ومشت بعيداً. وما إن أدارت ظهرها، وفيما لا تزال تبحث في حقيبتها عن المفاتيح، سمعته يبتعد في السيارة. لكنها لم تلتفت أبداً، لم تنظر أبداً، لم تشاهده أبداً، وإنما دفنته ببساطة في قلبها، ومشت إلى داخل المنـــزل الذي ستتشارك فيه مع مارك الباقي من حياتها.

# 25

"صباح الخير حبيبتي. هل نمت جيداً؟" نظر إليها في السرير.

"هل فوّتت الطائرة؟" لا ذكر للأسبوع الماضي، أو حقيقة هروبها الفعلي من باريس.

"نعم. بطريقة غبية. لم أستطع الحصول على سيارة أجرة، وكانت هناك زحمة سير، وعشرة آلاف حادثة بسيطة، وتوجب عليّ الانتظار ست ساعات حتى موعد الرحلة التالية. كيف حالك؟"

"مقبولة".

"ليس أكثر من ذلك؟"

هزّت كتفها للإجابة. شعرت وكأنها في جحيم، وتمنّت لو أنها ميتة. كل ما أرادته هو بين. ولكن ليس هكذا. ليس مع طفل مارك إدوار.

"أريدك أن تري الطبيب اليوم"، قال مارك. "هل أطلب من دومينيك أن تحجز لك موعداً أو تريدين فعل ذلك بنفسك؟"

"لا فرق".

لماذا هي مطيعة هكذا؟ لم يعجبه ما رآه. بدت منهكة وشاحبة، عصبية وغير سعيدة، وكذلك غير مبالية بكل شيء يقوله. "أريدك أن تزوريه اليوم"، كرر.

"جيد. هل أستطيع الذهاب لوحدي أو تريد أن تصطحبني دومينيك؟" حدّقت عيناها في عينيه.

"لا تبالي لذلك. هل ستذهبين اليوم؟"



"إعتمد على ذلك. وإلى أين ستذهب اليوم، أثينا أو روما؟"

مرّت قربه، ودخلت إلى الحمام، وأغلقت الباب بهدوء. ستكون ثمانية أشهر ممتعة، قال مارك لنفسه باشمئزاز. حين يولد الطفل بعد شهر واحد مما تتوقع ديانا، سيقول لها ببساطة إن الولادة تأخرت. يحدث ذلك على الدوام ويولد الأطفال متأخرين ثلاثة أسابيع. لقد فكر في كل ذلك خلال رحلته في الطائرة.

مشى إلى الحمام، وتحدث بصرامة عبر الباب المغلق. "سأكون في مكتبي إذا احتجت لي. واحرصي على زيارة الطبيب. اليوم. هل فهمت؟"

"نعم، تماماً". أبقت صوتها ثابتاً كي لا يعرف أنها تبكي. لا يمكنها الاستمرار هكذا. لا يمكنها العيش هكذا. هذا كثير. عليها تركه، والعودة مجدداً إلى بين، مع أو من دون هذا الطفل اللعين. لكن خطرت في بالها فكرة. حين سمعت الباب الرئيسي يغلق، خرجت من الحمام، وذهبت مباشرة إلى الهاتف. أخبرتها الممرضة أنه مشغول لكن حين شرحت للمرأة من تكون، حولت لها الاتصال.

"ديانا؟" بدا متفاجئاً. نادراً ما تتصل به.

"مرحبا دكتور جونز". تنهد صوتها ارتياحاً لمجرد سماعه. سيساعدها. لطالما فعل ذلك قبلاً. "أواجه مشكلة. مشكلة كبيرة جداً. هل أستطيع المجيء لرؤيتك؟" استطاع سماع الإلحاح في صوتها.

"ما الذي يخطر في بالك، ديانا؟ اليوم؟"

"هل ستكرهني إذا قلت لك نعم؟"

"لن أكرهك، لكنني قد أنتف الشعرات القليلة التي بقيت في رأسي. ألا يمكنك الانتظار؟"

"لا. سأصاب بالجنون".

"حسناً. كوني هنا بعد ساعة".

وهكذا كان، وجلس أمامها على الكرسي الجلدي الأحمر الكبير الذي تتذكره دوماً كلما فكّرت فيه. "إذاً؟"

"أنا حامل". لم تتحرك عيناه. لم يتحرك شيء في وجهه.

"وما هو شعورك حيال ذلك؟"

"مريع. إنه التوقيت الخاطئ... وكل شيء فيه خاطئ".

"هل هذا هو شعور مارك أيضاً؟"

ما علاقته في ذلك؟ ما الفرق؟ لكن عليها أن تكون صادقة. "لا. إنه مسرور. لكن ثمة ألف سبب يجعلني أظن أن الحمل خاطئ. ومن أحد الأسباب، أنا كبيرة في السن".

"على الصعيد التقني، لست كذلك. لكن هل تشعرين أنكِ كبيرة جداً للتكيف مع ولد صغير؟"

"ليس بقدر هذا، لكن... أنا كبيرة جداً لعيش تجربة الحمل مجدداً. ماذا لو مات الطفل، ماذا لو حصل شيء مثل هذا مجدداً؟"

"إذا كان هذا ما تقلقين بشأنه، لا يجدر بك هذا، وأنتِ تعرفين ذلك. تعرفين جيداً أيضاً أن الحادثين غير مرتبطين البتة، وكانا مجرد حادثين مأساويين. لن يحدث ذلك مجدداً. لكن أظن أنكِ تقولين لي ديانا إنك لا تريدين هذا الطفل بكل بساطة. لا تهتمي أبداً للأسباب. أو أن هناك أسباباً لا تريدين قولها لي؟"

"أنا... نعم. لا أريد طفل مارك".

للحظة، أصيب الطبيب بالذهول. "هل من سبب خاص، أم أنها نزوة لحظة".

"ليست نزوة. كنتُ أفكر في تركه طوال الصيف".

"أفهم. هل يعرف؟" سألها. هزّت رأسها. "هذا يعقد الأمور، أليس كذلك؟ لكن هل الطفل طفله؟" ما كان ليطرح عليها هذا السؤال أبداً قبل عشرة أعوام،



لكن الأمور اختلفت الآن على ما يبدو، وسألها بلطافة كبيرة بحيث لم تكترث.

"الطفل منه". ترددت ثم تابعت. "لأني حامل منذ شهرين. لو كنت حاملاً منذ فترة أقل، لما كان الطفل طفله".

"وكيف تعرفين أنك حامل منذ شهرين؟"

"أخبروني في فرنسا".

"قد يكونون مخطئين، وربما لا. لماذا لا تريدين الطفل؟ لأنه طفل مارك؟"

"جزئياً. ولا أريد أن أبقى مرتبطة به أكثر مما أنا حالياً. إذا أنجبت الطفل، لا أستطيع تركه".

"ليس بسهولة كبيرة، لكن يمكنك. لكن ماذا ستفعلين بعدها؟"

"حسناً، بالكاد أستطيع العودة إلى الرجل الآخر مع طفل مارك".

"يمكنك".

"لا، دكتور. لا أستطيع فعل ذلك".

"لا، لكن لا يمكنك البقاء مع مارك لأنك ستنجبين طفله. يمكنك الخروج من المشكلة لوحدك".

"كيف؟"

"ستجدين طريقة إذا أردت ذلك".

"لا. أريد.. أريد شيئاً آخر". ثم عرف.

"قبل أن تقولي لي، دعيني أسألك عن رأي ابنتك في كل ذلك. ما هو شعورها، بطريقة أو بأخرى، إذا أنجبت طفلاً آخر؟"

لكن ديانا كانت تنظر بحزن في حرجها. وأخيراً، نظرت إليه. "لم يعد هذا مهماً بعد الآن. لقد ماتت قبل أسبوعين، في فرنسا".

توقف كل شيء لبرهة، ثم انحنى إلى الأمام وأخذ يدها. "يا ربي، ديانا،

أنا آسف جداً".

"ونحن كذلك".

"ورغم ذلك، لا تريدين طفلاً آخر؟"

"ليس هكذا. ليس الآن. لا أستطيع. أريد الإجهاض. لهذا السبب أنا هنا".

"هل تظنين أنكِ تستطيعين تحمل ذلك؟ بعد ذلك، تعرفين، لا عودة إلى الوراء. إنها حالة تسبب دوماً الندم والذنب لاحقاً. ستشعرين بذلك لوقت طويل".

"في جسمي؟"

"في قلبك... في عقلك. يجب أن تكوني راغبة بشدة في التخلص من الطفل، حتى تشعري بالارتياح مع ما تفعلينه. وماذا لو كان هناك خطأ في التشخيص في فرنسا، وثمة احتمال أن يكون هذا الطفل من الرجل الآخر؟ هل كنت أجهضت أيضاً؟"

"لا أستطيع المجازفة. عليّ التخلص منه إذا كان طفل مارك. وما من سبب يدفعني إلى الاعتقاد بأنهم أخطأوا".

"يحصل ذلك أحياناً. أنا أخطئ أيضاً". ابتسم لها بطريقة عفوية، ثم قطّب حاجبيه حين خطرت له فكرة أخرى. "نظراً لما حصل مع بيلار، هل تشعرين أنكِ قادرة على تحمل ذلك الآن؟"

"عليّ ذلك. هل تفعل هذا لي؟"

"إذا كان هذا ما تريدينه. لكن أريد أن أفحصك أولاً وأتأكد من أنني موافق. قد لا تكونين حاملاً البتة".

لكنها كانت كذلك. ووافق على أن الحمل حصل منذ شهرين تقريباً، لكن يصعب دوماً التحلي بالدقة في هذه المرحلة المبكرة من الحمل. ومن الجيد أيضاً إجراء العملية بسرعة، لأن ديانا مصممة عليها على ما يبدو.

"غداً؟" سألها. "تعالي في الساعة السابعة صباحاً، ويمكنك العودة إلى



المنـــزل في الخامسة من بعد الظهر. هل ستخبرين مارك؟"

هزّت رأسها. "سأقول له إنني خسرته".

"وبعدها؟"

"لا أعرف. عليّ معرفة ذلك لاحقاً".

"ماذا لو قررت البقاء مع مارك وإنجاب ولد آخر، ستجدين أنك أصبحت عاجزة عن الحمل مجدداً؟ ماذا يحصل حينها ديانا؟ هل ستتمرين نفسك بالذنب؟"

"لا. لا أستطيع تخيل أن هذا سيحصل. لكن إذا حصل، سأتكيف مع الأمر. وسأنجح".

"هل أنت متأكدة؟"

"طبعاً". وقفت، وأومأ هو برأسه، ودوّن لها عنوان المستشفى حيث يريدها أن تذهب. "هل الأمر خطير؟" لم تفكر قبلاً في طرح السؤال عليه. لم تكن تهتم فعلاً. فهي الآن شبه ميتة مع حملها بطفل مارك.

لكن الدكتور جونز هزّ رأسه، وربّت على ذراعها. "لا، ليس كذلك".

"إلى أين أنتِ ذاهبة في مثل هذه الساعة؟" رفع مارك رأسه، وألقى نظرة خاطفة عليها فيما نزلت هي عن السرير، وانزعجت من نفسها لأنها أيقظته.

"إلى الاستوديو. لا أستطيع النوم".

"يجدر بكِ البقاء في السرير". لكنّ عينيه كانتا شبه مغمضتين.

"سأقضي معظم الوقت في السرير اليوم". هذه حقيقة على الأقل.

"حسناً". لكنه كان نائماً مجدداً في الوقت الذي ارتدت فيه ملابسها ولم يرها وهي تغادر. تركت له ملاحظة: لقد خرجت وسأعود بعد الظهر. قد ينـــزعج، لكنه لن يعرف أبداً، وحين تعود إلى المنـــزل، يكون الأوان قد فات. صعدت إلى سيارتها، وأدارت المحرك، ونظرت إلى الصندل وسروال

الجينــز. ارتدتهما آخر مرة في كارمل مع بين. وفيما انتظرت السيارة حتى تسخن قليلاً، وجدت نفسها تفكر فيه مجدداً وتنظر إلى سماء الصباح الشاحبة. آخر مرة شاهدت مثل هذه السماء كانت معه. ثم ومن دون سبب على الإطلاق، تذكرت ما قاله لها الطبيب: ماذا لو كان الطفل من بين؟ لكن لا يمكن، وكيف؟ قبل شهرين، مارست ... مع مارك. لكنها أيضاً التقت ببين في نهاية شهر يونيو، ويمكن أن يكون الطفل منه أيضاً. لماذا لا تستطيع التأكد؟ لماذا لا تكون حاملاً منذ شهر واحد فقط وليس منذ شهرين؟ "اللعنة". قالت الكلمة فيما وضعت قدمها على دواسة الوقود، وعادت بسيارتها إلى الخلف. لكن ماذا لو كان الطفل منه؟ هل تبقى راغبة في الإجهاض؟ أرادت فجأة التحدث إليه، إخباره، وسؤاله عن رأيه، لكن هذا جنون. توجهت مباشرة إلى العنوان، فيما بدأ عقلها يصاب بالدوار.

بدت شاحبة ومنهكة حين وصلت إلى هناك. كان الدكتور جونز ينتظرها. كان هادئاً ولطيفاً، كالمعتاد، ولمس ذراع ديانا.

"أنتِ متأكدة؟" سألها. أومأت برأسها، لكن ثمة شيء لم يعجبه في عينيها. "دعينا نتكلم".

"لا. دعنا نباشر في العملية".

"حسناً". أعطى التعليمات للممرضة، وتم إرشاد ديانا إلى غرفة صغيرة حيث طلب منها ارتداء لباس المستشفى.

"إلى أين ستأخذونني؟"

"إلى القاعة السفلية. ستبقين فيها طوال اليوم. لن تعودي إلى هنا طوال اليوم". فجأة، وللمرة الأولى، شعرت بالخوف. ماذا لو تألمت؟ ماذا لو ماتت؟ ماذا لو نزفت في طريق العودة إلى المنــزل؟ ماذا لو... باشرت الممرضة في شرح تقنية الاستخراج لديانا، وشعرت أنها تصبح شاحبة.

"هل تفهمين؟"



"نعم". هذا كل ما استطاعت ديانا قوله. أرادت فجأة بين بقوة.

"هل أنتِ خائفة؟" حاولت الممرضة أن تكون لطيفة، لكنها لم تنجح.

"قليلاً".

"لا تخافي. هذا غير خطر. أنا أجهضت ثلاث مرات". يا الله، فكّرت ديانا. كم هذا رائع. هل من حسم؟

جلست ديانا في غرفتها الصغيرة، تنتظر. وأخيراً، تم أخذها عبر رواق ووضعها في غرفة، على طاولة معقمة، وجرى تثبيت ساقيها بالأربطة. إنها مثل غرفة الولادة التي دخلت إليها حين ولدت الصبيين، ومن ثم بيلار. غرفة ولادة وليس غرفة إجهاض. شعرت أنها تتصبب عرقاً. تركوها لوحدها لمدة نصف ساعة تقريباً. استلقت هناك وساقاها مرفوعتان إلى الأعلى، تحارب الحاجة الملحة إلى البكاء، وتذكّر نفسها بأن الأمر سينتهي بسرعة. وسيختفي. سيخرجونه من أحشائها بواسطة هذه الآلة. نظرت حولها، متسائلة عن الآلة التي سيتم استعمالها، لكنّ الآلات كلها بدت مرعبة على حدٍّ سواء. شعرت أن ساقيها بدأتا ترتجفان. شعرت أن ساعات طويلة مضت قبل أن يدخل الدكتور جونز إلى الغرفة، ووجدت نفسها تقفز.

"ديانا، سنعطيك حقنة صغيرة حتى تشعري بالنعاس قليلاً، وترتاحي أكثر".

"لا أريد ذلك". حاولت الجلوس منتصبة، ورفعت ساقيها في الهواء.

"الحقنة؟ لكنها ستجعل الأمور أسهل عليك إذا خضعت لها. صدقيني. الأمر أصعب كثيراً هكذا". بدا فجأة متعاطفاً، لكنها هزت رأسها.

"لا أريد ذلك. ليس الحقنة. وإنما الإجهاض. لا أستطيع. ماذا لو كان الطفل من بين؟" لقد نمت الفكرة في رأسها خلال الساعة الأخيرة، أو أن هذا مجرد عذر للاحتفاظ بالطفل. لم تكن واثقة.

"هل أنتِ واثقة، ديانا؟ أو أنكِ خائفة فقط؟"

"الأمران. كل شيء... لا أعرف". ملأت الدموع عينيها.

"ماذا لو كان الطفل لك أنت فقط وليس لأحد آخر؟ ماذا لو كان لا علاقة أبداً لأي رجل. لو استطعت إنجاب الطفل لنفسك، هل كنت ستحتفظين به؟"

رفعت عينيها إلى عينيه، وأومأت برأسها بصمت.

فك ساقيها. "إذاً، اذهبـي إلى المنـزل، حبي، وحلّي مشاكلك. يمكنك إنجاب هذا الطفل لكِ وحدكِ، إذا كان هذا ما تريدينه. لا يستطيع أحد إبعاده عنكِ. سيكون لكِ أنتِ".

وجدت نفسها تبتسم للفكرة.

كان مارك يستحم حين عادت إلى المنـزل، ودخلت بهدوء إلى الاستوديو، وأقفلت الباب وراءها. ماذا فعلت؟ لقد قررت الاحتفاظ بالطفل، وما قاله الطبيب كان صحيحاً. يمكنها إنجاب الطفل لوحدها، وجعله ملكها هي فقط. يمكنها، أليس كذلك؟ أو أن الطفل سيكون دوماً طفل مارك؟ مثلما كانت بيلار. فجأة، عرفت أنها لن تستطيع الفرار أبداً. الطفل هو طفل مارك. لا تملك الشجاعة بعد ليكون لها وحدها. وهل يهم ذلك؟ لقد خسرت بين.



# 26

"صباح الخير، ديانا". ألقى مارك نظرة سريعة عليها فيما جلس على الكرسي. كانت المجموعة الاعتيادية من الجرائد معروضة على الطاولة، والقهوة ساخنة، فيما ديانا تتناول بيضة. "هل أنتِ جائعة هذا الصباح؟" مضت أسابيع طويلة منذ أن رآها تأكل.

"ليس كثيراً. خذ، يمكنك تناول الخبز المحمص". دفعت طبق الليموج الأزرق الدقيق نحوه على الطاولة. كان شرشف الطاولة هذا الصباح باللون الأزرق الشاحب أيضاً. إنه يتناسب مع مزاجها.

نظر إليها مارك بعناية فيما لعبت هي بالبيضة. "هل ما زلتِ تشعرين بالغثيان؟" هزّت كتفها، ثم نظرت إليه بعد برهة.

"لا".

"أظن أنه ربما يجدر بك الاتصال بالطبيب".

"سأراه الأسبوع المقبل على كل حال". مضت ثلاثة أسابيع منذ أن زارته لآخر مرة. ثلاثة أسابيع منذ أن هربت ذلك الصباح ظناً منها أنها تستطيع الإجهاض. ثلاثة أسابيع منذ أن رأت بين. ولم تعد هناك أية أخبار. عرفت أنه لن تكون هناك أية أخبار مجدداً. ستلتقي به يوماً ما، في مكانٍ ما وزمانٍ ما، وسيتحدثان لبعض الوقت مثل صديقين قديمين. وهذا كل شيء. لقد انتهت العلاقة. مهما اهتم كل منهما للآخر. شعرت أن جسمها كل يرتخي عند التفكير في ذلك. الشيء الوحيد الذي تريده هو العودة إلى السرير.

"ماذا ستفعلين اليوم؟" بدا مارك غامضاً وإنما قلقاً.

"لا شيء. سأعمل ربما في الاستوديو لبعض الوقت". لكنها لم تكن تعمل. كانت تجلس فقط، وتحدق في كومة اللوحات التي أعيدت إليها من المعرض، رغم احتجاجات بين الأولية. لكنها لا تستطيع فعل ذلك. لا تستطيع السماح له ببيع عملها ورؤيته أبداً. ولا تريد أن يراها حاملاً هذا الشتاء. ليس لديها خيار. لقد أصرّت على سالي حتى تعيد إليها اللوحات. وها هي الآن متكئة على جدران الاستوديو، وجهها إلى الحائط، فيما جهتها الخلفية المؤلفة من قماش القنب الموحل اللون تحدق فيها بصمت، باستثناء لوحتها هي وبيلار، التي تنظر إليها ساعات طويلة كل يوم.

"هل ترغبين في الانضمام إليّ لتناول الغداء؟" سمعت الكلمات فيما مشت بعيداً، والتفتت لتراه يجلس على مقعده في غرفة الطعام ويبدو مثل الملك. إنه ملكها الآن، فيما هي عبدته، والسبب في ذلك يعود إلى ذلك الطفل غير المولود الذي كانت أجبن من أن تجهضه.

هزت رأسها مجدداً. "لا، شكراً". حاولت الابتسام، لكن ذلك كان أشبه بنور شمس خفيف وسط الشتاء، أشبه بوميض على الثلج. لا تريد الذهاب معه إلى الغداء. لا تريد أن تكون معه، أو أن يراها أحد معه. ماذا لو رآهما بين معاً؟ لا تستطيع تحمل الفكرة. هزّت رأسها مرة جديدة، ومشت ببطء نحو الاستوديو، حيث اختبأت.

جلست هناك، تعانق ركبتيها، والدموع تنهمر على وجهها. بعد ساعات، رنّ الهاتف.

"مرحباً، صغيرتي، ماذا تفعلين؟" إنها كيم.

تنهدت ديانا، وحاولت رسم ابتسامة على وجهها.

"لا شيء. أجلس في الاستوديو، وأفكّر أنه يجدر بـي الاعتزال".

"اللعنةُ عليكِ. الآن بعد المقالات الجميلة التي تحدثت عن معرضك. كيف حال بين؟ هل باع المزيد من أعمالك؟"



"لا". حاولت ديانا ألاّ تدع صوتها يخون مشاعرها. "لم تتح له الفرصة".

"لا أظن ذلك. لكنني واثقة أنه سيفعل حين يعود من لندن. قالت سالي إنه سيمضي هناك أسبوعاً آخر".

"أوه، لم أكن أعرف. عاد مارك إلى المنزل قبل ثلاثة أسابيع، ونحن مشغولون كثيراً". وجدت كمبرلي صعوبة في تصديق ذلك. فمع وفاة بيلار حديثاً، لا يذهبان فعلياً إلى أي مكان. على الأقل، هذا ما أخبرتها به ديانا حين تحدثتا آخر مرة.

"هل أستطيع إبعادك عن الاستوديو لتناول الغداء؟"

"لا... أنا... فعلاً... لا أستطيع".

فجأة، لم تحب كيم ما سمعته. سمعت ألماً كبيراً في صوت ديانا فشعرت بالخوف. "ديانا؟" لكن لا إجابة. لقد بدأت تبكي. "هل أستطيع أن آتي الآن؟"

أرادت أن تقول لها لا، أرادت أن توقفها، لم تشأ رؤيتها، لكنها لم تملك القوة.

"ديانا، هل تسمعينني؟ سآتي إليكِ. سأكون عندكِ في غضون دقيقتين".

سمعت ديانا خطوات كيم على درج الاستوديو قبل أن تتمكن هي من النزول إلى الأسفل. لا تريدها أن ترى كومات اللوحات المكدسة على الجدران، لكن الأوان قد فات. طرقت كمبرلي مرة واحدة على الباب، ودخلت، ونظرت حولها بدهشة كبيرة، من دون أن تفهم ما رأته. كانت هناك عشرون أو ثلاثون لوحة متكئة على الجدران.

"ما كل هذا؟" عرفت أنه لا يمكن أن يكون عملاً جديداً. وفيما قلّبت اللوحات الواحدة تلو الأخرى، وشاهدت لوحات مألوفة، التفتت إلى ديانا والمفاجأة في عينيها. "هل انسحبت من المعرض؟" أومأت ديانا برأسها. "لكن لماذا؟ لقد أقمتِ معرضاً جميلاً وكانت التعليقات جيدة. آخر مرة تحدثتُ فيها

إلى بين، قال لي إنه باع نصف لوحاتكِ تقريباً. لماذا؟" ثم فهمت. "بسبب مارك؟"

تنهدت ديانا، وجلست. "توجب عليّ الانسحاب".

جلست كيم قبالتها، والقلق في عينيها. بدت ديانا متعبة، شاحبة ومنهكة، والأسوأ من ذلك أن شيئاً مأساوياً سيطر على عينيها. "ديانا، أعرف ما هو شعورك حيال ما حصل مع بيلار. أو ربما لا أعرف فعلاً، لكنني أستطيع أن أتخيل. لكن لا يمكنك تدمير كل حياتك. يجب أن تكون مهنتك منفصلة عن كل شيء آخر".

"لكنها ليست كذلك. بسبب بين". اختفت الكلمات بين يديها ودموعها.

اقتربت كيم من ديانا، وأخذتها بقوة بين ذراعيها. "أطلقي ما في داخلك".

من دون أن تعرف السبب، فعلت ديانا. بكت بين ذراعي كيم لما بدا أياماً طويلة، بسبب خسارة بيلار، وبين، وربما حتى مارك. عرفت أنها خسرته بسبب عشيقته. الشيء الوحيد الذي لم تخسره هو الطفل الذي لا تريده. لم تقل أي شيء لكيم لكنها تركت نفسها تبكي بين ذراعيها. شعرت أن ساعات طويلة مضت قبل أن تتوقف أخيراً، ونظرت ديانا إلى وجه كيم.

"أوه، كيم، أنا آسفة جداً. لا أعرف ما الذي حصل. أنا فقط.."

"لا تعتذري بحق السماء. لا يمكنك كبت كل هذا داخلك. لا يمكنك. هل تريدين فنجان قهوة؟"

هزّت رأسها، ثم ابتسمت قليلاً. "ربما فنجان شاي". رفعت كيم سماعة الهاتف، وطلبت المطبخ.

"ويمكننا بعدها ربما القيام بنـــزهة. ما رأيك في ذلك؟"

"ماذا عنكِ أنت؟ هل أوقفت عملك أم أنك أخذت يوم إجازة إكراماً لي؟" ابتسمت ديانا عبر عينيها الحمراوين والدامعتين.

"اللعنة، إذا استطعتِ الانسحاب من المعرض، ربما يجدر بـــي الانسحاب



أنا أيضاً. هذا غير منطقي".

"لا، أنت مخطئة. كنت محقة في فعل ما فعلته".

"لكن لماذا؟ لا أفهم".

كانت ديانا على وشك إخبارها بألا تبالي. لكنها بدل ذلك، نظرت إلى كيم، وقالت: "لا أريد رؤية بين بعد الآن".

"أنهيت العلاقة مع بين؟"

لبرهة طويلة، توقف كل شيء في الغرفة فيما نظرت المرأتان إلى بعضهما البعض. أومأت ديانا برأسها.

"هل ستبقين مع مارك؟"

"أنا مجبرة".

تنهدت، وأحضرت الصينية التي تركتها مارغريت أمام الباب. أعطت كيم فنجان القهوة، وجلست هي مع كوب الشاي، ترتشف القليل منه قبل أن تغمض عينيها بقوة ثم تتابع الكلام مجدداً. "سننجب أنا ومارك طفلاً".

"ماذا؟ هل تمزحين؟"

فتحت ديانا عينيها مجدداً. "أتمنى لو كنتُ كذلك. عرفت ذلك في فرنسا. أغمي عليّ في دار عبادة في الريف بعد أيام قليلة من دفن بيلار، وأصرّ مارك على أخذي إلى المستشفى المحلي. ظن أنني مصابة بمرض عضال، لكننا كنا نحن الاثنان مصابين بالهستيريا في تلك المرحلة. تبين لاحقاً أنني حامل منذ شهرين".

"وكم مضى على حملك الآن؟"

"ثلاثة أشهر بالضبط".

"لا تبدين هكذا". بقيت كيم مصدومة، ونظرت إلى ديانا للتحديق ملياً في بطنها المسطح تماماً تحت سروال الجينـــز.

"أعرف أنني لا أبدو هكذا. أظن أنني نحيلة قليلاً هذه الفترة، وكنت

متوترة جداً بحيث خسرت بعض الوزن".

"يا الله! هل يعرف بين؟"

هزّت ديانا رأسها. "لا أستطيع إخباره بذلك. كنتُ أفكر في... إجهاضه. وحاولت. خططت لكل شيء، لكن حين وضعوني على الطاولة، لم أتمكن. ليس مع طفلين ميتين، والآن بيلار. مهما كنت غير راغبة في هذا الطفل، لا أستطيع إجهاضه".

"ومارك؟"

"إنه سعيد جداً. سيحصل أخيراً على ابنه. أو على بديل لبيلار".

"وأنتِ ديانا؟" كان صوتها ناعماً بشكل مؤلم.

"على ماذا سأحصل؟ ليس الكثير. خسرت الرجل الوحيد الذي أحببته فعلاً، وأنا الآن عالقة في زواج اكتشفت أنه مات قبل سنوات. سأرزق بطفل آخر قد يعيش أو لا يعيش؛ وإذا فعل، سيكون طفل مارك ويرتد ضدي مجدداً، ويصبح فرنسياً مئتين في المئة. كيم الله وحده يعلم كم هذا يؤلمني. لكن ما هي خياراتي وما الذي أستطيع فعله؟"

"يمكنك إنجابه لك وحدك، إذا أردت الطفل. حتى بين قد يرغب فيه، حتى لو لم يكن منه".

"لن يدعني مارك أذهب أبداً. سيفعل كل ما بوسعه لمنعي". بدا ذلك خطراً غامضاً لكنها شعرت بالذعر من كلماتها. راقبت كيم الألم في عيني صديقتها.

"لكن ما الذي يستطيع فعله؟"

"لا أعرف. شيئاً ما. أي شيء. أشعر وكأنني لا أستطيع الهروب أبداً. إذا حاولت فعل ذلك لوحدي، سيفعل كل ما بوسعه لوقفي. وسيدمر نوعاً ما ثقتي في نفسي، ويقنعني بأنني لا أستطيع".

"قولي لي شيئاً، ديانا" نظرت إليها كيم طويلاً. "هل ترسمين هذه الأيام؟"





هزت ديانا رأسها. "وما الجدوى؟ لا أستطيع العرض". هزّت كتفها بلامبالاة.

"لم تعرضي طوال عشرين عاماً، واستمريت في الرسم. لماذا توقفت الآن؟"

"لا أعرف".

"لأن مارك طلب منكِ ذلك؟ لأنه يظن أن هذه حماقة، لأنه يحتقرك أنتِ وعملكِ الفني". أصبحت عينا كيم تشتعلان غضباً الآن.

"لا أعرف، ربما... إنه يجعل كل شيء يبدو تافهاً وعديم الجدوى".

"وبين!"

أصبح صوت ديانا ناعماً فجأة، وعادت الإشراقة إلى عينيها مجدداً، ذلك النور الذي نادراً ما تراه كيم. "الأمر مختلف جداً مع بين".

"ألا تظنين أنه سيحب ذلك الطفل؟"

"لا أعرف". عادت ديانا إلى الواقع، ونظرت مطولاً إلى كيم. "لا أستطيع سؤاله. هل تدركين أنني كنتُ حاملاً بطفل مارك طوال الوقت الذي كنتُ فيه مع بين؟ هل لديك فكرة عن مدى فظاعة ذلك؟" بدت ديانا لبرهة كأنها تكره نفسها.

"لا تكوني حزينة ويائسة بحق الله. لم تكوني على علم بأنكِ حامل، أليس كذلك؟"

"لا. طبعاً لا".

"هل ترين؟ بحق الله، ديانا، قد يكون هذا الطفل من بين".

لكنّ ديانا هزّت رأسها. "لا، هناك فارق شهر كامل".

"ربما كان تشخيصهم مخطأً. عليك أن تتأكدي".

"نعم، يجب. لكن من الصعب معرفة ذلك. دورتي الشهرية غير منتظمة. وهذا ما يجعل الأمور مربكة جداً. عليّ الاعتماد على نظرياتهم، وليس

نظريتي. وهم يقولون إنني أصبحت حاملاً بين منتصف وأواخر يونيو. يمكن أن يكون الطفل من بين... ولكنّ هذا مستبعد".

جلست كيم بصمت لوقت طويل، تراقب صديقتها، قبل أن تطرح عليها السؤال الذي بدا مهماً لها. أما الباقي فلا يهم تماماً. "ديانا، هل تريدين الطفل؟ أعني، لو لم يكن أي منهما موجوداً، لو اختفى كلاهما عن وجه الأرض وبقيت أنتِ فقط، هل كنت ستحتفظين بهذا الطفل؟ فكّري في الأمر لثانية قبل أن تجيبيني".

لكنها ليست مضطرة لذلك. لقد سألها الدكتور جونز الشيء نفسه. نظرت إلى كيم مع إشراقة خفيفة في عينيها. "الجواب هو نعم. نعم، أريد الطفل. أريده أن يكون طفلي أنا. لي وحدي". نظرت بعيداً والدموع في عينيها. "ويمكنني أن أقول دوماً لنفسي بأنه طفل بين".

تنهدت كيم، ووضعت فنجانها. "إذاً، بحق الله ديانا، استمتعي به. اعشقيه. كوني معه. كافحي لأجله... ولكن دعيه لكِ وحدك. اتركي مارك حتى تتمكني على الأقل من الاستمتاع بهذا الطفل".

"لا أستطيع. أنا خائفة".

"من ماذا؟"

هزّت رأسها كما لو أنها تشعر بالعار.

"المشكلة في ذلك هي أنني لا أعرف".



# 27

"لا أعرف كيم. لا أحب التصاميم ولا أجد الطلة كلها مصقولة كفاية". مرر بين يده في شعره، وحدّق في الحائط البعيد وهو شارد الذهن. من الصعب جداً التعاطي معه هذا الصباح، وعرفت كيم ما الذي يشغل باله فيما راقبته.

"ربما لو نمت قليلاً ليلة البارحة بعد رحلتك من لندن، لكنت أحببتها أكثر". حاولت ممازحته، لكنّ هذا عديم الفائدة. بدا في الواقع أسوأ من ديانا، ولم يكن هذا سهلاً.

"لا تكوني ماكرة. تعرفين الطلة التي أريدها".

"حسناً. سنحاول مجدداً. هل ستبقى هنا لفترة طويلة حتى تراجع التصاميم بعد أسبوعين، أم أنك ستسافر مجدداً؟" بات يفعل ذلك كثيراً في الآونة الأخيرة.

"سأسافر إلى باريس يوم الثلاثاء المقبل. لكنني سأعود بعد أسبوعين. عليّ إنجاز عمل في منــزلي".

"هل تعيد ترميمه؟"

"سأنتقل".

"ولماذا؟ ظننت أنك تحبه". على مرّ الأشهر التي تعاملت فيها كيم معه، أصبحا صديقين. كما أن علاقته بديانا عززت الرابط بينهما.

"لم أعد أستطيع تحمل المكان". فجأة، وجدت عينيه تحدقان في عينيها. "هل رأيتها في الآونة الأخيرة؟" أومأت كيم بصمت. "كيف حالها؟"

"بخير". *محطمة القلب، يائسة مثلك تماماً.*

"جيد. أتمنى لو أنني أستطيع قول الشيء نفسه. كيم، لا أعرف كيف أقول ذلك. سأصاب بالجنون. لا أستطيع التحمل. لم أشعر يوماً هكذا. ولا حتى عندما تركتني زوجتي. لكن هذا غير منطقي. كان كل شيء جيداً بيننا. ووعدتها... وعدتها بأن تكون العلاقة لفصل الصيف فقط، ولن أضغط عليها. لكن بحق الله كيم، إنها تدفن نفسها مع ذلك الرجل. لا أظن حتى أنه يحبها".

"إذا كان هناك من عزاء، لم أظن ذلك يوماً أنا أيضاً".

"لا يحبها. لكنها قررت البقاء معه، مهما كان رأيي أو رأيك. هل هي سعيدة؟ هل ترسم؟"

أرادت كيم أن تكذب عليه، لكنها لم تستطع. "لا. لا هذا ولا ذاك".

"إذاً لماذا؟ بسبب بيلار؟ هذا غير منطقي بالنسبة إليّ. كان بوسعها أن تطلب مني الإنتظار وكنت سأفعل. كان بوسعها البقاء معه لفترة. لم أكن لأضغط عليها. ما القيد الذي يربطها به؟"

"العلاقات مضحكة هكذا. يصعب على الغرباء معرفة ما يجري. أعرف أشخاصاً يكرهون بعضهم وبقوا متزوجين خمسين عاماً".

"يبدو هذا جميلاً". لكن حين تحدث إليها، عاد الحزن إلى وجهه مجدداً. "أود الاتصال بها، لكن لا أظن أنه يجدر بــي فعل ذلك".

"ماذا عنك أنت بين؟ ماذا تفعل؟" كان صوتها رقيقاً جداً.

"أبقي نفسي مشغولاً. لا أملك أي خيار. لم تترك لي أي خيار".

أرادت أن تقول له إنه سيتخطى المحنة، لكن بدا فظاً جداً قول مثل هذا الشيء له. "هل أستطيع المساعدة؟"

"نعم. ساعديني على خطفها". نظر بعيداً مجدداً. "هل تعرفين؟ لم يعد بوسعي النظر إلى لوحة وايث بعد الآن لأنها تشبهها كثيراً". تنهد ووقف، كما لو أنه يريد الهروب من أفكاره. "لا أعرف ما الذي يجدر بــي فعله كيم. لا



أعرف ماذا يجب أن أفعل".

"ما من شيء يمكنك فعله. أتمنى لو كنت أستطيع المساعدة".

"وأنا أيضاً. لكنك لا تستطيعين. هيا، سأشتري لك الغداء".

أعادت كيم إعلانات المعرض إلى حقيبتها، ووضعت الحقيبة مجدداً على الأرض. من المرعب رؤيته هكذا.

"هل تعرفين؟ أجد نفسي أحياناً أتمنى لو أستطيع رؤيتها. في كل مطعم أذهب إليه، وكل متجر وحتى في مكتب البريد أجد نفسي أفتش... كما لو أنني إذا نظرت جيداً بما يكفي، سأرى وجهها".

"إنها لا تخرج كثيراً هذه الأيام".

"هل هي على ما يرام؟ ليست مريضة، أليس كذلك؟" هزّت كيم رأسها، وتابع هو القول: "أفترض أن الحل الوحيد هو الحركة المستمرة، والسفر، والركض".

"لا يمكنك فعل ذلك إلى الأبد". وقفت، ولحقته إلى الباب، فيما نظر إليها بحزن من وراء جدران سجنه الخاص.

"أستطيع المحاولة".

# 28

"ماذا قال الطبيب اليوم؟" كانت ديانا مستلقية في السرير حين عاد مارك إلى المنــزل. "هل كل شيء على ما يرام؟"

"قال إنه بالنسبة إلى حامل في الشهر الرابع، يعتبر الجنين صغيراً، لكنه يعتقد أن سبب ذلك التوتر العصبــي والوزن الذي خسرته. يريد أن يعاينني هذه المرة بعد أسبوعين للتأكد من أنه يستطيع سماع ضربات قلب الطفل. لا يزال صغيراً جداً لسماعه الآن، وقال جونز إنه كان يفترض سماعه اليوم. ربما يستطيع ذلك بعد أسبوعين". لكن مارك لم يكن قلقاً عند سماعه الخبر. "كيف كان يومك؟"

"متعب جداً. لكننا حصلنا على قضية جديدة". بدا مسروراً.

"أين؟"

"في أمستردام. سأتشاركها مع جيم سوليفان". نظر إليها مع ابتسامة. "قلت لك إنني لن أغيب طوال الوقت. هل كنت صادقاً في وعدي؟"

"طبعاً". ابتسمت هذه المرة هي أيضاً. لقد عاد إلى المنــزل قبل شهرين، ولم يتحرك أبداً. باستثناء عطلة نهاية أسبوع في باريس. لم يعد هذا يهم كثيراً الآن. شعرت بالارتياح نوعاً ما، لكنه قال لها إنه أنهى العلاقة مع تلك الفتاة. "ما من سبب يمنعك من استلام هذه القضية. متى ستذهب إلى المحكمة؟"

"ليس قبل شهر يونيو ربما. بعد ولادة الطفل".

الطفل. لا يبدو هذا حقيقياً. ليس بالنسبة إليها. فقط بالنسبة إلى مارك.

"هل تريدين تناول شيء ما؟ سأنزل لإحضار وجبة خفيفة". نظر إليها من



الباب، مع تلك الابتسامة اللطيفة. كل ما يستطيع التفكير به الآن هو طفلهما، وراحتها، بقدر ما يتعلق ذلك بطفله. يؤثر ذلك فيها أحياناً، لكنه يزعجها في معظم الأوقات. عرفت أنه لا علاقة أبداً للأمر بها. له علاقة بالطفل؛ بوريثه.

"ماذا سنأكل، الكبيس المخلل مع البوظة؟"

"ماذا تفضلين ديانا؟ الكافيار الشراب؟ يمكن إعداد ذلك أيضاً".

"أكتفي ببعض قطع البسكويت".

"هذا ممل. أتمنى أن يكون ذوق الطفل أفضل".

"أنا واثقة من ذلك".

عاد بعد دقائق قليلة، وهو يحمل البسكويت لها وشطيرة لنفسه.

"لا فراولة، لا بيتزا، لا تاكو؟"

هذه أول مرة يلاحظ لديها حس الدعابة منذ أشهر. لكنها كانت تعيش يوماً جميلاً. بعد زيارتها للطبيب، ذهبت لتناول الغداء مع كيم. كانت كيم تساعدها في هذه الأيام الغريبة والوحيدة. وكان باستطاعة ديانا إخبارها كم تشتاق إلى بين. لكنها لا تزال تنتظر أن يتوقف ألم الفراق. لم يظهر لغاية الآن أي دليل على أنه يخبو.

كان مارك على وشك إعطائها قضمة من شطيرته حين رن الهاتف. "تريد الإجابة عليه؟ إنه لك على الأرجح".

"في هذه الساعة؟" نظر إلى ساعته ثم أومأ برأسه. إنها الثامنة صباحاً في أوروبا. وثمة احتمال كبير أن يكون الاتصال له. جلس في السرير قرب زوجته. لم يشاهدها ودودة هكذا منذ أسابيع. ابتسم لها مرة جديدة ورفع سماعة الهاتف. "آلو؟" كان هناك الطنين الاعتيادي للخطوط الدولية وانتظر لسماع أحد زبائنه على الخط.

"مارك إدوار؟" كان الصوت خائفاً ومليئاً باليأس، وشعر هو فجأة أنه أصبح شاحباً. شانتال. لاحظت ديانا ظهره يتصلب قليلاً، والتفت بعيداً عنها مع

عبوس في وجهه.

"نعم؟ ماذا؟" لقد تحدث إليها هذا الصباح. لماذا تتصل به في المنـــزل؟ لقد وعدها بأن يعود إلى أوروبا خلال الأسابيع القليلة المقبلة. إنه واثق من أنه يستطيع ترك ديانا بعد ذكرى الشكر. يكون بذلك قد أدى واجباته. شهران ونصف الشهر قربها، في الولايات المتحدة. "هل من خطب ما؟"

"نعم". أصدرت تنهيدة طويلة وكبيرة، وشعر بالخوف يملأ قلبه. "أنا... أنا في المستشفى مجدداً".

"آه اللعنة". أغلق عينيه وراقبته ديانا وهو يعبس. "لماذا الآن؟ الشيء نفسه؟"

"لا. خلطت الأنسولين".

"لكنكِ لا تفعلين ذلك أبداً". *إلا عمداً*، قال لنفسه وتذكر تلك الليلة في المستشفى والذعر الذي شعر به. "بعد كل هذه السنوات، لا بد أنكِ تعرفين..." *اللعنة*. من الغريب الجلوس هنا، والتحدث إليها، فيما ديانا تراقبه. "لكن هل أنتِ على ما يرام؟"

"لا أعرف". ثم وبعد برهة، "أوه، مارك إدوار، أحتاج إليك. ألا تستطيع المجيء إلى المنـــزل؟" اللعنة. كيف يناقش معها الموضوع هنا؟

"لا أملك الأوراق المناسبة هنا لتقييم وضعك كما يجب. هل يمكننا مناقشة المسألة غداً من مكتبي؟" حمل الهاتف ومشى عبر الغرفة ووصل إلى كرسي. عادت ديانا لقراءة كتابها. بدت المحادثة مملة، وبدا مارك منـــزعجاً.

لكن مارك كان يجد الحديث غير ممل البتة. صرخت شانتال حين اقترح عليها مناقشة الموضوع من المكتب في اليوم التالي.

"لا! لا يمكنك تأجيلي".

"أنا لا أؤجلك. لكنني لا أعرف ببساطة متى أستطيع".

"إذاً دعني آتي إليك. وعدتني قبل أن تغادر بأنه إذا لم تتمكن أنت من



المجيء، أستطيع أنا الذهاب إليك. لماذا لا أستطيع؟"

"عليّ مناقشة الأمر معك غداً، حين أملك الملفات. هل يمكنك الانتظار عشر ساعات ثم أعاود أنا الاتصال بك؟" أصبحت نبرته فولاذية الآن. "أين أستطيع الاتصال بك؟" أعطته اسم عيادة خاصة، وشعر بالامتنان هذه المرة لأنها لم تكن في المستشفى الأميركي، إذا لا يتحمل الاتصال بها هناك. "سأعاود الاتصال بك ما إن أصل إلى المكتب".

كانت تتصرف مثل طفلة مدللة. وخطرة. لا يريد إحداث المزيد من المشاكل مع ديانا. ليس قبل أن يولد الطفل. بعدها سيرى ماذا سيفعل. لكن نظراً لجنسيته، سيكون الطفل فرنسياً قانونياً، وكذلك أميركياً. وفي فرنسا، يكون تحت الوصاية الفرنسية. سيكون له. إذا أخذ هذا الطفل إلى فرنسا، لن يكون بوسع ديانا فعل أي شيء لاسترداده. لا شيء. ستبقيه هذه الفكرة متفائلاً خلال الأشهر السبعة المقبلة. حين يبلغ الطفل شهراً واحداً، سيأخذانه إلى فرنسا لرؤية جدته للمرة الأولى. ستذهب ديانا طبعاً، لكنها تستطيع بعدها اتخاذ الخيار الذي يناسبها. يمكنها الذهاب أو البقاء. لكن الطفل لن يغادر البلاد مجدداً. سيعيش عند الضرورة مع والدة مارك، وسيقضي مارك معظم وقته هناك. هذا الطفل له... مثلما كان يفترض أن تكون بيلار؛ وكانت لتكون كذلك لولا ديانا. إن فكرة الطفل الجديد أبعدت عقله قليلاً عن بيلار. سيكون هذا الطفل له هو بالكامل. في غضون ذلك، يحتاج إلى ديانا. يحتاج إليها بصحة سليمة وسعيدة حتى تنجب الطفل. بعد ذلك، سيكون سعيداً تماماً إذا بقي متزوجاً منها؛ إذا أرادت البقاء مع الطفل في فرنسا. لقد فكّر في كل شيء. والآن، ليس الوقت مناسباً حتى تقلب شانتال المعادلة.

"مارك إدوار؟ هل تسمعني؟ قلت لك إنه إذا لم تأتِ أنت، سأركب في أول طائرة".

"إلى أين؟" كان صوته جليدياً.

"سان فرانسيسكو طبعاً. إلى أين تظن؟"

"دعيني أتخذ أنا هذا القرار. وسأبلغك غداً. غداً. فهمت؟"

"حسناً. مارك إدوار؟"

"نعم؟" أصبح صوته ناعماً عند سماع نبرتها.

"أحبك كثيراً".

"أنا واثق من أن الاتفاق متبادل". كاد يبتسم لبرهة. "سأتحدث إليك بعد ساعات قليلة. ليلة سعيدة".

أقفل مارك سماعة الهاتف مع تنهيدة.

"زبائن منــزعجون؟"

"ليس أمراً أعجز عن تسويته".

"وهل من أمر تعجز عن تسويته؟"

ابتسم وراقب عينيها. "أتمنى لا يا عزيزتي. أتمنى فعلاً أن يكون الجواب لا".

كان في السرير بعد نصف ساعة. استلقت ديانا مستيقظة إلى جانبه.

"مارك؟"

"نعم؟" كانت الغرفة مظلمة.

"هل من خطب ما؟"

"لا. طبعاً لا. وهو ما الخطب الذي قد يحصل؟"

"لا أعرف. ذلك الاتصال... هل يجدر بك السفر أكثر؟" لكنها عرفت الإجابة على هذا السؤال.

"نعم. لكنني أستطيع تدبر الأمور كما هي. لا أريد أن أتركك لوحدكِ".

"سأكون بخير".

"ربما. لكن طالما أنني لست مضطراً للذهاب إلى أي مكان، لن أذهب".

"أقدّر ذلك".



كانت هذه أول فكرة لطيفة منه منذ أشهر، أغلق عينيه لبرهة فيما لمست متن يده. أراد أن يأخذ يدها، يمسك بها، يقبلها، يناديها ديان حبيبتي، لكنه لم يعد يستطيع. ليس بعد الآن. ليس الآن. في الوقت الحاضر، تتسابق أفكار شانتال في رأسه.

"لا تقلقي ديانا. سيكون كل شيء بخير". ربّت على يدها، وأدار لها ظهره في الطرف البعيد من السرير.

"أي نوع من الجنون هذا؟ تتصلين بــي في المنــزل في منتصف الليل؟" كان صوت مارك إدوار غاضباً عليها عبر مساحة قارة ومحيط. "ماذا لو أجابت ديانا على الهاتف؟"

"وماذا سيحصل؟ إنها تعرف".

لا. كانت تعرف. في الماضي. ليس الآن. "لا أهتم أبداً لما تعرفه، لكنكِ لا تملكين الحق لفعل ذلك. قلتُ لكِ ألاّ تفعلي".

"لدي الحق في فعل ما أريده". لكنّ صوتها ارتعش. فجأة، أصبحت تبكي في أذنه. "لا أستطيع مارك إدوار. لا أستطيع الاستمرار. أرجوك، لقد مضى أكثر من شهرين".

"مضى شهران ويومان بالضبط". لكنه كان يوارب. عرف أنه إذا لم يشأ أن يخسرها، عليه فعل شيء ما. سيكون شتاء صعباً، من التوفيق بينهما.

"أرجوك...". كادت تكره نفسها على توسله، لكنها بحاجة إليه. أرادت أن تكون معه. لا تريد أن تخسره مجدداً بسبب زوجته. تتآمر الأحداث دوماً ضدها، حتى في موت بيلار، جعلته الظروف أقرب من ديانا، في لحظات كانا يحتاجان فيها إلى بعضهما البعض. إنها الآن تحتاج إليه أكثر ولن تخسر.

"مارك إدوار؟" عاد التهديد إلى صوتها.

"شانتال، حبيبتي، ألا يمكنك الانتظار قليلاً أكثر؟"

"لا. إذا لم تفعل شيئاً الآن، ينتهي كل شيء. لا أستطيع الاستمرار هكذا. سيقودني ذلك إلى الجنون".

أوه، يا الله، ماذا سيفعل معها؟ "سآتي إليك الأسبوع المقبل".

"لا، لن تفعل. ستجد عذراً". فجأة، عادت نبرتها للتهديد مجدداً. "أحضرني صديقي إلى المستشفى، مارك إدوار، رجل. الرجل الذي ذكرته لك هذا الصيف. إذا لم تدعني آتي إليك، سوف..."

"لا تهدديني شانتال". لكنّ شيئاً في كلماتها ونبرتها جعل قلبه يتألم. "ماذا تقولين لي، إنكِ ستتزوجين هذا الرجل؟"

"ولمَ لا؟ أنت متزوج، فلماذا لا أكون متزوجة أنا أيضاً؟"

يا الله. ماذا لو كانت جادة؟ ماذا لو فعلت ذلك، كما حصل في محاولات الانتحار؟ "إذا أتيت إلى هنا"، قال لها، "لا يمكنك التنقل في المدينة. عليك أن تكوني حذرة جداً. ستضجرين بسرعة".

"هل تسمح لي بأن أقرر ذلك بنفسي؟" . عرفت أن يراوغ، وبدأت ترتسم ابتسامة صغيرة على وجهها. "سأكون بخير حبيبي، أعدك".

ثم ابتسم هو أيضاً. "أنتِ دوماً جيدة. ليس فقط جيدة، وإنما رائعة. حسناً لقد نجح ابتزازكِ. سأحجز لكِ بطاقة سفر اليوم".

صرخت علامة النصر والفرح. "متى أستطيع المجيء؟"

"متى ستغادرين المستشفى؟"

"الليلة".

"إذاً، تعالي غداً". أصبحا يبتسمان الآن. اللعنة على المضاعفات، فهو يتوق كثيراً لرؤيتها. "وشانتال..."

"نعم، حبي". طغت على صوتها البراءة والقوة، كما لو أنها صاروخ نووي ملفوف بحرير وردي.

"أحبك".



# 29

كانت شانتال أول شخص يعبر الجمارك، وفيما راقبها تشق طريقها نحوه، شعر بالابتسامة تملأ كل وجهه. يا ربي، إنها تبدو رائعة. كانت ترتدي بذلة من القماش السويدي خمرية اللون مع ياقة كبيرة من جلد النمر وقبعة متناسقة. تطاير نحوه شعرها المحمرّ، ورقصت العينان الذهبيتان فيما ركضت للوصول إليه. لاحظ لبرهة أنها تريد تقبيله، ثم تذكرت. مشيا بدل ذلك جنباً إلى جنب، يتهامسان، يتحدثان، يضحكان. كانا يريدان تقبيل بعضهما. كان واضحاً كم هما سعيدان بلقائهما مجدداً. كاد ينسى كم هي رائعة ومميزة. فبعد الاكتفاء بالتحدث إليها عبر الهاتف، كاد ينسى مفاتنها. بالكاد استطاع إبعاد يديه عنها حين اختفيا في سيارة الليموزين التي استأجرها. وأخيراً، لمست يداه جسمها، ووجهها، وشدها إليه وقبل فمّها بقوة.

"أوه، تبدين رائعة". كان منقطع الأنفاس تقريباً فيما أمسكها قربه، وابتسمت هي. استعادت السيطرة مجدداً، وضحكت قوتها له عبر عينيها.

"أحمق، لقد تركتني بعيدة طوال سنة".

"لا، لكن... الأمور ساءت قليلاً".

برمت عينيها، وتنهدت. "لا يهم. لقد انتهى ذلك الآن. طالما نحن معاً، لا أكترث لأي شيء". تساءل لبرهة لكم من الوقت تريد أن تبقى، لكنه لم يسألها. لا يريد التحدث إليها أبداً، وإنما يريد فقط الإمساك بها لبقية حياته.

توقفت السيارة أمام فندق هانتينغتون، وساعدها مارك على الخروج من السيارة. لقد حجز لها غرفة مسبقاً، ودفع عن عشرة أيام. ليس عليهما فعل أي شيء سوى الاختفاء في غرفتها. أخبر مكتبه أن سيغيب طوال اليوم.

"مارك؟" رفعت رأسها بنعاس وسط الظلمة، وابتسمت. إنها الساعة الثانية فجراً وهي نائمة منذ ساعتين.

"لا. إنه الرئيس. ومن تتوقعين؟"

"أنت؟ لماذا عدت متأخراً جداً". لم يتصل بها، كما أنها لم تقلق عليه.

"زبائن من خارج المدينة. عقدنا اجتماعات متتالية طوال اليوم. لم نخرج حتى لتناول الغداء". لقد طلبا خدمة الغرف بدل ذلك، وأعدّ ترتيبات خاصة لإرسال العشاء لهما من مطعم لايتوال.

"يبدو ذلك مملاً جداً". ابتسمت في الظلمة، والتفتت في السرير.

"كيف تشعرين؟" بدأ يخلع ثيابه، وأدار ظهره لزوجته. من الغريب أن يعود إلى المنـــزل الآن. لقد بقي طوال الليل خارجاً، لكن توجب عليه تمهيد الطريق لذلك. وعد شانتال بقضاء عطلة نهاية الأسبوع معها، وبضعة أيام أخرى.

"أشعر بالنعاس، شكراً".

"جيد. وأنا أيضاً". استلقى في سريرهما، ولمس وجنتها، وقبّلها في مكان ما من أعلى رأسها. "ليلة سعيدة". هذا ما قاله أيضاً لشانتال حين تركها، وإنما أضاف لها كلمة "حبي".

"لا أهتم"، قالت شانتال. "لن أغادر. وإذا توقفت عن دفع أجرة الفندق، سأدفع الأجرة بنفسي أو أعثر على شقة. تتيح لي تأشيرة الدخول البقاء هنا لستة أشهر".

"هذا سخيف". نظر إليها مارك عبر الغرفة. إنهما يتجادلان منذ ساعة، ونتأ ذقن شانتال الرفيع نحوه بغضب واضح. "قلت لك. سأعود إلى باريس بعد أسبوعين".

"لكم من الوقت؟ خمسة أيام؟ أسبوع؟ ثم ماذا؟ لا أراك لشهرين إضافيين.



لا! لا وألف لا! إما أن نبقى معاً الآن، أو ينتهي الأمر. إلى الأبد! وهذه هي كلمتي الأخيرة مارك إدوار دوراس. احسم خيارك، وقرر ما تريده. إما أن أبقى هنا الآن، ونفعل شيئاً ما معاً، أو أعود إلى وطني. وينتهي كل شيء. فهمت؟" كانت تصرخ في الغرفة الأنيقة. "لكنّ اللعبة التي أديناها انتهت بالنسبة إليّ. لا أريد المزيد! أخبرتك ذلك قبل أن آتي. لا أفهم لماذا تريد البقاء متزوجاً منها. لم تعـد لديك بيلار لتحتج بها الآن. لكنني لا أهتم. لن أستمر في العيش من دونك إلى الأبد. لا أستطيع. لا. سأبقى، وإلا...". نظرت إليه بشراسة "... أذهب إلى الأبد".

"وماذا يحصل بعد ستة أشهر حين تنتهي تأشيرتكِ؟ هذا إذا سمحت لكِ بالبقاء هنا". كانت أفكاره تتسارع ويفكر في... ستة أشهر. يمكن أن ينجح ذلك. تستطيع شانتال العودة إلى فرنسا حينها، ويلحق بها بعد أسابيع قليلة. يكون حينها قد وضع ديانا والطفل في شارع فرانسوا الأول مع أمه. ومن المنطقي أكثر أن يمضي معظم وقته هناك. سيسافر مرات عدة إلى الولايات المتحدة، لكن باريس ستكون مقره الرئيسي. قال لها: "تعرفين، شانتال، قد تسير الأمور بشكل جيد في النهاية. ماذا لو أخبرتك أنني أفكر في نقل مقر سكني الرئيسي إلى باريس في السنة المقبلة؟ سأترك المكتب هنا، لكن بدل السفر من هنا إلى باريس طوال الوقت، أفعل الشيء المعاكس وأعيش هناك".

"مع زوجتك؟" نظرت إليه بعينين مشككتين. لم تكن واثقة مما يجول في رأسه.

"ليس بالضرورة شانتال. ليس بالضرورة على الإطلاق. أنا أخطط لعدد من التغييرات في السنة المقبلة". نظر إليها مع ابتسامة صغيرة، وبرز ضوء صغير في عينيها هي أيضاً.

"ستنتقل إلى باريس؟ لماذا؟" أرادت أن تقول "من أجلي؟"، لكنها لم تجرؤ.

"لديّ عدد من الأسباب للانتقال إلى هناك، وأنتِ واحدة منها".

"هل أنت جاد؟" وقفت تراقبه، وأحبت ما رأته.

"نعم".

"وفي غضون ذلك؟"

"أسمح لكِ بالبقاء هنا". كان يبتسم نصف ابتسامة. وما إن خرجت الكلمات من فمه حتى ركضت نحوه، وأصبحت بين ذراعيه.

"هل أنت جاد؟"

"نعم حبيبتي أنا جاد".



# 30

ركن مارك إدوار سيارة الجاكوار في الزاوية، ورفع علبة كبيرة ملفوفة بورقة هدية عن المقعد. لقد أرسل لها الأزهار قبلاً، لأنه من الغريب أن يحملها بنفسه في الشارع. كانت العلبة كبيرة، وإنما مرتبة. توقف أمام المنـــزل الصغير الواقع بين قصور نوب هيل، وضغط على أحد الجرسين. إنها شقة هادئة يمكن الوصول إليها عبر عدد صغير من الأدراج. الأرضية مزينة بالرخام الأسود والأبيض فيما الأكسسوارات من النحاس المصقول جيداً. انتظر قليلاً فيما سمعها تركض نحو الباب. لقد استأجرا هذه الشقة المفروشة من نوفمبر حتى يونيو. وعثرا عليها في أقل من أسبوع. إنها تعيش فيها منذ يومين، لكنّ هذا أول عشاء لهما في المنـــزل.

استمع إلى خطواتها تقترب نحوه، ولم يستطع كبت ابتسامته. كان هذا القرار الصحيح، حتى لو ضغطت هي عليه، لكن من الجيد وجودها قربه طوال فصلي الشتاء والربيع. لم تعد ديانا تخرج برفقته. إنها تختبئ في الاستوديو معظم الوقت، علماً أنها لا تعمل هناك على ما يبدو. إنها تجلس فقط.

"إذاً". رنّ على الجرس مجدداً. فجأة، فتح الباب، وكانت هناك ترتدي قفطاناً من الشيفون الأبيض مع صندل فضي في قدميها.

"مساء الخير سيدي". انحنت له باحترام، ثم كشفت عن ابتسامة ماكرة. كانت الأضواء في الشقة خافتة، وشاهد في الغرفة الخلفية طاولة دائرية صغيرة معدّة للعشاء مع أزهار وشموع.

"كم هذا جميل!" أمسكها بذراع واحدة، ونظر حوله. كل شيء فضي

ومضاء بالشموع. كل شيء يلمع ويسطع. إنها شقة صغيرة، يملكها مهندس ديكور يمضي فصل الشتاء مع عشيقته في فرنسا. تبادل مثالي. شدّها بين ذراعيه. "أنتِ امرأة جميلة، شانتال، حبيبتي. ورائحتك مذهلة أيضاً". ضحكت. لقد أرسل لها قارورة من العطر في اليوم السابق. من الرائع وجودها قربه. يستطيع الفرار من المكتب وقت الغداء، أو اللقاء بها مساءً قبل الذهاب إلى المنـــزل. يستطيع التوقف لشرب القهوة والحصول على قبلة في الصباح أو بعد الظهر.

"ماذا يوجد في العلبة؟" كانت تنظر إلى العلبة الكبيرة بفضول هي مسرورة. مرر يده برفق على ساقها. "أوقف هذا! ماذا يوجد في العلبة؟" كانت تضحك، فيما هو يمرر يده على ساقيها العاريتين صعوداً ونزولاً.

"أية علبة؟ لم أحضر أي شيء في علبة". وضع فمه على ركبتها، وتقدم صعوداً ببطء حتى وصل إلى داخل فخذها. "أجدك حبـــي أكثر إثارة من العلب المجهولة". وهذا هو رأيها. خلال دقائق قليلة، أصبح القفطان على الأرض.

"اللعنة!" قفزت بعيداً عن ذراعيه، فيما كانا مستلقيين في السرير. لقد ناما لنصف ساعة تقريباً. جلس مارك إدوار متفاجئاً.

"اللعنة؟ ماذا تقصدين؟" حاول أن يبدو منـــزعجاً فيما مدد جسمه الطويل العاري على السرير. بدا مثل هرّ طويل جداً وشاحب. لكنها كانت قد اجتازت نصف الغرفة.

"الديك الرومي! لقد نسيته!" دخلت بسرعة إلى المطبخ فيما استلقى هو على السرير مع ابتسامة عريضة. لكنها عادت بعد دقيقة وهي تبدو مرتاحة.

"كل شيء على ما يرام؟"

"نعم، نعم. أنا أخبزه منذ ست ساعات تقريباً، لكنه لا يزال جيداً".

"إنه دوماً كذلك. يصبح مذاقه مثل القش. وهل أستطيع أن أسألك عن



السبب الذي دفعكِ إلى طهو الديك الرومي فيما لم يمضِ على وجودك أكثر من ثلاثة أسابيع في الولايات المتحدة؟" ضحك لها فيما جلس، وجاءت هي للجلوس قربه على السرير.

"أعددته لأن غداً ذكرى الشكر، وأنا شاكرة جداً".

"فعلاً؟ على ماذا؟" استلقى مجدداً فيما داعب شعرها المحمرّ. بات شعرها يصل الآن إلى كتفيها، ويؤطر وجهها بشكل رائع. "على ماذا أنتِ شاكرة أيتها الفتاة الجميلة؟"

"عليك. والعيش هنا. والمجيء إلى الولايات المتحدة. الحياة جميلة حبي".

"فعلاً؟ إذن اذهبـــي وافتحي علبتك". حاول إخفاء ابتسامة.

"أوه، أنت!" ركضت إلى الغرفة الأخرى، وعادت مع العلبة الملفوفة بورقة هدية. "ما هذا؟" بدت مثل فتاة صغيرة يوم العيد وابتسم هو. "ما هذا؟"

"افتحيها لتري!" إنه يستمتع الآن بالأمر فيما مزقت هي ورقة الهدية، واكتشفت علبة عادية بنية اللون. يحب كثيراً الألاعيب التي يستخدمها. جلست تحدق في العلبة، خائفة من أن تفتحها، وهي مسرورة بالمفاجأة.

"هل هذا غرض للمنـــزل؟" كانت عيناها كبيرتين حين نظرتا إليه، لكنّ نظره انتقل بسرعة إلى ... الرائعين فيما ركعت ... على السرير قربه، ممسكة بالعلبة الكبيرة.

"هيا، أيتها السخيفة... هيا". رفعت الغطاء عن العلبة، ورفعت الورق لاكتشاف ما هو موجود. ارتدّت يداها إلى الخلف كما لو أنها لمست ناراً، ووضعت يديها فوراً على فمها.

"أوه، لا! مارك إدوار".

"نعم، آنستي؟"

"أوه...". عادت يداها مجدداً إلى العلبة، واتسعت عيناها أكثر قليلاً، ورفعتا الغرض بدقة وعناية كبيرة. تنهدت هذه المرة حين أمسكته بين يديها،

ثم مررت يدها برفق عليه. إنه معطف روسي جميل جداً بلون الشوكولاتة المرة".

"أوه، يا الله".

"جربيه". أخذه منها، ووضعه بعناية فوق كتفيها. ارتعشت قليلاً، وزررته حتى ذقنها. إنه مميز بقصة جميلة، وبدا رائعاً عليها فيما انسابت الخطوط على خصرها الرفيع ووركيها الضيقين.

"الله، حبيبتي. كم أنتِ جميلة. شانتال. أوه، عزيزتي!" نظر إليها بإعجاب وفرح كبيرين، فيما استدارت على قدم واحدة، وانفتح المعطف قليلاً ليكشف عن ساقٍ عارية.

"لم أحصل يوماً على شيء كهذا". بدت مذهولة فيما شاهدت نفسها في المرآة، ثم نظرت إليه. "مارك إدوار! إنها... هدية مذهلة فعلاً".

"وأنتِ أيضاً". ومن دون كلمة إضافية، غادر الغرفة لإحضار زجاجة شراب. عاد مع الزجاجة وكأسين، ووضعها على الطاولة ثم أخذها بين ذراعيه. "هل يجدر بنا الاحتفال، حبيبتي؟"

أومأت برأسها مع ابتسامة ذهبية، وذابت مجدداً بين ذراعيه.

"ماذا يفعل مارك الليلة؟"

"اجتماعات عمل كالمعتاد". ابتسمت ديانا لكيم. "لديه زبائن من أوروبا هذه الأيام. لا أراه أبداً". هذه هي المرة الأولى التي سمحت فيها لكيم باصطحابها إلى العشاء. فبين موت بيلار وحملها، لم تخرج ديانا إلى أي مكان منذ أشهر. قررتا كالعادة الذهاب إلى مطعم ترايدر فيك. "يا الله، أكره الاعتراف بذلك، لكن من الجيد الخروج". وهنا، لا يوجد أي احتمال لأن تلتقي بين. تعرف إنه يكره مثل هذه الأماكن.

"كيف تشعرين؟"



"لا بأس. يصعب التصديق أنني حامل في شهري الخامس تقريباً". لكنّ حملها بدأ يظهر أخيراً، إذ ظهر نتوء صغير عبر فستان الكريب الأسود الذي كانت ترتديه.

"هل تريدين حفلة؟" نظرت إليها كيم مع ابتسامة فوق مجموعة المقبلات.

"حفلة للطفل؟" سألتها ديانا، وأومأت كيم برأسها. برمت ديانا عينيها. "طبعاً لا. أنا كبيرة جداً على ذلك. يا الله كمبرلي!"

"لست كذلك. إذا لم تكوني كبيرة جداً لإنجاب طفل، لا تكونين كبيرة جداً على الحفلة".

"لا تبدئي في هذا!" لكن ديانا كانت تنظر إليها مع ابتسامة كبيرة. لا يوجد أي غضب أو ألم في عينيها الليلة. لم ترها كيم مسالمة هكذا منذ أسابيع، وبدا أن حس الدعابة لديها قد عاد. "بالمناسبة، ماذا ستفعلين لمناسبة الشكر؟ هل من شيء مميز؟"

"ليس كثيراً. سأتناول العشاء مع بعض الأصدقاء. وأنتِ؟"

"كالعادة. لا شيء". هزّت ديانا كتفيها. "سيكون مارك في العمل".

"تريدين أن تأتي معي؟"

"لا. قد أنجح ربما في إقناعه بتناول العشاء في مكان ما. لطالما كنت أفعل ذلك مع بيلار. في مطعم أو فندق. ليس هذا ما تسمينه مناسبة شكر حقيقية، لكنه يكفيني. وعلى الأقل، لن نضطر إلى تناول شطائر الحبش طوال أسبوعين". لكنها وجدت نفسها فجأة تتساءل عما سيفعله بين. ربما قد يذهب إلى كارمل، وربما لا يزال في الشرق. لا تريد أن تسأل كيم.

انتقلت المحادثة إلى مواضيع أخرى. كانت الساعة العاشرة والنصف حين نهضتا أخيراً، متعبتين قليلاً وإنما ممتلئتين كثيراً من الأكل، بعد أن أمضتا سهرة جميلة جداً من دون أي توتر.

"هل أستطيع دعوتك إلى تناول شراب؟" سألت كيم. لكنها بدت وكأنها لا

تريد إطالة السهرة أكثر. وكانت ديانا متعبة.

"ربما في وقت آخر. أكره الاعتراف بذلك، لكنني مرهقة. ما زلت في المرحلة التي أشعر فيها بالتعب على الدوام".

"متى يتوقف ذلك، أو لا يتوقف أبداً؟"

"قرابة الشهر الرابع تقريباً، لكن يبدو هذه المرة أنه سيطول. أنا في منتصف الشهر الرابع وما زلت أشعر بالنعاس طوال الوقت".

"إذاً استمتعي بذلك، وكوني مسرورة لأنكِ لا تعملين". لكنها لم تكن كذلك. تمنت لو أنها تفعل. تستطيع التفكير في شيء ما حين ترسم. لكنها ما زالت غير قادرة على التركيز على عملها. ثمة شيء يوقفها كلما أرادت العمل. تنتقل أفكارها تلقائياً إلى بيلار أو بين، أو تجد نفسها خائفة بشأن الطفل. تمضي ساعات عدة من دون أن تفعل أي شيء سوى الجلوس والتحديق في الفراغ.

أحضروا سيارة كيم الحمراء الصغيرة أمام باب المطعم. دخلت ديانا إلى السيارة مع ابتسامة فيما أعطت كيم بقشيشاً للخادم، وجلست وراء المقود.

"سأتوقف عن الركوب معك بعد شهرين". كانت ساقاها تصلان إلى ذقنها تقريباً، وراحت تضحك مع كيم.

"نعم، أظن أنكِ ستواجهين صعوبة في ركوب هذه السيارة مع بطنك". ضحكتا مجدداً، وقادت كيم السيارة، وانعطفت نحو ساحة كوزمو، ثم انعطفت إلى اليسار مجدداً إلى أن دخلت في شارع ضيق لتفادي زحمة الطريق. "يمكننا المرور أمام نوب هيل". ألقت نظرة سريعة على ديانا مع ابتسامة، وجلست المرأتان في صمت. كانت ديانا تتوق للوصول إلى سريرها.

توقفتا أمام إشارة مرور حين رأتهما. تساءلت لبرهة عن مدى شبه هذا الرجل بمارك، ثم أدركت فجأة أنه مارك نفسه. حبست أنفاسها. نظرت إليها كيم فجأة، ثم إلى الاتجاه الذي كانت تُحدّق فيه. إنه مارك مع امرأة أنيقة ترتدي



معطفاً رائعاً من الفرو. كانا متعانقين وبدا هو أصغر سناً، فيما بدت هي جميلة جداً مع شعرها الطليق وفستانها الأحمر الساطع الذي ظهر تحت المعطف. أرجعت رأسها إلى الخلف وضحكت، فيما قبّلها مارك على فمها. حدّقت ديانا مذهولة.

فيما ابتعدت المرأة عنه، عرفت ديانا فجأة من تكون. إنها فتاة المطار؛ المرأة التي رأتها معه ليلة توفيت بيلار. شعرت فجأة أن كل الهواء اختفى عنها إلى أن استعادت أنفاسها مجدداً. صعدا إلى سيارته. أمسكت ديانا بذراع كيم.

"قودي، أرجوك. دعينا نذهب. لا أريده أن يرانا... سيظن..." أبعدت رأسها عن النافذة، وهي لا تريد أن ترى المزيد، وضغطت كيم قدمها على دواسة الوقود. انطلقت السيارة إلى الأمام، واجتازتا الخليج بسرعة فيما حاولت ديانا لملمة أفكارها بسرعة. ماذا يعني ذلك؟ لماذا هذه الفتاة هنا؟ هل... هل... هل... لكنها عرفت كل الأجوبة، تماماً مثل كيم. جلستا هناك لخمس دقائق، صامتتين ومحدقتين، في السيارة الحمراء الصغيرة. كانت كيم أول من تفوه أخيراً بكلمة.

"ديانا، أنا آسفة. هل... اللعنة! لا أعرف ماذا أقول". ألقت نظرة سريعة على ديانا. بدت شاحبة جداً حتى في عز الظلام. "هل تريدين أن تأتي معي إلى المنـــزل قليلاً حتى ترتاحي؟"

"هل تعرفين ما هو الغريب؟" التفتت إلى كيم بعينيها الخضراوين الكبيرتين والمشرقتين. "أنا هادئة. أشعر وكأن كل شيء توقف فجأة. كل الدوامة، والارتباك، والخوف، واليأس... انتهى كل شيء. اختفى". حدّقت خارج النافذة في الليلة الضبابية، وتحدثت إلى كيم من دون أن تلتفت لرؤية وجهها. "أظن أنني أعرف الآن ما الذي أريد فعله".

"ماذا؟" شعرت كيم بالقلق على صديقتها. كانت صدمة حقيقية، ولا تزال ترتجف هي نفسها.

"سأتركه، كيم". لم تجب كيم للحظة، واكتفت بالنظر إلى وجه ديانا المشدود في الليل. "لا أستطيع العيش هكذا لبقية حياتي. وقد مضى على هذه الحالة أعوام عدة. رأيته معها في باريس... ليلة بيلار... جاءت معه من أثينا. والمضحك أنه حين عاد إلى المنـــزل في سبتمبر، أقسم أن العلاقة انتهت".

"هل تظنين أنها علاقة جادة؟"

"لا أعرف. ربما لا يهم. المشكلة هي.." نظرت أخيراً إلى صديقتها "... أنه لا يوجد مكان كافٍ لي. مهما حصل. أنا وحيدة طوال الوقت. لا نتشارك أي شيء، ولا نتشارك حتى الطفل. سيأخذه بعيداً عني، مثلما فعل مع بيلار. لماذا يجدر بـــي البقاء معه؟ بسبب الواجب، أو الجبن، أو الشعور السخيف بالإخلاص الذي جعلني أستمر معه طوال تلك السنوات؟ لماذا؟ هل رأيته الليلة؟ بدا سعيداً، كيم. بدا شاباً. لم يكن هكذا معي طوال ثمانية عشر عاماً. حتى أنني لست واثقة إن كان على هذه الحالة في يومٍ من الأيام. ربما إنها جيدة له. تستطيع ربما منحه شيئاً لم أستطع منحه إياه أبداً. لكن على كل حال، هذه مشكلته. سأنسحب".

"لماذا لا تفكرين قليلاً في الموضوع". تحدثت كيم بهدوء، ونظرت إلى ديانا. "قد لا يكون الوقت مناسباً. يجدر بكِ الانتظار ربما حتى يولد الطفل. هل تريدين أن تكوني لوحدك وأنت حامل؟"

"ربما لم تلاحظي أنني أصلاً لوحدي".

وافقتها كيم، لكنها خافت من النظر إلى عيني ديانا. لم تشاهد مثل هذا التصميم القوي لديها قبلاً. هذا مخيف. أخيراً، وصلتا أمام منـــزلها.

"هل تريدين أن أدخل معكِ؟" كلتاهما كانتا تعرفان أن مارك ليس في المنـــزل. لكنّ ديانا هزّت رأسها.

"لا. أريد أن أكون لوحدي. عليّ التفكير".

"هل ستتحدثين إليه الليلة؟"



نظرت إلى كمبرلي لوقت طويل قبل أن تجيب، ورأت كيم هذه المرة الألم في عينيها. هذا مؤلم. ما زالت تهتم به في مكان ما داخلها. "ربما لا. قد لا يعود إلى المنـــزل".

# 31

لوحدها في غرفتها، خلعت ديانا الفستان الأسود، ووقفت تُحدّق في نفسها أمام المرآة. لا تزال جميلة وشابة نوعاً ما. البشرة في وجهها طرية ومشدودة، وعنقها نحيل وطويل. عيناها كبيرتان ولم ينسدل جفناها بعد ولم يترهل ذقنها. لا يزال ثدياها مشدودين، وساقاها نحيلتين، ووركاها صغيرين. ما من علامة حقيقية على الشيخوخة، لكنها بدت رغم ذلك أكبر بعشر سنوات على الأقل من تلك الفتاة الليلة. إنها تملك التألق، والجمال، والإثارة التي تتمتع بها العشيقة عادة. لا مجال للشك في ذلك. هل هذا ما يريده؟ هل هذا هو الفرق؟ أو هناك شيء آخر؟ هل لأنها فرنسية، ومن... أو ربما هو يحبها. تساءلت ديانا فيما ارتدت ثوب نومها. أرادت أن تطرح عليه كل هذه الأسئلة، أرادت أن تسمع منه كل الأجوبة؛ إذا عاد إلى المنـــزل. لا تريد أن تنتظر طويلاً في الليل حتى تسأله. أرادت أن تسأله الآن، لكن بدا واضحاً أنه خارج المدينة هو والفتاة. قد ينبلج الفجر قبل أن يعود إلى المنـــزل زاعماً أنه تورط في مفاوضات لامتناهية، وأمضى الليل وهو يعمل. تساءلت فجأة كم من قصصه كانت مجرد أكاذيب، وكم استمر ذلك. أسندت رأسها على الكرسي، وأغمضت عينيها أمام الأنوار الخافتة. لماذا يستمر في هذا الزواج، بعد موت بيلار الآن؟ كانت لديه الفرصة المثالية لترك ديانا في باريس، وليقول لها إن علاقتهما انتهت. لماذا لم يفعل؟ لماذا بقي؟ ثم عرفت الجواب فجأة. الطفل. هذا ما أراده. ابن.

حينها ابتسمت لنفسها. هذا مضحك فعلاً. للمرة الأولى خلال عشرين عاماً على وجودهما معاً، أصبحت تملك هي السيطرة. لديها هي الشيء الذي



يريده. ابنه. أو حتى ابنة بدل بيلار التي ماتت. لكن مارك يريد طفلها. هذا جنون حقيقي. يمكنه إنجاب طفل من تلك الفتاة، إذ بدا أنه على علاقة معها منذ فترة طويلة. لكنه لم يفعل لسبب ما. أمتعها ذلك. باتت تسيطر عليه الآن بطريقة ما. إنها تمسكه من يده التي تؤلمه. يمكنها تركه أو البقاء معه. يمكنها ابتزازه. يمكنها حتى إجباره على التخلص من الفتاة. أو الادعاء بذلك، مثلما فعل قبلاً. جَعَلها تظن أن العلاقة انتهت، لكن بدا جلياً أنها لم تنتهِ. تنهدت، وجلست على الكرسي، وفتحت عينيها. لقد تركت عينيها مغمضتين لسنوات طويلة، مشت بصمت خارج الغرفة، ونزلت السلالم في المنـــزل المظلم. وجدت نفسها في غرفة الجلوس، تجلس في الظلمة، وتُحدّق في الأنوار المضاءة في الخليج. سيكون غريباً ألا تتواجد هنا بعد الآن، وأن تترك هذا المنـــزل، وتتركه. سيكون مخيفاً أن تعيش لوحدها، وعدم وجود أحد للاهتمام بها أو بالطفل الجديد. سيكون كل شيء مرعباً وجديداً. لكنه سيكون نظيفاً... لن يكون هناك كذب. جلست هناك، لوحدها، حتى الفجر. تنتظره. لقد حسمت أمرها.

كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة حين سمعت مفتاحه في الباب، مشت ببطء نحو باب غرفة الجلوس، ووقفت هناك، مع نظرة ثاقبة.

"مساء الخير"، قالت له بالفرنسية. "أو هل يجدر بـــي القول صباح الخير؟" بدأ الفجر ينبلج في السماء فوق الخليج المسطح. لا يوجد ضباب هذه المرة. أول شيء لاحظته أنه ثمل. ليس بشكل مقرف، وإنما بشكل كافٍ.

"هل نهضت؟" حاول تثبيت نفسه، لكنه انحنى قليلاً إلى الأمام، وأسند نفسه على ظهر كرسي. بدا منـــزعجاً للتحدث إليها أساساً. "الوقت باكر جداً ديانا".

"أو متأخر جداً. هل أمضيت وقتاً جيداً؟"

"طبعاً لا. لا تكوني سخيفة. جلسنا في غرفة الاجتماعات حتى الساعة

الرابعة. ثم تناولنا أنخاب الاحتفال".

"كم هذا رائع". كان صوتها مثل الجليد. حدّق فيها، كما لو أنه يأمل في العثور على المفتاح. "تحتفلون بماذا؟"

"صفقة... جديدة". كاد يقول معطفاً جديداً، لكنه تمالك نفسه في اللحظة الأخيرة. "صفقة فرو مع روسيا". بدا مسروراً من نفسه، ثم ابتسم لزوجته. لم ترد له ديانا الابتسامة.

بدت مثل التمثال. "كان معطفاً جميلاً جداً". سقطت الكلمات مثل الصخور.

"ماذا تقصدين؟"

"أظن أننا نعرف تماماً ما الذي أقصده. قلت إنه كان معطفاً جميلاً".

"لا أفهم ماذا تقصدين". لكنّ عينيه بدأتا ترتجفان.

"أعتقد العكس. رأيتكِ الليلة مع صديقتك. أظن أنها علاقة طويلة". بدت متصلبة فيما وقفت هناك، ولم يجبها هو بأي شيء. بعد برهة، التفت بعيداً عن ديانا ونظر إلى الخليج.

"أستطيع أن أقول لك إنها هنا لفترة وجيزة". التفت ليقابلها مجدداً. "لكنني لن أفعل. مرّت أوقات صعبة عليّ... بيلار... مخاوفي عليك..."

"هل تعيش هنا الآن؟" كانت ديانا عديمة الشفقة مع عينيها الخضراوين الكبيرتين. هزّ رأسه. "لا. إنها هنا منذ أسابيع قليلة فقط".

"كم هذا جميل. وهل يجدر بـي القبول بذلك كجزء من مستقبلي، أو هل ستحسم خيارك في النهاية؟ أعتقد أنها تطرح عليك الأسئلة نفسها. وأستطيع القول في الوقت الحاضر إن الخيار يعود لي".

"ممكن". بدا أنه يتمايل مجدداً لبرهة، ثم وقف منتصباً تماماً. "لكن لا، ديانا. لدينا أنا وأنت الكثير من الأشياء المخفية".

"حقاً؟ ماذا؟" لكنها عرفت تماماً ما الذي يقصده. لم تعد هناك أية مراوغة





بينهما. بعد الليلة، أصبح الطفل لها. ليس لهما. لها وحدها.

"تعرفين تماماً ماذا. طفلنا". حاول أن يبدو لطيفاً لكنه كان غاضباً جداً. "يعني ذلك كل شيء بالنسبة إليّ. إلينا".

"إلينا؟ هل تعرف شيئاً، مارك، لا أعتقد أنه يوجد شيء اسمه نحن. "النحن" الوحيدة بالنسبة إليك هي مع تلك الفتاة. لاحظت ذلك في وجهك الليلة".

"كنتُ ثملاً". سيطر اليأس على عينيه لبرهة. لاحظت ديانا ذلك، لكنها لم تعد تهتم.

"كنت سعيداً. لم نكن أنا وأنت سعيدين هكذا منذ سنوات. نتشبث ببعضنا البعض بسبب العادة، والخوف، والواجب، والألم. كنتُ سأتركك في نهاية الأسبوع التي تلت موت بيلار العزيزة. لو لم أعرف أنني حامل، لكنتُ تركتك. والآن، هذا ما سأفعله بالضبط".

"لن أسمح لك. ستموتين جوعاً". أصبح غاضباً الآن، وظهر نور خبيث فجأة في عينيه. لن تأخذ منه الشيء الوحيد الذي يهتم به الآن، أي الطفل.

"لست بحاجة إليك كي أبقى على قيد الحياة". إنه تظاهر بالشجاعة، كلاهما يعرف ذلك.

"ماذا ستفعلين حتى تأكلي، عزيزتي؟ الرسم؟ تبيعين رسوماتك الصغيرة إلى الناس في الشارع؟ أو تعودين إلى عشيقك؟"

"أي عشيق؟" شعرت ديانا وكأنها تلقت صفعة قوية.

"تظنين أنني لا أعرف، أيتها العاهرة المخادعة... تتحدثين عن علاقاتي...". تمايل قليلاً فيما أطلق الكلمات في اتجاهها. "لكنك مجرد عاهرة أيضاً".

أصبحت فجأة شاحبة. "ماذا تقصد؟"

"تماماً ما تظنين أنني أقصده. غادرت أنا إلى أثينا وأقمت أنت على ما يبدو علاقة عاطفية. لا أعرف مع من ولا أهتم، لأنك زوجتي وهذا طفلي. أنا

أملككما أنتما الاثنان. هل تفهمين؟"

أصبح كل شيء داخلها غاضباً. "كيف تجرؤ على قول ذلك لي؟ كيف تجرؤ! ربما كنت تملكني قبلاً، لكنك لم تعد تملكني الآن ولن تملكني أبداً، ولن تملك أبداً هذا الطفل. لن أسمح لك بأن تفعل به ما فعلته ببيلار".

ابتسم لها بطريقة شريرة من حيث يقف على السلالم. "ليس لديك أي خيار، عزيزتي، هذا الطفل لي... لي... لأنني اخترت القبول به، وأن أكون والده، وقررت الاحتفاظ به رغم ما فعلته. لكن لا تنسي أبداً أنني أعرف. لست أفضل مني، على رغم ادعائك العفة والطهارة. لكن تذكري"، ضاقت عيناه وتمايل مجدداً. "أنا الذي سيمنع طفلك من أن يكون ابن زنا. سأعطيه اسمي، لأنني أريده، وليس لأنه مني".

أصبح صوت ديانا مثل الجليد. وقفت من دون حراك، تراقب مارك. "إذاً، الطفل ليس طفلك مارك؟"

انحنى بطريقة غريبة أمامها، واحنى رأسه. "صحيح".

"وكيف تعرف؟"

"لأن المرأة التي تكرهينها كثيراً مصابة بداء السكري، وإذا جعلتها حاملاً، فقد تموت. لذا، أجريت عملية لقطع القناة الدافقة قبل أعوام عدة". حدّق في ديانا، وهو يشعر بالرضى عما قاله، فيما أسندت ديانا نفسها على كرسي.

"أفهم". ساد صمت طويل بينهما. "لماذا تقول لي هذا الآن؟"

"لأنني سئمت الأكاذيب، ومن وجهك المأساوي، وإحساسك بأنني أظلمك. أنا لم أظلمك سيدتي. لقد أسديت لك خدمة. احتفظت بكِ، وبجنينكِ، رغم سلوككِ الشنيع. بالرغم من أنكِ عاهرة. والآن بعد أن رحل، لم يعد لديك أحد سواي. أنتِ ملكي".

"تريدني أن أفعل ما تريده أنت، مارك، أليس كذلك؟" حدقت فيه بعينين غاضبتين، لكنه كان ثملاً جداً ليلاحظ ذلك.



"تماماً. وأقترح عليكِ الآن أن تخلدي والجنين إلى السرير، فيما سأخلد إلى السرير أيضاً. أراكِ في الصباح". صعد إلى فوق برزانة، وهو غير مدرك تماماً تأثير ما قاله. لقد أصبحت ديانا حرة.

# 32

الباب المؤدي إلى الجهة الخلفية للمنـــزل، وراء المطبخ، مقفل وتملك هي المفتاح. اتصلت بكيم، وطلبت منها استئجار سيارة؛ سيارة كبيرة. ستشرح لها لاحقاً. طلبت من المتجر المجاور أن يحضر لها عشرات العلب الفارغة. وضعت كل معدات الاستوديو في ثلاث علب، فيما وضعت صورها وألبوماتها في خمس علب. أما اللوحات فكانت موضوعة بشكل مرتب قرب السلالم الخلفية. هناك ست حقائب تنتظر التوضيب. رفعت سماعة الهاتف، وطلبت من مارغريت مساعدتها. لن تفعل هذا لوحدها. إنها تعمل في الاستوديو منذ السادسة، وأصبحت الآن الساعة التاسعة تقريباً. عرفت أن مارك قد غادر المنـــزل على الأرجح. لم يلحق بها إلى الاستوديو بعدما تركت الغرفة، وكان الصمت في المنـــزل مميتاً. جاءت النهاية بهدوء وصمت. يمكنها الآن التخلص من الماضي. في عشر علب وبعض الحقائب. ستترك له كل شيء آخر. كل شيء له. الأثاث من فرنسا، اللوحات، السجادات، والفضيات التي كانت تخص أمه، والتي تم إرسالها كلها تقريباً من فرنسا. كل ما جمعته لها على مر السنوات كان في الاستوديو؛ الكتب الفنية، الفراشي، الألوان، بعض الأشياء والأغراض التي تحبها والتي لا تساوي شيئاً. لديها ثيابها. وستأخذ المجوهرات أيضاً. يمكنها بيعها لشراء الأكل، إلى أن تعثر على مهنة. ستأخذ كل لوحاتها. فهي لا تعني أي شيء بالنسبة إليه، وتستطيع بيعها هي أيضاً. كلها باستثناء لوحتها هي وبيلار. هذه ليست لوحة للبيع. إنها ثروة لمدى العمر. يمكنه الاحتفاظ بكل الباقي. يمكنه الحصول على كل شيء.

فتحت الباب عند أسفل سلالم الاستوديو، وشقت طريقها بتردد نحو



المنـــزل. ماذا لو كان لا يزال هنا؟ منتظراً؟ إذا عرف ماذا ستفعل ومتى؟ لكن لا يهم. لا يستطيع منعها. لقد قال لها ما احتاجت إلى معرفته في الليلة الماضية. الطفل ليس منه. إنه طفل بين. وقد عرف كل شيء. لكن هذا غير مهم. لا شيء مهم.

"مارغريت، هل...؟". لم تكن واثقة مما يجب قوله.

"غادر إلى المكتب في الساعة الثامنة والنصف". كانت عينا مارغريت مليئتين بالدموع. "سيدة دوراس، لن... أوه، لا تتركينا، لا تذهبي..."

يفترض أن يكون هذا الكلام صادراً عن مارك، لكنه عرف أنه خسر وكان ثملاً جداً في الليلة الماضية ليدرك حجم مخاوفه. لقد ظن على الأرجح أنه إذا نام هو وتركها تختبئ في الاستوديو، فسيعود إلى المنـــزل مع قطعة مجوهرات جميلة، واعتذار، وكذبة. وسيكون كل شيء على ما يرام مجدداً. وضعت ديانا ذراعاً حول مارغريت.

"أنا مضطرة. لكنك ستأتين لرؤيتي".

"حقاً؟" بدت المرأة العجوز محطمة. ابتسمت لها ديانا عبر دموعها. أصبحت تبكي على نفسها الآن، وليس عليه.

رنّ جرس الباب بعد أن أنهتا توضيب الحقيبة الثانية. قفزت ديانا، مذعورة، وبدت مارغريت لبرهة وكأنها مرعوبة، لكن ديانا نزلت السلالم بسرعة، واكتشفت أنها كيم.

"حصلت على أكبر سيارة موجودة لديهم. إنها تبدو مثل السفينة". حاولت الابتسام لكنها لاحظت أن ديانا لم تكن في مزاج جيد. ثمة هالات سوداء تحت عينيها، وشعرها مبعثر، وعيناها ملئيتان بالخطوط الحمراء. "تبدين وكأنك أمضيت ليلة رائعة".

"الطفل ليس منه". كان هذا أول شيء استطاعت قوله، ووجدت نفسها فجأة تبتسم لكيم. "إنه طفل بين، وأنا سعيدة جداً".

"الله". لم تعرف كيم لبرهة ما إذا كان يجدر بها البكاء أو الضحك، لكنها شعرت نوعاً ما بارتياح كبير. أصبحت ديانا حرة. "هل أنتِ واثقة؟"

"جداً".

"وتغادرين المنــزل؟"

"نعم. الآن".

"شككت في أنك ستفعلين ذلك. بسبب الطفل؟" كانتا تقفان أمام الباب. توجهت ديانا ببطء نحو السلالم.

"هذا وكل شيء آخر. الفتاة الأخرى، الطفل. هذا ليس زواجاً، كيم. وسواء كان هكذا أم لم يكن، لقد انتهى. تأكدت من ذلك الليلة الماضية".

"هل ستخبرين بين؟" لكنه سؤال سخيف. عرفت أن ديانا ستفعل حتماً. عرفت ذلك إلى أن هزّت ديانا رأسها. "هل تمزحين؟ ولمَ لا؟"

"لماذا؟ كي أهرب من منــزل مارك إلى منــزله؟ كي يهتم بــي هو أيضاً؟ لقد تركته، كيم. أنا تركته. عدت إلى مارك ولم أخبره أبداً أنني حامل. أي حق أملكه للاتصال به الآن؟" بدت عيناها كبيرتين جداً في وجهها. حدّقت كيم فيها، محاولة أن تفهم ما تقوله.

"لكنك ستنجبين طفله. أي حق آخر تريدينه؟"

"لا أعرف. أعرف فقط أنني لا أستطيع الاتصال".

"إذاً ماذا ستفعلين؟" أمسكتها كيم بذراعها فيما بدأت تصعد السلالم.

"أغادر هنا. سأعثر على شقة، وأهتم بنفسي".

"أوه، بحق الله، هل تتوقفين قليلاً عن نبلكِ هذا؟ من أين ستأكلين؟"

"أرسم، أعمل، أبيع مجوهراتي... سترين. هيا، عليّ إنهاء العمل فوق". بدت كيم حزينة فيما لحقت بها إلى الأعلى. ظنت أن ترك مارك هو أفضل شيء تقوم به ديانا، لكن عدم الاتصال ببين جنون.

كانت مارغريت قد أنهت للتو توضيب آخر حقيبة. لم يبقَ أي شيء في



الغرفة سوى الأشياء التي تخص مارك. الصور الفوتوغرافية، التذكارات الصغيرة، علبة المجوهرات، والكتب... تم توضيب كل شيء. توقفت لبرهة صغيرة على العتبة، ثم أسرعت إلى الأسفل.

احتاجت إلى خمس وعشرين دقيقة لتوضيب كل شيء داخل السيارة، فيما بكت مارغريت من دون توقف، وحملت كيم كل الحقائب الثقيلة. حملت ديانا فقط لوحاتها الخفيفة الوزن.

"لا تلمسي هذا!" صرخت كيم في ديانا ذات مرة فيما كانت على وشك حمل حقيبة. "أنتِ حامل في الشهر الخامس أيتها المجنونة". ابتسمت ديانا.

"لا. لست كذلك. ربما أنا في الشهر الرابع". ابتسمت المرأتان. عرفت ديانا ذلك في الصباح الباكر فيما كانت تنظف كل الفراشي، وتلفها في جرائد، وترتبها. لقد قال لها إنها حملت في نهاية شهر يونيو، أي في الوقت الذي غادر فيه. لكن الحمل حصل على الأرجح في أواخر يوليو حين كانت مع بين. ويفسر ذلك أيضاً السبب الذي جعل الدكتور جونز لا يسمع خفقان قلب الطفل إلا بعد شهر مما كان يفترض، وسبب صغر حجم الجنين. ولهذا السبب أيضاً لا تزال تشعر بالتعب. إنها حامل في شهرها الرابع. "أوه، يا الله". نظرت فجأة إلى كيم. "هل اليوم هو يوم الشكر؟"

"نعم".

"لماذا لم تخبريني؟"

"ظننتُ أنكِ تعرفين".

"ألا يفترض بكِ الذهاب إلى مكان ما؟"

"في وقت متأخر. سنرتب أمورك أولاً. يمكنك أخذ قيلولة. ثم نرتدي ثيابنا ونذهب لتناول الحبش".

"أنتِ مجنونة. تتصرفين وكأنك تخططين لبقائي عندكِ أسابيع طويلة". تبادلت المرأتان ابتسامة فيما وضعتا آخر لوحة من لوحاتها داخل السيارة.

"سأنزل في فندق". قالت ذلك بحزم فيما نظرت إلى اللوحات والصناديق في السيارة.

"لا، لن تفعلي". كانت كيم صارمة هي أيضاً. "ستمكثين معي إلى أن تصبحي مستعدة للانتقال".

"سنناقش المسألة لاحقاً. أريد أن أدخل قليلاً إلى المنـــزل للتحقق من كل شيء".

"هل يحتمل أن يعود مارك؟ فاليوم عطلة في أية حال".

لكن ديانا هزت رأسها. "ليس بالنسبة إليه. إنه يعمل يوم الشكر". ثم ابتسمت نصف ابتسامة، وهزت رأسها. "ليس عيداً فرنسياً". أومأت كيم برأسها، وصعدت إلى السيارة فيما اختفت ديانا في المنـــزل. كانت مارغريت في المطبخ، وأصبحت ديانا لوحدها لبرهة. للمرة الأخيرة في ما كان منـــزلها؛ علماً أنه لم يكن كذلك يوماً. لطالما كان منـــزله هو. قد تحبه الفتاة الفرنسية الصغيرة صاحبة معطف الفرو، وقد يعني في النهاية شيئاً لها.

وقفت ديانا في القاعة، تنظر عبر غرفة الجلوس، تحدق في صور أجداد مارك إدوار. هذا مذهل. بعد ثمانية عشر عاماً، ها هي تغادر المنـــزل مع كمية قليلة من الأشياء توازي تلك التي أحضرتها معها ذات يوم. بعض العلب، بعض اللوحات، وثيابها. الثياب أصبحت أغلى ثمناً الآن. ستبقيها المجوهرات على قيد الحياة. اللوحات أفضل، ولوازم الفن أرقى. لكن كل شيء اتسع داخل سيارة واحدة. ثمانية عشر عاماً في بعض العلب والحقائب. جلست أمام مكتبها، وسحبت ورقة من جارور. إنها ورقة زرقاء مؤطرة بالأبيض، مع كلمة السيدة مارك إدوار دوراس في أعلاها. فتحت قلمها، وفكّرت لبرهة، ثم كتبت كلمات قليلة.

أحببتك عزيزي

وداعاً





طوت الورقة، ومسحت دمعة عن وجهها بمتن يدها، وعلّقت الورقة على مرآة القاعة. حين استدارت بعيداً، رأت مارغريت تراقبها، والدموع تنهمر من عينيها. لم تقل ديانا أي شيء، وإنما ذهبت نحوها، وأمسكتها بقوة لبرهة. ثم أومأت برأسها، ومشت نحو الباب فيما الدموع تنهمر من عينيها. قالت كلمة واحدة فقط حين غادرت، وقالتها بصوت خافت جداً بحيث بالكاد سمعتها مارغريت. قالت الكلمة برفق فيما أغلقت الباب: "وداعاً".

# 33

"لماذا لا تريدين أن تأتي؟" بدت كيم خائبة الأمل. "إنه يوم الشكر، ولن أتركك لوحدك".

"بلى، ستفعلين. أنا ضيفة غير مدعوة، ومرهقة جداً. لا أستطيع، حبي، فعلاً. انا متعبة كثيراً. اتركيني هنا وقد أستفيق في الغد". لكنّ كيم لم تكن واثقة من ذلك أيضاً. فالساعات الأربع والعشرون الماضية أرخت بثقلها عليها. بدت ديانا مرهقة ومتعبة. حتى أن كيم اتصلت بالدكتور جونز سراً من هاتف المطبخ، حيث لا تستطيع ديانا سماعها. شرحت له ما حصل. كانت نصيحته لها بأن تترك ديانا على حالها. دعيها تفعل ما تريده وفق وتيرتها هي. إنه واثق من أنها ستكون بخير. لدرجة أن كيم قررت عدم التدخل.

"حسناً. لكن هل أنتِ أكيدة من أنكِ لن تشعري بالوحدة".

"لا، سأكون نائمة على الأرجح". ابتسمت بتعب لصديقتها، وتثاءبت قليلاً. "لا أظن، سأفوت يوم الشكر هذه السنة". تبادلت المرأتان ابتسامة، ونامت ديانا قبل أن تخرج كيم. مشت كيم على رؤوس أصابعها نحو الباب، وأغلقته بهدوء خلفها.

برم المفتاح في القفل في الساعة الحادية عشرة من تلك الليلة، وحبس أنفاسه لبرهة. من غير المنطقي ألا يتصل أبداً، لكنه لم يعرف ما الذي يقوله. ماذا سيقول لها؟ كيف سيسترد ما قاله؟ أراد أن يشتري لها شيئاً جميلاً، لكي يستردها، لكن المتاجر كلها مقفلة. إنه يوم الشكر. يوم للشكر. لقد أمضى نصف النهار يعمل في مكتبه، والنصف الآخر بهدوء مع شانتال. عرفت أن



هناك خطباً ما، لكنها لم تكن واثقة من حقيقته. تشبث بها بطريقة غريبة جداً.

فتح الباب، ونظر إلى الأعلى. لا يوجد أي ضوء أو صوت. لا شك أنها نائمة. سيارتها في المرآب. لم يشاهد حتى ضوء مارغريت الساطع تحت بابها في الرواق. كان المنـزل كله ساكناً، أشعل ضوءاً واحداً خفيفاً فيما علّق معطفه. ثم شاهد الورقة مُعلّقة في إطار المرآة قرب الباب. هل خرجت؟ هل ذهبت إلى مكان ما مع صديقة لها؟ تمدد نحو الورقة وأمسك بها، وأحس بانقباض مفاجئ في صدره. وقف هناك لبرهة، كما لو أنه ينتظر سماع صوتها أو نزول قدميها على السلالم. نظر إلى الأعلى مجدداً ولم يسمع سوى الصمت، ثم فتح الورقة المطوية ببطء. جالت عيناه فوق الكلمات وخفق رأسه فيما قرأها. "أحببتك عزيزي، وداعاً". لماذا أحببتك؟ لماذا في الزمن الماضي؟ لكنه عرف. لقد أخبرها بالشيء الوحيد الذي لم يكن بوسعها معرفته. أن الطفل ليس منه. عرفت الآن أنه كذب عليها بشأن الطفل، وبشأن شانتال... عرفت بشأن حياته الأخرى. رأته مع شانتال في باريس ومجدداً الليلة الماضية. شعر أن قدميه مثل الرصاص لكنه حاول صعود السلالم بسرعة. سيجد ديانا هناك. ستكون نائمة في سريرهما. لقد تجاهل طوال اليوم ما حصل بينهما، متمنياً أن يكون كل شيء وهماً. الاتصال بها سيجعل الأمر حقيقياً. لا يستطيع؟ لا يريد فعل ذلك. كل ما عليه فعله الآن هو الركض إلى السرير والعثور عليها هناك، نائمة. لكن حين وصل إلى الغرفة وجدها فارغة. لقد رحلت. ديانا رحلت.

وقف مارك إدوار ساكناً لبرهة طويلة، من دون أن يعرف ما يجب فعله. حبس بعدها دموعه، وتمدد نحو الهاتف. إنه يحتاج إليها. كثيراً. يجب أن تكون معه الآن. عرف أنها ستفعل. طلب الرقم، لكن حين أجابت شانتال، بدت غريبة.

"شانتال... أريد رؤيتكِ... سآتي إليكِ".

"هل من مشكلة؟" بدت شاردة الذهن وعلى عجلة من أمرها.

"نعم.. لا... سآتي إليك. أنا في طريقي". أرادت أن تقول له بأن يستعجل، لكنها لم تعرف ما الذي يجدر بها قوله بالضبط، وشعرت بالقليل من الغرابة، وبدت مرتبكة قليلاً حين وصل بعد لحظات. لكنه لم يلاحظ أي شيء. أخذها بسرعة بين ذراعيه ما إن فتحت له الباب.

"حبيبي، ما الأمر؟ تبدو مريضاً".

"أنا... لا أعرف... لقد رحلت".

مسكين. بيلار مجدداً. هل هو متأثر جداً بذلك؟ لكن ماذا حصل حتى يتذكر ذلك فجأة؟ "أعرف حبيبي، لكن لديك أنا". أمسكته بالقرب منها فيما جلسا معاً على الأريكة.

"لكن الطفل..." ثم أدرك أنه لم يكن يجدر به قول الكلمة.

"أي طفل؟" هل أصيب بالجنون؟ بدت خائفة فيما أبعدته عنها.

"لا شيء... أنا منـــزعج... إنها ديانا. لقد رحلت".

"إلى الأبد؟ تركتك؟" أومأ برأسه، فابتسمت شانتال.

"أنا أقول إن هذا سبب للاحتفال وليس لليأس". ومن دون التفكير أكثر، نهضت عن الأريكة، وذهبت إلى المطبخ لإحضار واحدة من قناني الشراب التي تركها مارك لديها قبل أيام قليلة. عادت مع قنينة وكوبين، ثم توقفت حين شاهدت الرعب على وجه مارك. "هل أنت حزين؟"

"لا أعرف. أنا مذهول. قلت بعض الأمور... لم يكن يجدر بي... بالغت في الكلام".

حدّقت فيه شانتال بعينين باردتين. "لم أكن أظن أنك تريد الاحتفاظ بها. والآن ماذا؟ تريد استعادتها؟" هزّ رأسه ببطء فيما راقبته. لا يستطيع استعادة ديانا وهو يعرف ذلك. كان يحاول الارتباط بها إلى الأبد، لكنه أخبرها الشيء الوحيد الذي فصلها عنه وهو أن الطفل ليس منه. "بالمناسبة" – توقفت شانتال لبرهة – "ما هي مسألة الطفل التي ذكرتها؟" لم يقل أي شيء، وإنما حدّق فقط



في شيء لا تستطيع رؤيته. موت الأمل. "هل كانت حاملاً، مارك؟" كانت كلماتها مثل الخنجر في حنجرته، وأومأ برأسه بصمت.

"هل عرفت أنه ليس منك؟"

"في الليلة الماضية".

"أفهم. وهذا هو السبب الذي دفعك إلى البقاء معها طوال هذا الوقت. بسبب طفل ليس منك..." خفت صوتها مثل الموت البطيء، وملأت خيبة الأمل قلبها أيضاً. "لم أكن أُدرك أن هذا مهم كثيراً بالنسبة إليك".

"ليس كذلك". كذب عليها، وحاول أخذها بين ذراعيه.

"بلى هو كذلك". بقيت زجاجة الشراب غير مفتوحة. نظرا إلى بعضهما البعض بيأس. "بلى في الواقع، إنه مهم".

"يمكننا تبني طفل"، قال مارك. أومأت شانتال برأسها ببطء. عرفت أنه عليها فعل ذلك إذا كان هذا مهماً كثيراً بالنسبة إليه، لكنها لا تريد الأولاد. لم ترغب يوماً بهم.

"نعم، أظن أنه يمكننا". ثم ألقت نظرة سريعة على ساعتها. "ماذا ستفعل الآن؟"

"أتزوجك". حاول الابتسام فيما قال ذلك، لكن الكلمات كانت مثل الرصاص في فمه. "إذا كان هذا ما تريدينه".

"نعم". بدت رزينة، وثمة قلق ظهر في عينيها. "لكنني لم أقصد ذلك، حبيبي. عنيت الليلة".

"لا أعرف. هل أستطيع البقاء هنا؟" إن فكرة العودة إلى منـــزله لا تطاق بالنسبة إليه، ومن المبكر جداً أخذ شانتال إلى هناك، للنوم في السرير الذي شغرته ديانا في الليلة السابقة فقط. فقد نامت في الاستوديو بعد الشجار.

"لماذا لا نخرج لتناول العشاء؟"

"الآن؟" نظر إليها، مصدوماً. "لست في مزاج جيد. لقد تغير الكثير من

الأمور معي في الساعات القليلة الماضية، وعليّ التكيف مع المسألة مهما كنتُ أحبك". تساءل لبرهة ما إذا أحسن فعلاً في المجيء إلى شانتال بهذه السرعة قبل أن يستوعب الصدمة. بدت أنها لا تفهم أي شيء من شعوره. "ألا يمكننا تناول الطعام هنا؟"

"لا. أريد الخروج". قالت ذلك بعصبية، كما لو أنها مستعجلة، ولاحظ فجأة أنها ترتدي فستاناً من الحرير الأسود كما لو أنها كانت تخطط للخروج وتناول العشاء في أية حال.

"هل كنتِ ذاهبة إلى مكان ما حين اتصلت؟" بدا وكأنه لا يفهم.

"فكرتُ في أنني أستطيع الخروج لمكان ما لتناول العشاء".

"لوحدك؟" بدا مصدوماً.

"طبعاً". ضحكت له، وإنما بطريقة غريبة، وقبل أن تقول المزيد، رنّ جرس الباب. نظرت بسرعة إلى مارك إدوار ثم توجهت نحو الباب. "سأعود حالاً".

من حيث كان جالساً على الأريكة، لا يستطيع رؤية الباب، لكنه سمعها تفتح الباب وتخرج منه، ثم شعر بالغضب فجأة في داخله. اجتاز الغرفة، ولحقها، ووصل إلى الباب المغلق تقريباً حيث استطاع سماعها تتكلم بصوت خافت جداً مع الشخص الآخر. شدّ الباب بقوة وسمعها تصرخ فيما قفزت جانباً. كانت تتحدث إلى شريكه جيم سوليفان، الذي بدا مصدوماً نوعاً ما عند رؤية مارك.

"هل قاطعتك أو تودّ الدخول إلى المنـــزل؟" كان ينظر إلى شريكه، لكنّ كلماته كانت موجهة إليهما معاً. دخل الثلاثة بصمت إلى الشقة. أغلقت شانتال الباب.

"حبيبي، إنها... رأى جيم أنني سأستمتع في عشاء يوم الشكر. ظننت أنك ستكون... في المنـــزل..." كان وجهها مليئاً بالإحراج ولم يظهر عليها أي



شيء من المرح.

"أفهم. كم هذا رائع. والغريب في الأمر أن أياً منكما لم يذكر الأمر أمامي".

"أنا آسف مارك". نظر إليه جيم برزانة فيما وقفوا بانزعاج وسط غرفة الجلوس. "لا أظن أنه يوجد الكثير من الأمور الواجب قولها". أدار له مارك إدوار ظهره. لمس جيم كتفه قليلاً، وبعد برهة، سمع مارك الباب يغلق بقوة. التفت ببطء لمواجهة شانتال.

"هل هذا ما كنت تفعلينه؟"

كانت عيناها كبيرتين فيما هزّت رأسها. "تناولت العشاء معه مرات قليلة فقط. لم أظن أنك ستمانع". لكن كلاهما كانا يعرفان أنها كانت تكذب.

"ماذا أقول لك الآن؟"

"إنك تسامحني. وأنا أقول لك إن هذا لن يحدث مجدداً". وضعت نفسها بهدوء بين ذراعيه، وأمسكته بالقرب منها فيما أحسّ هو بشعرها الحريري على وجهه. علقت الدموع في عينيه فيما أمسك بها، لأنه عرف أن هذا سيحدث مجدداً ومجدداً... ومجدداً.

# 34

قادت كمبرلي السيارة في شوارع سوساليتو الضيقة ثم وصلت إلى ممر صغير يقود نحو الخليج. ألقت نظرة سريعة على الورقة الموجودة على المقعد قربها، وتأكدت من أنها تسير في الطريق الصحيح. منعطف آخر، ممر آخر، طريق مقطوع، وها هي. ثمة سور أبيض صغير، وأجمة كبيرة مغطاة بالأزهار، ومنــزل صغير في الخلف. إنه الجوهرة التي وصفتها ديانا، وأحبته كيم عند رؤيته. كانت يداها مليئتين بالعلب وكافحت للرن على الجرس. بعد لحظة، فتحت ديانا الباب.

كانت ديانا ترتدي سروال جينــز وحذاء رياضياً أحمر اللون وكنــزة حمراء كبيرة فوق قميص أصفر ساطع. كان شعرها مربوطاً في عقدة، وارتسمت في عينيها ابتسامة رقيقة لصديقتها.

"ميري كريسمس سيدتي. أنا مسرورة جداً لأنكِ استطعتِ المجيء!" مدّت ذراعيها إلى كيم وتعانقتا. "تركتكِ قبل أسبوعين فقط، لكنني سئمت من المنــزل!"

"لا تقولي هذا. إنه رائع". لحقت بها كيم إلى الداخل، ونظرت حولها. كانت ديانا تعمل بكد، تدهن المطبخ، وتنظف الأرضيات. في الزاوية، ثمة شجرة عيد صغيرة مع كرات فضية وأنوار وامضة. هناك ثلاث هدايا تحت الشجرة، كتب عليها جميعاً اسم كيم.

"حسناً، هل أعجبك فعلاً؟" بدت ديانا مثل الفتاة الصغيرة فيما ابتسمت. للمرة الأولى منذ زمن بعيد، بدت سعيدة وفي سلام. نجحت خلال أسابيع قليلة فقط في العثور على شيء لنفسها. لا يوجد الكثير من الأثاث في الغرفة



الأمامية الصغيرة، لكن ما هو موجود مريح وجميل. ثمة سلة مطلية حديثاً باللون الأبيض، وأريكة قديمة رائعة أعيد تنجيدها باللون الأزرق الفاتح. النباتات في كل مكان، مع قنانٍ قديمة مليئة بالأزهار. علّقت بعض لوحاتها المفضلة على الحائط، واشترت سجادة رائعة ذات نقوش غنية. ثمة أوانٍ نحاسية وشمعدانات نحاسية على طاولة طعام خشبية صغيرة، تكفي لشخصين فقط، فيما امتازت الغرفة بثريا برونزية صغيرة جميلة. حضرت الستائر بنفسها من قماش مخرّم عثرت عليه في صندوق الثياب. بدت وكأنها تعيش هنا منذ سنوات. ثمة غرفة نوم صغيرة زينتها بورق جدران قديم باللون الوردي الناعم، وغرفة نوم صغيرة أخرى قربها تركتها فارغة باستثناء مغطس وحصان هزان موضوع قرب الباب.

نظرت كيم حولها بإعجاب، وجلست على كرسي. "لقد أحببته ديانا. هل أستطيع البقاء هنا؟"

"على الأقل لمدة سنة. لكن أظن أنكِ ستجدين بعض السلبيات. المياه الساخنة تظهر وتختفي، يحتاج الفرن إلى أسبوع تقريباً حتى يسخن، النوافذ دبقة، المدفأة تصدر الكثير من الدخان...". ابتسمت ابتسامة عريضة. "لكنني أحبه. أليس مثل منــزل الدمى الصغير؟"

"بالضبط. أحبه حتى أكثر من منــزلي، الذي يفتقد طبعاً إلى أي سحر".

"منــزلكِ فيه رقي أكثر. لكن هذا يكفي". ما من أحد يصدق أنها كانت تعيش قبل شهر فقط في منــزل كبير. بدت سعيدة جداً حيث هي الآن. سألتها "أتريدين قهوة؟" اومأت كيم برأسها. اختفت ديانا، ثم عادت مع كوبين من القهوة الساخنة.

"إذاً ما الجديد؟" لكن المحمل في زاوية المطبخ أخبرها بما كانت تتساءل عنه. لقد عادت ديانا إلى العمل.

"أنا أرسم مجدداً". بدت سعيدة وفخورة.

"هذا ما أراه. ماذا ستفعلين بها؟"

"ربما سأبيعها. لقد بعت لغاية الآن لوحتين أو ثلاث. كان سعرها كافياً لتسديد ثمن المفروشات، والأطباق، والشراشف". ثلاث لوحات، وأقراط الزمرد، والماس. لكنها لم تشرح ذلك لكيم. ولا تهتم للأمر. ما من شيء بقي تريده، باستثناء طفلها الآن. أما البقية فلم تعد مهمة. على الإطلاق.

"أين تبيعينها؟" نظرت إليها كيم مع فكرة في رأسها، لكن ديانا فهمت قصدها.

"لا تهتمي لذلك". ابتسمت، وارتشفت القليل من قهوتها.

"لماذا لا تسمحين له على الأقل ببيع لوحاتك بحق السماء؟ لستِ مضطرة إلى رؤيته". لقد رأته كيم الأسبوع الماضي، وبدا وكأنه في الجحيم. أرادت أن تعطيه عنوان ديانا، لكنها عرفت أنها لا تستطيع. يتوجب على ديانا أن تعثر على طريق العودة إليه بنفسها. إذا أرادت ذلك. بدأت كيم تشك في الأمر. بدت ديانا أكثر سعادة لوحدها. "لماذا لا تتصلين ببين على الأقل من أجل عملك؟"

"لا تكوني سخيفة كيم. ماذا يثبت ذلك؟ لا أستطيع. ربما سيبصق في وجهي إذا اتصلت به، وطلبت منه بيع عملي".

"أشك في ذلك". لكنها ربما تكون محقة. فهو لم يعد يسأل أبداً عن ديانا وأحوالها. إنه اتفاق صامت بينهما. لا يتحدث أي منهما عن ديانا. فهمت كيم. "ماذا عن مارك؟ هل سمعت أخباراً عنه؟"

هزّت ديانا رأسها. "اتصلت به مرة واحدة بعدما تحدثت إلى المحامي. إنه يفهم. لا نقاش فعلي".

"هل تظنين أنه سيتزوج تلك الفتاة؟"

تنهدت ديانا، ثم نظرت إلى الأعلى مع ابتسامة. "ربما. إنها تعيش معه في المنـزل. لكن أظن"- واختفت الابتسامة ببطء- "أظن أن كل هذا كان نوعاً من الصدمة. حصل الكثير لكلينا هذه السنة".

تساءلت كيم لبرهة ما إذا كانت ديانا مشتاقة إليه. بدت وكأنها كذلك.



أعتقدت أنها مسألة عادة فقط. على كل حال، لقد قطعت بلا شك شوطاً طويلاً.

"وكيف تعرفين أنه يعيش مع تلك الفتاة؟" بدا هذا اعترافاً صريحاً جداً بالنسبة إلى مارك.

"أخبرتني مارغريت حين اتصلت ذات يوم لأسألها عن حالها. يبدو أنها ستترك في الشهر المقبل. ربما هذا أفضل. لا يحتاج إلى أي شيء يذكره بـي حوله. يمكننا الحصول على انطلاقة جديدة".

"هل هذا ما تفعلينه؟" سألت كيم. أومأت ديانا برأسها مع ابتسامة أخرى. "ليس هذا سهلاً دوماً، لكنني أحاول. يبقيني المنـزل مشغولة، وكذلك عملي. أريد إعداد غرفة الطفل في الشهر المقبل. عثرت على قماش رائع. وأريد رسم بعض الرسوم لشخصيات الرسوم المتحركة على الجدران".

ابتسمت لها كمبرلي، وجلستا تثرثران مع بعضهما. كانت الساعة تجاوزت قد الخامسة حين نهضت ديانا أخيراً وأضاءت كل الأنوار. "يا الله، كنا نجلس في الظلام".

"عليّ العودة إلى المنـزل. عليّ عبور الجسر. هل تفعلين أي شيء لمناسبة الكرسمس؟" لكنها كانت واثقة تقريباً من أن الجواب هو لا.

هزّت ديانا رأسها. "ليس هذا العام ملائماً لذلك. أظن أنني أفضل قضاءه بهدوء... هنا". أومأت كيم برأسها، وشعرت بالقليل من الذنب.

"سأذهب إلى الجبال للتزلج. هل تريدين المجيء؟"

ضحكت ديانا، وأشارت إلى بطنها الذي بات الآن منتفخاً. أصبحت أخيراً في الشهر الخامس، وتتطابق الآن الأدلة مع التواريخ. بات بطنها دائرياً ومنتفخاً تحت القميص. ربّتت عليه مع ابتسامة صغيرة، ونظرت إلى كيم. "لا، أظن أنني سأفوت الكثير هذه السنة".

"أعرف، لكن يمكنك المجيء معي على أي حال".

"لأتجمد؟ لا، أفضل البقاء هنا".

"حسناً. لكن سأترك لكِ رقم هاتفي. يمكنك الاتصال إذا احتجت إليّ. تعرفين ذلك".

"أعرف. أعرف". حملت هدايا كيم، ثم سلّمتها لها، ونظرت بحنان إلى الأشياء التي وضعتها كيم تحت الشجرة. "ميري كرسمس حبي. أتمنى أن تكون سنة جميلة".

نظرت كيم إلى خصر صديقتها الكبير، وأومأت برأسها. "ستكون كذلك".



# 35

حلّ الكرسمس ومضى من دون روعة أو احتفالات الأعوام الماضية. ما من أثواب باهظة من بيلار، تختارها هي، ويدفع ثمنها والدها. ما من عطر فرنسي في قوارير من الكريستال. ما من أقراط ماسية للأذنين وما من فرو. هناك أربع هدايا من كيم، فتحتها في منتصف ليلة أول عيد تمضيه وحيدة. كانت خائفة من ذلك في البداية، خائفة من شعورها بسبب الوحدة، خائفة من أن تعجز عن تحمل الوحدة أو الألم. لكنها لم تشعر بالوحدة. وكان الجو حزيناً قليلاً. وجدت نفسها تشتاق إلى مارك وبيلار، لأنها كانت تُعيّد معهما على الدوام؛ الاحتفال، الضجيج، اللحم أو البط أو الحبش، مارغريت في المطبخ، وأكوام الهدايا تحت الشجرة. هذا هو النشاط الذي اشتاقت إليه، أكثر من مظاهر الترف. إنها الوجوه التي اشتاقت إليها في وقت متأخر من الليل. وجه بيلار الشاب المتألق، ووجه مارك في الأيام الخوالي. لكن لا يمكنها العودة إليهما مجدداً، لأنهما رحلا إلى غير رجعة. لم يخطر في بالها أبداً أن تتصل بمارك، أو تسمع صوته منتصف الليل. شربت الشوكولاته الساخنة، وجلست قرب شجرتها. لكن خطر في بالها الاتصال ببين. فكّرت أنه في كارمل. هل كان لوحده؟

في البعيد، استطاعت سماع المنشدين يرتلون، ووجدت نفسها تغني "ليلة صامتة" فيما خلعت ثيابها. كانت متعبة لكن أقل مما شعرت به طوال أشهر، لقد أصبحت الآن تشعر بتحسن. لكنّ الحياة أكثر بساطة الآن. مشكلتها الوحيدة مالية، لكنها تسيطر عليها رغم ذلك. عثرت على معرض صغير في منطقة جسر الماء يبيع عملها– مقابل بضعة مئات من الدولارات فقط لكل لوحة–

لكن هذا المال كافٍ لدفع الإيجار وشراء المستلزمات التي قد تحتاج إليها. ما زال لديها بعض المال الباقي من ثمن أقراط الزمرد والماس. ولديها خزنة مليئة بالمجوهرات التي تستطيع بيعها خلال الأشهر المقبلة. سيتوجب عليها بيع المزيد حين يولد الطفل، وسيعطيها مارك في النهاية مالاً بعدما ينتهيان من المحاكم.

ابتسمت لنفسها فيما استلقت في السرير. "ميري كرسمس أيها الطفل". ربّتت على بطنها، واستلقت على ظهرها لبرهة محاولة إبعاد أفكارها عن بيلار. قد تكون فتاة أخرى. لكن الأمر سيكون مختلفاً هذه المرة.



# 36

إنها التاسعة صباحاً من يوم في شهر فبراير. جلس بين في مكتبه، ينظر إلى إعلاناته الجديدة. ضغط على جرس في مكتبه، وانتظر دخول سالي إلى الغرفة. وحين فعلت، كانت تمسك بمجموعة كبيرة من الأوراق، نظر إليها بعبوس.

"ما رأيك في هذا، سالي؟ هل ينفع أم لا؟"

"نعم". ترددت فيما نظرت. "لكنه مبهرج نوعاً ما".

أومأ برأسه مع ابتسامة، وجمع الأوراق فوق مكتبه. "هذا هو رأيي بالضبط. إتصلي بكيم هافتون على الهاتف. عليّ مقابلة فنان في سوساليتو في تمام الحادية عشرة. اسأليها إذا كانت تستطيع لقائي في مطعم ثمار البحر قرابة الثانية عشرة والربع".

"في سوساليتو؟" سألت سالي. أومأ برأسه وهو شارد الذهن، ثم اختفت. كانت الساعة العاشرة تقريباً حين أقحمت رأسها عبر الباب. "ستلتقي بك في مطعم ثمار البحر في الثانية عشرة والنصف، وطلبت أن تحضر الإعلانات. لديها مجموعة أخرى من الاحتمالات لتريها لك وستحضرها هي أيضاً".

"جيد". نظر إليها مع ابتسامة غامضة، وتنهد أمام العمل الذي على مكتبه. يبدو العمل لامتناهياً في بعض الأحيان. لقد أضاف أربعة فنانين جدد إلى معرضه هذا الشتاء، رغم أنه ليس معجباً كثيراً بأعمالهم. إنهم أفضل ما رآه، لكنهم ليسوا رائعين. ليسوا ديانا دوراس. لا يزال الناس يسألونه عنها، وحاول التفسير. لقد "تقاعدت". صدرت منه تنهيدة أخرى فيما غاص مجدداً في

عمله. إنه يفعل ذلك منذ شهر سبتمبر، وقد نجح الأمر تقريباً. تقريباً. إلا في آخر الليل وبداية الصباح. إنه يفهم الآن شعورها حيال موت بيلار. ذلك الشعور بأنك لن تلمس شخصاً مجدداً، أو تمسك به، أو تسمعه، أو تضحك معه، أو تتمكن من المزاح معه ورؤيته يبتسم. توقف عن العمل لبرهة ثم طرد الأفكار بعيداً. أصبح معتاداً على الأمر الآن. لقد تمرّن على ذلك لمدة خمسة أشهر.

غادر المعرض في تمام العاشرة والربع. يعطيه ذلك وقتاً كافياً لعبور الجسر، والوصول إلى سوساليتو، وركن السيارة. هذا على الأقل فنان يحبه، رجل شاب صاحب حسٍ مرهفٍ تجاه الألوان، لكن عمله أكثر عصرية من عمل ديانا، وليس جيداً مثله. لم يقدم أبداً عرضاً لهذا الرجل الشاب، لكنه قرر أخيراً أن يفعل ذلك. قبل ذلك، كان الفنان الشاب يعرض أعماله في معرض قرب مكان سكنه، معرض صغير في سوساليتو يعرض مجموعة كبيرة من الأعمال المنوعة. شاهد بين لوحات الفنان للمرة الأولى في ذلك المعرض، مدفونة بين لوحات جيدة وأخرى سيئة، وعرف أن الفنان الشاب يتقاضى أجراً بسيطاً جداً مقابل أعماله. مئة وخمسة وسبعون دولاراً هو أغلى ثمن لأي لوحة. أما بين فيبيعها بألفي دولار منذ البداية. وعرف أنه يستطيع فعل ذلك. سيكون الفنان متحمساً جداً.

كان كذلك فعلاً. "أوه، يا الله. إنتظر حتى أخبر ماري!" ابتسم ابتسامة عريضة، وشدّ على يد بين. "يا الله. يمكننا حتى تناول بعض الطعام المرتب احتفالاً بهذه الصفقة". ضحك بين، مسروراً، ومشيا ببطء نحو الباب. إنه استوديو كبير يمتد على نصف مساحة ما كان قبلاً مخزناً للحبوب. إنه محاط الآن بالمنازل، لكنه يبقى استوديو رائعاً ومكاناً جميلاً للعمل. "بالمناسبة، ماذا حصل لتلك الفتاة التي تعاقدت معها خلال الصيف الماضي؟ دوراس؟"

"توقفنا". إنه اختيار رائع للكلمات. لكنه لا يعرف. لا أحد يعرف. "لم نعد



نعرض أعمالها". قال بين ذلك بهدوء كبير. لقد قال ذلك مئة مرة قبلاً.

"أعرف. لكن هل تعرف من يعرض أعمالها؟"

"لا أحد. لقد تقاعدت". قال بين بصوت خافت. لكنّ الرجل هزّ رأسه هذه المرة.

"لا أظن ذلك. هل أنت واثق؟"

"تماماً. أخبرتني أنها ستتقاعد حين سحبت لوحاتها". لكنّ شيئاً في عيني الرجل أزعجه. "لماذا؟"

"أستطيع التأكيد أنني رأيت إحدى لوحاتها في معرض سيغال ذلك اليوم. تعرفه، ذلك المكان الذي كان يعرض أعمالي؟ لم أكن واثقاً، ولم يكن لديّ الوقت للسؤال، لكن العمل أوحى لي بذلك. كانت لوحة عارية جميلة. وطلبوا سعراً زهيداً جداً مقابلها".

"كم؟"

"سمعت أحداً يقول مئة وخمسين دولاراً. إنها جريمة في حق تحفة فنية مثل هذه. عليك الذهاب إلى هناك، وإلقاء نظرة للتأكد من ذلك"

"أظن أنني سأفعل". نظر إلى ساعته. إنها الحادية عشرة والنصف. لديه وقت كافٍ قبل تناوله الغداء مع كيم.

تصافح الرجلان مجدداً. وكان هناك سيل كبير من كلمات الشكر والابتسامات. ركب بين في سيارته، وقاد بسرعة قليلاً في الطريق الضيقة. إنه يعرف تماماً أين يقع المعرض، وترك سيارته مركونة في الزاوية. أراد الدخول إلى المعرض وإلقاء نظرة، لكنه لم يكن بحاجة إلى ذلك. فلوحاتها معروضة بشكل بارز قرب الباب. لاحظ ذلك من حيث وقف، مسمراً في الشارع. إنها لوحاتها بالفعل. لقد كان الرجل الشاب محقاً.

وقف هناك لبرهة، متسائلاً ما يجب فعله، محاولاً تقرير ما إذا كان يجدر

به الدخول. كان على وشك الابتعاد، لكن شيئاً في داخله دفعه إلى المعرض. عليه الاقتراب من الحياة الساكنة. شاهدها وهي ترسمها. لقد فعلت ذلك على مصطبتهما في بداية يوليو. شعر بنفسه مشدوداً فجأة إلى الصيف.

"نعم، سيدي؟ هل أستطيع مساعدتك؟" سألته فتاة شقراء جميلة ترتدي الجينـز وتنتعل الصندل. ارتدت البذلة الاعتيادية، قميصاً قطنياً وقرطين في الأذنين، مع شعر مربوط إلى الخلف بجديلة عريضة.

"كنت أنظر إلى اللوحة هناك". أشار إلى لوحة ديانا.

"سعرها مئة وستون دولاراً. إنها لفنانة محلية".

"محلية؟ من سان فرانسيسكو، حسبما أظن".

"لا. سوساليتو". ارتبكتْ بوضوح، لكن لا مجال للجدال.

"هل لديكم المزيد من أعمالها؟" كان واثقاً من أنه لا توجد أية لوحة أخرى. لكنّ الفتاة أومأت برأسها، الأمر الذي أذهله.

"نعم، لدينا. أظن أننا نملك لوحتين إضافيتين".

وكما تبين، هناك ثلاث لوحات. واحدة أخرى من أعمال الصيف، ولوحتان من أعمالها السابقة، علماً أن سعر أي منها لم يتجاوز المئتي دولار.

"كيف حصلتم عليها؟" وجد نفسه يتساءل ما إذا كانت اللوحات مسروقة. لو كانت هناك لوحة واحدة فقط، لقال إن أحداً اشتراها منه ثم أراد بيعها، لكن هذا بدا مستبعداً، وغير ممكن بوضوح لأن المعرض يملك الكثير من أعمالها.

بدت الفتاة الشقراء متفاجئة بسؤاله. "عقدنا اتفاقاً مع الفنانة".

"حقاً؟" لقد أصبح الآن هو المتفاجئ. "لماذا؟"

"عذراً؟" لم تفهم.

"أعني لماذا هنا؟"

"هذا معرض محترم جداً". بدت مستاءة من ملاحظته، وحاول إخفاء



الإرباك بابتسامة.

"أنا آسف. لم أقصد ذلك. الأمر... الأمر هو أنني أعرف الفنانة، وتفاجأت لرؤية أعمالها هنا. ظننت أنها بعيدة... مسافرة". لم يعرف ما يجب قوله. نظر بعدها إلى الفتاة الشقراء مع ابتسامة أخرى. "لا تهتمي. سأشتريها".

"أي واحدة؟" إنه مجنون بلا شك. أو ربما أعمى.

"كلها".

"الأربع؟" مجنون وليس أعمى.

"نعم، سيكون ذلك جيداً".

"لكنّ سعرها ثماني مئة دولار تقريباً".

"جيد. سأكتب لكِ شيكاً". أومأت الفتاة الشقراء حينها، ومشت بعيداً. تحقق المدير من مصرف بين، وكان الشيك يمتلك مؤونة. ترك المعرض بعد عشر دقائق، وازدادت ثروة كل من ديانا والمعرض أربع مئة دولار. لا يزال غير واثق من السبب الذي دفعه إلى شرائها حين وضعها في سيارته. كل ما عرفه هو أنه أراد الحصول على عملها. والأسعار جنونية. لم يفهم ذلك. سيبيع اللوحات الأربع في معرضه ويحول القسم الأكبر من الربح لها. كما لو أنها تهتم... ما الذي يحاول إثباته؟

كان منـزعجاً من نفسه حين ركن السيارة أمام مطعم ثمار البحر للقاء كيم وتناول الغداء. كان هذا عملاً أحمق جداً، أي شراء لوحاتها الأربع. حين تعرف، سيجن جنونها ربما. لكنّ شيئاً ما في كل المسألة ضايقه. ماذا يقصدون بكلمة فنانة "محلية" من سوساليتو؟

كانت كيم في انتظاره أمام مائدة قرب النافذة، تستمتع بمنظر المدينة عبر الخليج.

"هل تمانعين إذا جلست؟" التفتت نحوه، مذهولة، ثم ضحكت.

"ظننت للحظة أنك شخص يود مغازلتي". ابتسمت له ابتسامة عريضة، وردّ لها الابتسامة. بدا مسروراً كثيراً، ومرتبكاً كثيراً، وكان يرتدي سترة رسمية وسروالاً وقميصاً مخططاً، لكنها رأت أن شيئاً ما يربك عينيه.

"لست محظوظة كثيراً آنسة هافتون. المغازلون غير لبقين. أو أنهن جميعاً من النساء هذه الأيام".

"الآن، الآن".

"ماذا تريدين أن تشربي؟" سألها. أومأت برأسها، وطلبا شراباً لذيذاً. نظر لبرهة إلى الخليج، ثم سألها: "كيم؟"

"نعم، أعرف. ستقول لي إنك تكره الإعلانات، وأنا لا أحبها أيضاً. لكن لديّ بعض الأفكار الأخرى".

هزّ رأسه، وأعاد عينيه إلى عينيها. "لا تهتمي بذلك، رغم أنكِ محقة تماماً في هذا. يمكننا التحدث عن الموضوع لاحقاً. أريد أن أسألك شيئاً آخر". توقف لبرهة طويلة، وانتظرت كيم، متسائلة فجأة عما رأته في عينيه.

"ما الأمر؟" بدا منــزعجاً جداً، وأرادت مدّ يدها إليه.

"ديانا".

كاد قلب كيم يتوقف. "هل رأيتها؟"

لكنه هزّ رأسه مجدداً. "لا. هل رأيتها أنتِ؟" أومأت كيم رأسها للإجابة. "هل من مشكلة؟ عثرت على أربع لوحات لها في معرض محلي، ولا أفهم. لماذا تبيع عملها هناك؟ هل تعرفين ما هو السعر الذي طلبوه مقابل اللوحات؟ مئة وستون، مئة وخمس وسبعون. هذا جنون، هذا هراء. وقالوا إنها فنانة محلية. محلية من سوساليتو. لا أفهم ذلك فعلاً. ماذا يجري؟"

جلست كيم تنظر إليه لبرهة، من دون أن تقول أي شيء. لم تكن واثقة مما يجب قوله. لديها موعد مع ديانا لزيارتها بعد الظهر، مباشرة بعد الغداء.



كانت مسرورة بعذر تناول الغداء في سوساليتو. بهذه الطريقة، تستطيع رؤية ديانا قبل العودة. لكن ماذا تقول لبين؟ كم تستطيع إخباره؟

"كيم، أرجوكِ، قولي لي. هل تعرفين؟" توسلتها عيناه، وكانتا مليئتين بالقلق.

"ربما باع شخص آخر اللوحات إلى المعرض بعدما اشتراها منها". عليها أن تسأل ديانا قبل أن تخبره بأي شيء. عليها ذلك. إنها تدين بهذا إلى ديانا، لكنها أرادت إخباره الآن.

"لا، هذا ليس صحيحاً. قالت الفتاة إنهم تعاقدوا معها. لكن لماذا؟ لماذا مثل هذا المعرض، وفي هذا المكان؟ هل تحاول بيعها من دون علم زوجها؟ هل تواجه مشكلة؟ هل تحتاج إلى المال النقدي؟" توسلتها عيناه حتى تتكلم، وأصدرت هي تنهيدة طويلة.

"أوه، بين. ما الذي أستطيع قوله؟ لقد تغيرت الكثير من الأمور في حياة ديانا".

"لكن ليس كفاية للاتصال بــي على ما يبدو".

"ربما ستفعل ذلك. مع الوقت. لا تزال مصدومة جداً من موت بيلار". أومأ برأسه بصمت ولم يتحدثا لبرهة. آخر ما يريده مناقشته اليوم معها هو العمل. كل ما يستطيع التفكير به هو ديانا. عرف أن مشكلة كبيرة حصلت.

نظر إلى كيم مجدداً، وكادت تموت من النظرة في عينيه. "هل تواجه مشكلة ما؟" لكن كيم هزّت رأسها بالنفي.

"إنها بخير بين. إنها بخير. أظن أنها سعيدة نوعاً ما للمرة الأولى". أرادت أن تقطع لسانها بسبب ما قالته. كانت ديانا أكثر سعادة خلال الصيف الماضي، لكن كيم لم تكن واثقة من كيفية تغيير الكلام الذي قالته. "إنها ترسم كثيراً".

"وهي سعيدة". نظر إلى الخليج، ومن ثم إلى كيم. "معه..." لكن كيم لم تعد تستطيع تحمل المزيد. هزت رأسها ببطء. "ماذا تقصدين؟"

"عاد إلى فرنسا". أخبرتها ديانا ذلك الشهر الماضي. لقد عاد مارك أخيراً إلى وطنه.

"إلى الأبد؟" بدا بين مذهولاً. أومأت كيم رأسها. "وبقيت هي هنا؟" أومأت كيم برأسها مجدداً، وظهر اليأس في عينيه. لم تتصل به. لقد رحل مارك، ولم تتصل. لكن فيما نظر إلى كأس شرابه، أحس بيد كيم تلامس يده.

"امنحها فرصة، بين. لقد حصلت أمور كثيرة. أظن أنها بحاجة إلى بعض الأشهر الإضافية لتفرز كل شيء".

"وهي تعيش هنا؟ في سوساليتو؟" ما من شيء منطقي. لماذا لا تعيش في منـزلهما؟ هل هرب وتركها وحيدة؟ "هل تقصدين أنهما يطلقان؟"

أخذت نفساً عميقاً. "نعم".

"هل كان هذا قراره أم قرارها؟ كيم، يجب أن تقولي لي. لديّ الحق في أن أعرف".

"أنا أول من يوافقك الرأي، بين". *لكن حاولي إخبارها*... "كان قرارها، لكنه وافق عليه. لم تكن لديه أية خيارات"

"وكيف حالها؟ هل تتكيف مع الأمر؟ هل هي على ما يرام؟"

"إنها بخير. إنها تعيش في منـزل صغير جميل، تحضّر بعض اللوحات الجديدة وتستعد..." ثم توقفت. لقد بالغت كثيراً في الحديث.

"تستعد لماذا؟" شعر بالارتباك مجدداً، وكادت كيم تقوده إلى الجنون. "بحق الله، كيم، هل سيقيم لها ذلك المعرض السخيف عرضاً لأعمالها؟" لا يفهم شيئاً. كيف يجرؤون؟ ضحكت كيم فجأة. نظرت إليه مع نور ساطع في عينيها.



"تعرف شيئاً؟ هذا جنون. نحن نجلس هنا نطرح عشرات الأسئلة عن حال ديانا، فيما الشيء الوحيد الذي تحتاج إليه هو أنت". سحبت حينها قلماً من حقيبتها، وأمسكت ورقة من بين إعلاناتها. دوّنت العنوان، وأعطته الورقة. "خذ. هذا العنوان".

"الآن؟" بدا مذهولاً فيما أخذ الورقة من يدها. "ماذا لو... ماذا لو كانت لا تريد رؤيتي؟"

"بلى. لكن من الآن وصاعداً أصبح الأمر من مسؤوليتك". ضحكت. "وإذا سببت لك المشاكل، اضربها على فمها". ابتسم ابتسامة عريضة، ونظر إليها مجدداً بارتباك.

"ماذا عن الغداء؟" كل ما يريده هو الخروج من هنا والعثور على ديانا. لا يريد الجلوس للحظة واحدة إضافية مع كيم، لكنها عرفت ذلك، وابتسمت.

"انسَ أمر الغداء. يمكننا التحدث عن الإعلانات في وقت لاحق. اذهب". انحنى لتقبيلها، وشدّ على كتفها بقوة.

"يوماً ما، كيم هافتون، سأشكرك. لكن الآن..."، ابتسم أخيراً، "عليّ الركض. قولي لي، هل أكسر الباب أم أنزل في المدخنة؟"

"اِرمِ كرسياً عبر النافذة. هذا ينجح في كل مرة".

كان لا يزال يبتسم حين صعد إلى سيارته، ووصل إلى العنوان بعد خمس دقائق فقط من تركه لكيم. ألقى نظرة سريعة على الورقة، ولاحظ بسرعة أنه المنـزل المخبأ وراء الأجمات الكبيرة والمحاط بالسور الصغير. تساءل ما إذا كانت موجودة في المنـزل. ربما ليست هنا. أصبح خائفاً الآن. ماذا سيقول لها؟ ماذا لو غضبت لأنه أتى؟ لا يتحمل أن يفعل ذلك بها الآن، بعد كل الأشهر الطويلة من الأحلام.

خرج من السيارة، ومشى ببطء إلى الباب. استطاع سماع حركة ما في

الداخل، وكان هناك صوت راديو يصدح بموسيقى الجاز. رنّ على الجرس، ثم طرق الباب. وعلى نحو أسرع مما توقع، ردّ صوتها من داخل المنــزل.

"مرحبا، كيم. الباب مفتوح. ادخلي!" فتح فمه ليقول لها إنه ليس كيم، لكنه عاد، وأغلقه بسرعة. لا يريدها أن تعرف الحقيقة قبل أن يصبح في الداخل، ويراها، ولو لمرة واحدة، أو حتى لحظة. مرة واحدة فقط. دفع الباب بيد واحدة. وقف وسط الغرفة الصغيرة المشرقة ولم يكن أحد فيها.

"هل دخلتِ؟" نادت من الداخل. "أنا أرسم في غرفة النوم الأخرى. سآتي فوراً".

شعر وكأن أحشاءه تذوب فيما استمع إلى صوتها للمرة الأولى بعد خمسة أشهر. وقف ببساطة في مكان واحد وانتظر مجيئها. أراد أن يقول شيئاً لها، لكنه لم يستطع. شعر وكأنه لا يملك القوة. لكنها هذه المرة نادت مجدداً. "كيم؟ هل هذا أنتِ؟" توجب عليه الرد هذه المرة، لأنه لا يريد إخافتها.

"لا، ديانا، ليست كيم". ساد الصمت حينها، ثم سمع شيئاً يقع على الأرض. وقف هناك، صامتاً، جامداً، منتظراً. لكن لم يظهر أحد. لم يحدث أي شيء. لم يتحرك أحد. بدأ ببطء المشي إلى داخل المنــزل. لم يضطر إلى الذهاب بعيداً. خطوات قليلة ووجد نفسه يقف في باب غرفة النوم الصغيرة.

"ديانا؟" كانت تقف هناك، تضع يداً على مهد صغير متكئ على الجدار غير المطلي بعد. حدّقت عيناه في عينيها ولم يستطع قمع ابتسامة. "أنا آسف، أنا...". ثم رأى، فيما اتسعت عيناها وشاهد ذقنها يرتجف. "يا الله، ديانا... أنت...". لم يشأ سؤالها، لأنه لا يعرف ماذا يقول. متى وكيف؟ وممن؟ لا يكترث ممن يكون الطفل، فأغلق المسافة الفاصلة بينهما وشدّها بين ذراعيه. لهذا السبب تبيع لوحاتها، ولهذا السبب تعيش وحيدة.

"إنه لنا، أليس كذلك؟" سألها. وأومأت برأسها، فيما الدموع تنهمر على كتفيه. أمسكها بشدة بين ذراعيه. "لماذا لم تخبريني؟ لماذا لم تتصلي بي؟"





أبعدها قليلاً حتى يتمكن من رؤية وجهها. كانت تبتسم.

"لم أستطع. لقد تركتك. لم يكن بوسعي العودة إليك هكذا. ظننت أنه ربما... بعد الطفل..."

"أنتِ مجنونة، ديانا، لكنني أحبك. لماذا بعد الطفل؟ أريد أن أكون موجوداً معك، أريد... أوه، ديانا، إنه لنا". شدها مجدداً بين ذراعيه بانتصار بين الضحك والدموع.

"كيف عثرت عليّ؟" ضحكت فيما شدته قربها، وابتسمت. وحين لم يجب، عرفت. "كيم".

"ربما. أو ربما ذلك المعرض المربع الصغير الذي يبيع لوحاتك. ديانا، كيف استطعت...". اختفى صوته فيما ابتسمت هي.

"كنت مضطرة".

"ليس بعد الآن"؟

"سنرى".

"هل تفضلين سيغال عليّ؟" ضحك على الفكرة، وهزّت رأسها بقوة.

"لكنني نجحت في تدبير كل هذا لوحدي. أصبحت مستقلة. لقد نجحت. هل تدرك ماذا يعني ذلك؟"

"يعني أنكِ رائعة وأنا أعشقك. هل تطلقين زوجك؟" كان يمسكها بين ذراعيه، ويلمس بطنها برفق. قفز حين ركله الطفل. "هل هذا طفلنا؟" عادت الدموع مجدداً إلى عينيه، وأومأت هي برأسها إيجاباً.

"نعم، أنا أطلق زوجي أيضاً. سينتهي الطلاق في مايو".

"والطفل؟"

"سيولد في أبريل".

"في هذه الحالة، أيتها المرأة المجنونة، المستقلة، سننهي لأمرنا نحن أيضاً

في مايو".

"ماذا يعني ذلك؟" لكنها أصبحت تضحك الآن وكذلك هو.

"مثلما تظنين. و..."- نظر حول الغرفة بجو محتار- "وضبي أغراضك، سيدتي، سآخذك إلى المنــزل".

"الآن؟ لم أنته من طلاء غرفة الطفل. و..."

"ولا شيء، حبيبتي. سآخذك إلى المنــزل".

"الآن؟" وضعت فرشاتها، وابتسمت ابتسامة عريضة.

"الآن". شدها بين ذراعيه مجدداً، وقبّلها بكل شوق الخمسة أشهر الماضية. "ديانا، لن أعيش أبداً من دونكِ. أبداً. هل تفهمين؟" لكنها أومأت فقط برأسها، وابتسمت وقبلته، فيما داعبت يده طفلهما ببطء.